سامي لطيف





رؤية استشرافية للمستقبل العربي الإسلامي

تقديم : طارق البشري

أحمد بن بلة
استرداد المستقبل
رؤية استشرافية للمستقبل العربي والإسلامي
حوارات: سامي لطيف
تقديم الأستاذ: طارق البشري

الغلاف للفنان: هشام بهجت عثمان
الناشر: دار المستقبل العربي
٤١ شارع بيروت - مصر الجديدة
تليفون ٢٩٠٤٧٢٧، القاهرة - ج.م.ع.

رقم الإيداع بدار الكتب القومية: ٩٥/١١٤٨٢
الترقيم الدولي: ISBN 977 - 239 - 108 - 2

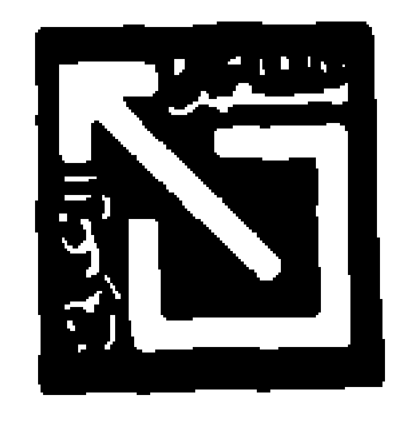
إهـــــداء2005
أ/إبراهيم منصور غنيم
القاهرة

أحمد بن بلة

استرداد المستقبل

رؤية استشرافيه
للمستقبل العربي الإسلامي

سامي لطيف



دار المستقبل العربي

الفهرس

المحور الثالث

المتغير العالمى والعلاقة مع الغرب - نحو الحوار

* * *

المحور الرابع

الثقافة على المحك ـ السلطة الثقافية

* * *

تقديم

بقلم الأستاذ طارق البشرى

من اصعب ما يواجه المرء ان يُدْعَى الى كتابة مقدمة لمثل هذا الكتاب ذى الطول والعرض، موضوعه فسيح مترامى الأطراف، بعمق ثقافي، وخصوبة فى تنوع الموضوعات، واستيعاب هائل لدلالات الحاضر، حاضر العرب والمسلمين، وادراك متميز للمرحلة التاريخية المعيشة، وقد تضمّن اجابات رجل هو من فحول هذا العصر، تمتد قامته السياسية على مدى حركات التحرر الوطني منذ الخمسينات حتى اليوم، ومكنته الأقدار من ان يرتمي في قلب الموج حينا يصارعه ويغالبه، وان يقف على الرؤوس الشواهق حينا يشرف ويدبر، وان يتجنب حينا يتأمل ويقرأ حركة التاريخ المعيش، ومن هنا نلحظ في اجاباته هنا هذا الثراء المتولد عن تنوع المنظور، وامتزاج الخبرة العملية بالنظر التاريخى بالتأمل الفلسفى.

وجاءت هذه الاجابات ردودا على الأسئلة التى أدار الحوار بها الأستاذ سامي لطيف، فجاءت أسئلة ذات ثقل ثقافي وذات ذكاء واحاطة بمشاكل المرحلة التاريخية المعيشه، وفتحت المجالات الفكرية التي

احتواها الكتاب، والسؤال كما يقال هو نصف الجواب، فلا جواب صحيح إلا بسؤال صحيح يطرحه السائل طرحا صحيحا.

لا اجد من المناسب الحديث عن كتاب هو بين يدى قارئه الآن يتعجل قراءته، ولكننى مادمت دعيت للكتابة وسعدت بهذه الدعوة، فحسبى ان أعرض لبعض ما يحوك فى صدرى من شواغل أهاجتها قراءة هذه الصفحات، وحسبى ان أعرض لما أخاله الاولى من هذه الشواغل بالحديث العاجل فى «مقدمة» ينبغى الا تتسع لاكثر من حديث للضيف الحيىّ.

اهم ما لفت نظرى، ان الأخ احمد بن بلة يرى ان المسألة الرئيسية المطروحة علينا فى المرحلة التاريخية المعيشه هى مسألة ثقافية وفكرية وحضارية، وان الغرب نظام حضارى وثقافى بالدرجة الاولى، وان معركتنا مع الغرب الاستعمارى هى معركة ثقافية فى الدرجة الأولى ايضا، وهى معركة مع الحضارة الغربية. ان هذه الرؤية فى تقديرى تضعنا فى قلب المشكلة، كما تضع اقدامنا على اول الطريق الصحيح، وهكذا فى ظنى تستعيد حركة التحرير الوطنى فى بلادنا طريقها الصحيح الذى كان لها على مدى القرن التاسع عشر، ثم غُمّ عليها فى عشرينات القرن العشرين وما تلاها من العقود حتى السبعينات. يجئ هذا الاستدراك لمسار حركاتنا الوطنية على يدى واحد من زعماء هذه الحركة فى الخمسينات والستينات، ويقدم للاجيال المقبلة حصيلة تجربة عريضة وشريفة وثرية.

* * *

ان المستشرف للملامح العامة لحركة التاريخ الحديث فى بلادنا العربية الاسلامية، يلحظ ان الحركات الوطنية كانت مرتبطة بالإسلام لاتكاد تنفصل عنه، منذ نهضت هذه الحركات تقاوم الغزو والتوغّل الأوروبى الغربى من نهايات القرن الثامن عشر، فلم تنهض شعوب العرب والمسلمين تقاوم الاستعمار فى القرن التاسع عشر الا تحت راية الإسلام، ولم تتجمع هذه الشعوب فى حركات مكافحة المستعمر الأوروبى الا باسم الاسلام، اى بمعنى انها قامت تدافع عن «الذات» الاسلامية كمكون عقدى حضارى، وبهذا التصور نفهم عبد القادر الجزائرى فى الجزائر وعبد الكريم الخطابى فى المغرب والسنوسى على امتداد العمق الصحراوى لشمال افريقيا، والمهدى فى جنوب وادى النيل، وكذلك فى مصر من الافغانى حتى مصطفى كامل.

ولم تظهر التكوينات المتأثرة بالفكر الغربى الا فى اواخر القرن التاسع عشر، ولم تظهر فى ذلك الوقت الا فى دوائر محدودة للنخب السياسية والاجتماعية، وجرى ذلك بفعل نظام التعليم الحديث الذى تكون فى ظل النفوذ الاستعمارى، عسكريا وسياسيا، والذى قام على اساس فصل علوم الدنيا عن علوم الدين، فركز على الاولى واهمل الثانية إهمالا. وكذلك انتشر الفكر الاوروبى الفلسفى بين دوائر من صفوة المثقفين من خريجى هذه المدارس الحديثة، بفعل الكتب والمجلات الفكرية التى قامت منذ نهايات القرن التاسع عشر تروج رؤية فلسفية تتعارض مع اسس الفكر الاسلامى المرجعى السائد.

فلما انتهت الحرب العالمية الاولى فى ١٩١٨، بدأت حركات

التحرير الوطنى، سواء فى بلدان العالم الاسلامى كمصر والعراق وسوريا، او فى غيرها، كالهند والصين، قامت هذه الحركات من جيل شباب وكهول ومن نخب ثقافية اختلفت نوعيا عن أجيال اسلافهم من اهل حركات المقاومة فى القرن التاسع عشر، ذلك ان جيل النخب الحديثة كان تكون فى المؤسسات التعليمية الحديثة التى قامت على اسس علمانية غربية من بضع عشرات السنين، وجرى ذلك فى ظروف سقوط الدولة العثمانية والغاء الخلافة الاسلامية ككيان مشخص للجماعة الاسلامية.

ومن هنا ظهر فى مجتمعاتنا ما يمكن ان نطلق عليه «العلمانى الوطنى»، وهو يمثل حركات التحرير الوطنى التى بدأت منذ عشرينات هذا القرن تطالب بالاستقلال السياسى عن الاستعمار الغربى، مع قصر هدف الاستقلال فى اخلاء ارض الوطن من القوى العسكرية الاجنبية وتجريد الارادة السياسية من الاملاء الاجنبى الاستعمارى عليها، ثم ما لبث ان تعزز مطلب الاستقلال السياسى بهدف الاستقلال الاقتصادى على مدى الاربعينات والخمسينات. ولكن كل ذلك كان يستهدف اقامة مجتمع يجرى بناؤه على صورة المجتمعات الأوروبية، من حيث الاوضاع السياسية الاجتماعية، ومن حيث النظم الوضعية البعيدة عن الفكر الدينى وعن اصول الشرعية المستمدة من الاسلام.

ومن اجل ذلك بدأت الحركات الاسلامية، مع نهاية العشرينات تدرك ان حركات التحرير السائدة انما تعكس مشروعا سياسيا واجتماعيا ورؤية فلسفية بعيدة عن المرجعية الإسلامية التى ارتبط بها تكون

الجماعة السياسية التاريخية فى بلادنا، من حيث الاطار الثقافى ومعايير الاحتكام وصلة الفرد والمجتمع بالكون. وظهرت الحركات الاسلامية كحركات وطنية موازية لحركات التحرر العلمانى. وكان لهذه الثنائية اثرها السلبى على الوضع الوطنى التحررى العام، اذ قام صدع بين حركتين وطنيتين احداهما علمانية والاخرى اسلامية.

ولم يبدأ هذا الصدع فى الالتئام الا بعد ظهور تعثر حركتى الاستقلال الوطنى فى نهايات الستينات، الحركة الاولى وهى حركة الاستقلال الوطنى فى صورته الليبرالية من العشرينات الى بدايات الخمسينات، والثانية حركة الاستقلال الوطنى فى صورته الاشتراكية خلال الخمسينات والستينات. وجزى الله الشدائد كل خير، لقد كان من الضرورى أن تلج الحركات الوطنية تجربتى العشرينات والخمسينات وان تحمل خيرهما الى ما تتجاوزهما به وتعود به الى منابع قيمها العقدية ومرجعيتها الشرعية من حيث السلوك والمعاملات والنظم.

ذلك هو الوعاء التاريخى الذى يصدر منه الحديث الوارد فى هذا الكتاب وهو فيما يبدو لى عمود الارتكاز فى فهم ما يتعين ان يقوم عليه النظر السياسى الاجتماعى الاصلاحى والتحررى فى بلادنا.

* * *

استطرد إلى نقطة أخرى، تتعلق بامكان الحوار الحضارى بيننا وبين الغرب، وللأسف لا اكاد ارى فرجة ذات اعتبار فى هذا الشأن.

والحديث عن الحوار والدعوة اليه، قد صار من أكثر ما تجرى به

الاقلام وتردده الألسنة فى أيامنا هذه، وهو يحتاج الى وقفة تدبر وتأمل من حيث معناه وامكاناته واحتمالات نتائجه. فالحوار فى ظنى يقوم على اعتراف طرف بطرف آخر، وبالاقل الاستعداد لهذا الاعتراف، ولا حوار اذا لم يقم هذا الاعتراف بوجود الآخر او على الاقل بحقه فى الوجود. والحوار الحضارى يقوم فى ظنى ايضا على اعتراف طرف بأن للطرف الآخر مرجعية مختلفة، اى موقف ثقافى مختلف واسس مختلفة تقوم عليها اصول شرعيته ومعايير الاحتكام لديه، ذلك ان الوضع الحضارى فى ظنى هو فى النهاية «وجهة نظر» حاكمة، هو «شرعة» بالمعنى اللغوى للفظ الشرعة او المشرع، اى نقطة البدء، على ان يرتبط كل ذلك بجماعة ممتدة فى صيرورة تاريخية، فتمثل هذه «الوجهة» قوة التماسك الجمعى والتاريخى لهذه الجماعة، وتشكل لها لغتها الذهنية ومعايير قيمها من حيث السلوك الفردى والقيم والتعامل بين الناس وبناء هياكل نظمهم ومؤسساتهم، والاصل المرجوع اليه فى كل ذلك وفى تبين علاقة الفرد والجماعة بالكون وبما وراء الطبيعة. وما من اصل شرعية او معيار احتكام يظهر فى جماعة، إلا ويكون مردودا فى النهاية الى ماتدين به هذه الجماعة من نظر فلسفى يرسم لها اصل علاقة الانسان بالكون.

والحوار هو تبادل خبرات وآراء ووجهات نظر، وهو مردود فى النهاية الى الاغتناء بما لدى الآخر من قيم واساليب حل للمشاكل، ومن نماذج تنظيمية ونماذج علاقات بين البشر، هو تبادل الحلول الانسانية بين ذوى الثقافات المتعددة، ليغتنى كل طرف بما عسى أن يكون مفتقدا له مما يجده لدى الطرف الآخر من هذه الامور، والحوار يفيد فى تبادل

تلك الامور بين الاطراف المتحاورة بغير ان يفرض طرف على الآخر امرا منها، ويشرط ان يجرى الأخذ عن الآخرين بمعيار نفع الآخذ مما يأخذ لا بمعيار فائدة المعطى مما يعطى، ويشرط ان تكون معايير النفع المتوقع للآخذ مستخلصة من موازينه الحضارية ومن اصول مرجعيته التى تحدد له ماينفعه وما لاينفعه، والا تكون واردة اليه من موازين حضارة الطرف الآخر ومعايير احتكامه، ويشرط ان ما يأخذه الطرف الآخذ من قيم او نماذج معاملات وانظمة، انما يأخذه لا كحضارة أجنبية مكتملة تفرض عليه ولا كثقافة وافدة غريبة تقتحم وجوده وتنزعه من اصوله الحضارية ومعايير احتكامه وشرعيته، إنما يختار ما يختار من قيم الحضارة الاخرى ونظمها بوصفها «مفردات» حضارية يفصل بينها وبين اصولها المرجعية فى الحضارة الغربية ويتمثلها فى حضارته لتنضم الى مفرداتها وتخضع لاصول شرعيتها ونظرتها الثقافية. مثال ذلك «النظام النيابى» هو نموذج تنظيمى يمكن ان تأخذه من الحضارة الغربية التى ظهر منها لأن لنا وجه نفع فى هذا الأمر، ولكننا نأخذه منفصلا عن النظرية الوضعية والعلمانية التى ظهر فيها لدى الغرب، ونخضعه لاصول شرعيتنا الاسلامية فيدور فى فلكها ويكتسب حجيته من اعماله لدينا فى اطار هذا النسق الثقافى الحضارى المركوز لدينا من النظر الاسلامى.

* * *

اقول اننا اذا نظرنا الى موضوع الحوار بهذا التصور، لا اكاد اتبين مجالا لاجراء هذا الحوار بيننا وبين الغرب، أى بين الحضارة الاسلامية بأجنحتها العربية الفارسية التركية الهندية الصينية، وبين الحضارة الغربية

بأجنحتها اللاتينية الجرمانية الانجلوسكسونية.

ويبدو لى ان الجغرافيا السياسية اوجبت فى القديم على العالم الاوروبى تكوين وحدات سياسية اجتماعية صغيرة، فلم يعرف التاريخ الاوروبى القديم وحدات سياسية مركزية كبيرة على نحو ما عرف الشرق فى الصين ومصر ودول مجتمعات الانهار الكبرى على سبيل المثال، وفى العصر الوسيط عرف امبراطوريات ونفوذا كنسيا لم يستطع ان يلغى سطوة الوحدات السياسية الاجتماعية المحلية من مقاطعات ومدن وغيرها، اشير الى هذه النقطة لأصل الى ماأريد استخلاصه، وهو ان التحدى الكبير الذى صادف الوجود السياسى والاجتماعى الاوروبى كان يتعلق بهذا التناثر والتجزؤ الذى فرضته اوضاع الجغرافيا السياسية، وان الحل الاوروبى لهذه المسألة تفتق بالتدريج وعلى مدى زمانى واسع، لابتكار الاشكال التنظيمية التى تمكن من التنسيق بين هذا التعدد والتنوع، والتجميع بين هذه الوحدات المتناثرة، ظهر ذلك لأول وهلة فى حضن الحضارة الرومانية بما عرفته من نظام «مجالس الشيوخ»، ثم ظهرت المجالس الكنسية كتشكيل تنظيمى تمكن من ادارة التنوع فى المجال الدينى، ومن هذه العناصر التاريخية استطاع الوجود الحضارى الاوروبى فى العصور الحديثة ان يبتكر صياغات هامة جدا تتقبل التعدد الاوروبى، وتصوغ له تكويناته الفكرية والتنظيمية وتشكل الانساق المجمعة للتعدد وللتنوع. وهذا فى ظنى ما أمكن به لهذه الحضارة فى العصر الحديث ان تنطلق الى ما انطلقت به الى المدى الذى نشاهده الآن. وانعكس ذلك فى اشكال عديدة، سواء بنشأة الدول الحديثة من مجموعات ومقاطعات

متعددة، او بنشأة نظم المجالس لتجميع الارادات الفردية وصياغة ارادة جماعية واحدة دون طغيان ارادة فردية على أخرى ودون ازهاق لها، او بنشأة التكوينات السياسية التى تجمع بين الدول القومية فى تنسيق أكبر، أو بنشأة الجمعيات والنقابات، او شركات المساهمة وغيرها من اشكال تجميع الجهود وتجميع الاموال وادارتها ادارة مشتركة بطريقة مجلسية، وتفتق ذلك عن توزيع للسلطات والاختصاصات وتقسيم العمل وغير ذلك مما هو معروف مشتهر فى مجالات بحثه.

هذه الحضارة الأوروبية التى استطاعت ان تقوم بهذه المهمة الكبيرة بنجاح ليس له مثيل آخر سابق، لم تستطع ان تنفتح على غيرها من الحضارات الاخرى.

واتسمت بقدر عجيب من الاستغناء عن الآخرين واعتادت التعامل مع غير من يصدق عليهم وصفها الحضارى باعتبارهم خارجين وباعتبارهم «آخرين». وهذا التوجه نجده كالخيط الثابت الذى يصل مراحل هذه الحضارة من اول العصر الرومانى الى هذا العصر الحديث. ونعرف من وقائع التاريخ الرومانى القديم الى اى مدى كان مفهوم الانسانية يتوحد بمفهوم المواطنة الرومانية، وان ما يتجاوز الرومان فهم فى اعين الرومان والنظام الرومانى برابرة او «شعوب» ليس لهم جدارة التعامل وفقا لضمانات النظام الرومانى. ورغم كل ما نعرف من تغير وتطور عرفه التاريخ الاوروبى على مدى اكثر من الفى عام، نفاجأ بان هذه النظرة هى ذاتها النظرة التى مارستها أوروبا المتحضرة بالحضارة الحديثة فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين، بعد ان مرت بالنهضة والاصلاح والتنوير،

ونحن نلحظ ان العقل الاوروبى لم يستطع ان يتقبل جدارة وصفنا بوصف «المواطنة» فى بلادنا الا بعد ان اغتصبنا الاعتراف بهذه الجدارة اغتصابا بما قمنا به من حركات تحرير على مدى القرنين الاخيرين، اما قبل هذا الاعتراف فكان يطيب لهم وصفنا باننا «الاهالى» او السكان او القاطنون بهذه الجهات، ويطيب لهم ان يصفوا نظمنا بانها عادات واعراف واوضاع مرعية، فلا شعوبنا الشرقية جمعاء جدير الواحد منها ان يوصف بوصف «االمواطنة»، ولا اوضاعنا جدير اى منها ان يوصف بوصف «النظام» او «التشريع». ولهؤلاء الذين هم «نحن» اى شعوب الشرق وجد علم «الانثروبولوجى»، ولا اكاد انسى عندما فتحت دائرة المعارف البريطانية لاقرأ ما بها عنه، فوجدتها تقول انه علم تطور الكائنات البشرية، وان «مادته الخام» هم الاسكيمو والبرابرة والهنود الحمر والعرب والمغول... الخ. ولم اعرف بعد ان الاوروبيين يضعون بحث شئونهم ضمن مباحث علم الانثروبولوجى.

* * *

ان العقل الغربى لم يستطع – فى تقديرى – ان يسلم أو حتى ان يظن ان هناك طرقا واساليب فكرية وتنظيمية أخرى، يمكن بها تحقيق كل الاهداف السياسية والاجتماعية التى تفتقت عنها حضارته فى ابهى ماوصلت اليه، ولا تحقيق كل المثاليات الاخلاقية التى بشرت بها حضارته فى ابهى صورها، لم يستطع بتاتا ان يقر بان ثمة طرقا واساليب اخرى متعددة، يملكها كل نسق حضارى، وتتفتح لذيه من داخله وبمادته الفكرية ومن خلال نظرته الفلسفية وتراثه الفكرى والتنظيمى وفى

اطار مرجعيته وما يمتلك من معايير الاحتكام للتمييز بين «الحسن والقبيح»، بالتعبير الذى استخدمه علماء الكلام المسلمين.

ان الفكر الغربى مثلا، اعتاد ان يعترف بالحقوق مطلقة فى صورتها الفردية، ثم يعود فيقيدها، ونحن اعتدنا فى حضارتنا الاسلامية مثلا، بدلا من ان نعترف بالحق للفرد أولا ثم نقيده بعد ذلك، اعتدنا ان نقر الحقوق فى صورة واجبات على الغير، فالحق فى الملكية مثلا نعبر عنه فى صورة نهى عن العدوان عليها، والحق فى المساواة يرد فى صورة نهى عن الظلم، والظلم هو التجاوز على الآخرين او الانتقاص منهم.. وهكذا.

واستطرادا او تناسبا مع ذلك اعتاد الفكر الغربى مثلا ان ينظر الى الفرد على انه الاصل، ثم ينظر الى الجماعة على انها مقيد للفرد ومحدد له، فأصل الاطلاق فى الحقوق فردى، وعوارض التقييد للحقوق جماعية، ولكننا اعتدنا ان ننظر الى ان الفرد لم يوجد وحده قط، وان وحدته تعنى فناءه، فالاصل فى العمران والمجتمع هو الجماعة، ثم يرد النظر الى الفرد بإزاء الافراد الآخرين داخل الجماعة. ومن هنا صيغت الحقوق الفردية بوصفها واجبات على الآخرين. ولكن العقل الغربى لم يستطع ان يدرك هذه المسألة، ولم يستطع ايضا ان يعترف بان ما اقرته حضارته الحديثة من مائتى عام او يزيد قليلا، كان مقررا ومعترفا به فى الأدبيات الاسلامية قبله باحد عشر قرنا.

ان تمركز الوعى الغربى على ذاته، لم يستطع به قط ان يدرك ماعسى ان يكون من نواقص او شذوذ فى تقويماته لبعض الامور، ولا استطاع أن يدرك ان ما لدى الآخرين فى هذه الأمور هو الطبيعى والأميل

الى التوازن، فمثلا التوازن الذى يوجده الموقف الفكرى الاسلامى بين عالم الغيب والعالم المشهود، وبين الروح والمادة، وبين المطلق والنسبى، كل ذلك يراه الموقف الغربى غير مفهوم، والمفهوم لديه هو ذلك الفصل الكبير بين الغيب والشهود وبين الدين والدنيا، فصلا افضى بالفكر الغربى الى مارأيناه من تراوح عبر تاريخه بين الايمان بالروح وبالدين وانكار الماده والعزوف من الدنيا، وبين رد فعل ذلك الى انكار الدين والارتماء فى الماديات والدنيويات وحدها.

وكذلك مثلا العلاقة بين الرجل والمرأة، تذبذب الموقف الغربى بين جمود العلاقة الزوجية الوحيدة المؤبدة مدى العمر بصرف النظر عن اوضاع البيئة وظروف الجماعة البشرية وما قد تفرض من ضرورات احيانا، وبين إنحلال هذه الرابطة وانطلاق تلك العلاقة من ضوابطها الاجتماعية، وضياع معيار التمييز بين الشرعي وغير الشرعى، ورأى الموقف الغربى ان كل ذلك طبيعى، اما ان يوجد تنظيم يقرر مشروعية الزواج فى اطار التراضى وفى اطار امكان فصم العلاقة شرعا ان فقدت اسباب قيامها والتراضى بشأنها، وان يقرر كضرورة اجتماعية او انسانية امكان التعدد بشرط عدم الاضرار وبامكان التوافق بين الاطراف جميعا، لمواجهة الظروف المتغيرة، اما ان يقر النظام الاسلامى تنظيم هذه الدرجة من التوازن والمرونة، وتتضح فيه معايير الشرعية بضوابط تتعلق بالاعتراف الجماعى بهذه العلاقة، فان كل ذلك يعتبر لدى الموقف الغربى «شذوذا» او وضعا متخلفا.

* * *

لا اريد ان اطيل وحسبى ماذكرته من رؤوس موضوعات، وانهى هذا الحديث بانى لا اجد امكانية جادة لحوار بين انداد يجرى بين الاسلام عقيدة وحضارة وبين الغرب فلسفة وحضارة، أو يجرى بين اى من حضارات الشرق وبين الحضارة الغربية، لا اجد امكانية لذلك الا بمراعاة امور يتعين ان يعدل الفكر الغربى من موقفه ازاءها، ومنها أمران:

أولا: ان يفسح الغرب من نظرته الى التعددية، فلا يعترف بامكان التعدد والتنوع داخل اطار حضارته الغربية فقط، وان يتقبل التعددية الحضارية.

ثانيا: ان يدرك انه لا مصلحة ولا صواب فى تنميط العالم وفق النموذج الحضارى الغربى من حيث وسائل تحقيق الغايات الانسانية، وان يقر أن لكل حضارة ان تستخرج الغايات الانسانية من نسقها الفكرى والتاريخى وان تقيمها بمادتها الحضارية ومن داخل اصول تلك الحضارة، ولكل من هذه الحضارات ان تستنبط الوسائل المؤدية لهذه الغايات مسنودة الى ما تعتبره اطرا مرجعية لها ومعايير احتكام وشرعية لديها.

وان جرى ذلك، فاننا من جهتنا لن نكون قط مستغنين عن الخبرة الأوروبية الامريكية المعاصرة من حيث الفكر ومن حيث النظم وذلك بشرطين:

أولهما: ان يترك لنا الغرب ان نختار ما نراه مناسبا لنا ونافعا من نماذج حضارته فكرا ونظما، كما اخترنا من قبل فى ذروة ازدهار الحضارة الاسلامية فى العصر العباسى، وكما اختار الغرب منا فى نهايات

القرون الوسطى، وذلك جرى على الجانبين بغير قسر ولا فرض من احد على الآخر، وبغير محاكاة صدرت عن الانبهار وفقدان التوازن.

ثانيهما : ان يترك لنا ان نجتهد فيما نختاره من نماذج الحضارة الغربية، لاجراء مايلزم من عمليات الهضم والتمثل الحضارى لهذه النماذج، فتضم الى الانساق القائمة وتمتزج بها وترد الى اصول شرعيتها وتستوعب فى اطرها المرجعية، بمثل ما كان يصنع مفكرونا ومصلحونا فى القرن التاسع عشر، وبمثل ما صنع ويصنع بعضهم بعد ذلك.

الهمنا الله الرشاد ونفع بهذا الكتاب وبصاحبه امة الإسلام والعرب.

والحمد لله،،،

طارق البشرى

رجب ١٤١٦ هـ/ ديسمبر ١٩٩٥

مقدمة

أحمد بن بلة

هذا الرجل دوره لم ينته..

القادة التاريخيون لايرتبط دورهم بوجودهم في سدة السلطة أو على قيد الحياة.. وهذا أحد أسرار عظمتهم..

والأمة تحتاج أكثر ماتحتاج اليوم إلى سماع أولئك التاريخيين الأكبر من الحكم.. الأهم من الحكام.. خصوصاً، عندما تكون الأمة على شفا جُرُفٍ هارٍ من نار السقوط، سيّما وحاضرها يكتنف مستقبلها بأحابيل الهزيمة فيرديه..

هذه الأمة، اليوم بحاجة إلى أمل جديد، والأمل لن يأتي الجماهير من حيث كراسى السلطة، فالسلطة هى التي «أنجزت» الحاضر بكل مآسيه وهمومه وآثاره التى تبحث عـمّـن يزيلها..

والأمل لن يأتي الجماهير من الأحزاب.. تليدها وعتيدها، فالأحزاب أيضاً أسهمت في إنجاز الحاضر..

وانما يأتي الجماهير بالأمل، من لم يجعل السلطة أكبر همه ومبلغ علمه..

رجال يوقظون بواعث النهوض الكامنة في حنايا التاريخ، ويستبطون من ذلك التاريخ قوانين النصر والسؤدد فينشرونها بين الناس علماً ينير الجنبات وحكمة تروي شجرة حياتهم حتى تثمر الشجرة مصابيح هدى على الطريق الوعر..

ومن هؤلاء الرجال .. أحمد بن بلة..

أحمد بن بلة غني بالطبع عن أن يعرفه أحد إلى أحد..

فهو الرجل الذى نذر نفسه لقضية الحرية، لا أرهبته جيوش القوة الإستعمارية الغاشمة، ولا ردعته سجون الفئة الباغية الظالمة..

وخرج بعد ذلك كله ومنه، بشيراً يقينه الأول.

هذه ظاهرة مضيئة في تاريخنا العربي والإسلامي ينتمي إليها الحسين وخُبيب ونفر من مجاهدي فلسطين وقلة من الذين مروا على معتقلات نصبها العدو في أنصار ١ و ٢ و ٣ ..

أولئك الرجال .. الرجال..

الذين قد تصهر المعاناة جُلُودهم لكنها لاتذيب جَلَدَهم، قد تكوي الأهوال شعورهم، ولكنها لاتزحزحهم قيد شعرة عن مبادئهم..

بل إن المعاناة تستعر والأهوال تحتد وتشتد، فيزداد إعتناقهم للحق حتى إنهم ليصبحون ربانيين..

فمن أجدر من هؤلاء بأن تصيخ لهم الأرض الأسماع من بعد الرحمن؟

من الجبال إلى الرئاسة..

ومن الرئاسة إلى السجن..

ومن سجن العدو إلى سجن الشقيق..

ومن السجن إلى المنفى..

ومن المنفى الإختياري إلى المنفى الإجباري..

لم يحمل الرجل هموم أمته موسما ويتركها في آخر، ولم يرتحل عنها إلى حيث الجاه والعز ولو كانا طلبتيه، لنال لشخصه منهما الكثير..

بل لو شاء لعاد رئيساً بإرادة فرنسية أو بـ «سيناريو» أمريكي.. لو شاء لأتته الرئاسة منقادة مطواعة، ولو أنه كان ممن يحفلون بالرئاسة أو يجعلونها غايتهم لما فقدها..

وإنما فقدها لأنه لاينتمي إلى مؤسستها أصلاً..

فقدها لأنه من الجموع واليها، ينتمي ومثلها يفكر ولخيرها يعمل..

ولو شاء أحمد بن بلة لآثر الراحة وحياة القصور مكتفياً بماضٍ قريب أسهم في رسم المُشرِق بين ملامحه الجزائرية والقومية والعالمية..

وانما هو تخطى السبعين كما تخطى العشرين من قبل، مفرقاً جسمه في جسوم كثيرة، كوصف عروة بن الورد في شعره، باذلاً جهده ووقته على مدارج مجد الأمة مناضلا لإنقاذها، حتى إنه في شيخوخته -ماشاء الله- لم يزل ذلك الفدائي نفسه الذى عرفته ثنايا الأوراس وحارات طرابلس العرب ومعسكرات الثورة في القاهرة زمن رفيق السلاح ورائد العروبة جمال عبد الناصر.

وانى لأذكر حواراً جرى مع بعض المناضلين القوميين من المعاصرين لكفاح بن بلة في إحدى ساحات المشرق العربي، فلفت نظري أنهم قد أجمعوا على أن الأمة لم تكن لتصاب في أحد رموزها التاريخية، لولا أنه كان بسيطاً وعفوياً بأكثر مما تحتمله مؤسسة الرئاسة، كان بن بلة رجل الشارع في السلطة ولم يكن رجل السلطة في الشارع، لم يتحول الثائر إلى رسمي وبروتوكولي ولم يتعامل مع الجماهير التي هو واحد منها معاملة الزعيم والرئيس والمهيب والرهيب، وتعامل مع رفاق السلاح كأنداد لا كأتباع، كشركاء في بناء الجزائر لا كأجراء في إقتسام عوائد بنائها، عاملهم كما تقتضي الأخوة والرجولة العربية الإسلامية، فأنسلت السلطة من بين يديه غير مأسوف عليها، وإنما الأسف على الأمة وعلى الثورة وعلى الجزائر..

هذا الرمز الذي أحببناه صغاراً وعقلناه كباراً، حاورته مراراً وعلى مراحل بين جنيف وطرابلس في الفترة مابين شهر ذو القعدة / جمادى أول ١٤١٦ هـ - أبريل/ أكتوبر ١٩٩٥ فوجدته متدفق العلم، غزير المعرفة، واسع الإطلاع، يدهشك بمتابعته الدقيقة لما يصدر عن الوطن، كما يذهلك بتتبعه لما يصدر من نتاج فكري وثقافي وعلمي عن العالم كله، حتى لكأنه موسوعة آدمية، بوسع المرء أن يمخر عبابها دون أن يتكهن بمقدار المسافة التي تحجزه عن الشاطئ..

ولعل أبرز مايلفت الإنتباه إلى فكر الرجل هو التكامل الذي تلمسه في منهجه ورؤيته، وهي سمة تذكرنا بالمثقفين العرب والمسلمين العظام، الذين جمعوا إتقان العلم إلى إدراك الدين، فكانوا المنارات التي إقتبست منها أوروبا القرون الوسطى مشاعل نهضتها التالية..

و بن بلة هو حالة فكرية متجددة متطورة منفتحة على كل الثقافات والإبداعات الفكرية الإنسانية يغوص فيها دون أن يفقد أساسه المتين، باحثاً عن الحقيقة من أجل الإنسان.. الكائن الذي خلقه الله ففضله على سائر مخلوقاته، فاتحاً عقله وقلبه للجميع دون إستثناء، فهو يحاور ويستمع إلى الجميع أياً كانت مواقعهم الأيدلوجيه، عن يقين بأن الحوار هو طريق وحيد لحل المشاكل وتذليل العقبات التي تعترض نهوض الأمة، فهو يعمل كرافعة معنوية لكل فعل نهضوي ولكل حركة نهضوية، وبهذا الفهم تجده متابعاً لكافة قوى وفعاليات الأمة في حركتها السياسية والثقافية والإجتماعية داعماً كل إيجابية تحقق المصلحة العليا

أياً كان مصدرها.. قومي أو إسلامي أو إشتراكي، فالمعيار لديه هو المصلحة العليا ومن يحققها للأمة ومن لم يأبى أن يكون أسير حالة حزبية أو حركية أو تنظيمية، إنه حالة جماهيرية شعبية ترفض الإكراه وتنبذ التعصب.. وهو أيضاً حالة صوفية من العطاء والحب والوفاء للأمة العربية والإسلامية.

واستثارتني ذاكرة الرجل، فهو ـ ماشاء الله ـ كأنما يتلو عليك من كتاب مفتوح، فترفد ذاكرته الحية حجته الداحضة، حتى ليكاد منطقه يلقف ماصنعوه بسحرهم وبطله..

ولقد حاورته فوجدته يبرز الفكرة الجديدة كلما طال الحوار، حتى تحيرت كيف أضع سياقات للحوار وكيف أنهيه وهو يتجدد باستمرار، وأصارح القارئ العزيز بيقين لدي، بأن مالم يقله بن بلة في إجاباته عن أسئلتي ربما كان أكثر وأخطر مما قاله..

ولم أجد منه عزوفاً عن إجابة أي سؤال، إلا واحد أو إثنان حاولت فيهما أن أستصرحه عن رأيه المباشر في قوى وأحزاب بعينها، فهو يريد أن يبني ويضيف لا أن يحذف وينتقص..

والمستقبل هو جل حديث بن بلة ومحور إهتمامه الرئيسي، بل إن حماسه لتسجيل هذا الحوار في كتاب نبع أساساً من رغبته بالتوجه إلى الشباب العربي بإعتباره صانع المستقبل...

الرجل مسكون بالمستقبل، يقلقه مصير الأجيال العربية

والمسلمة، حتى ليكاد يبتغي لها نفقاً في الأرض أو سلماً إلى السماء.. إن إستطاع إلى ذلك سبيلاً..

لم اكن أتصور أني سأصادف إنساناً يملك كل ذلك القلق على المستقبل العربي والإسلامي، مع ملاحظة أن القلق لديه لايترادف والتشاؤم..

على العكس تماماً.. إنه متفائل.. وربما كان متفائلاً إلى حد القلق..

وهل يمكن ألا يقلق الضمير؟

فأحمد بن بلة رجل بحجم الضمير..

إنه الإسم الحركي للضمير العربي الإسلامي..

وهو أيضاً.. ضمير المستقبل.

سامي لطيف

طرابلس الغرب

جمادى أول ١٤١٦ هـ



صورة للكاتب مع المناضل أحمد بن بلة

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيْم

﴿وكذلك أنزلنه حكما عربيا، ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم مالك من الله من وليٍ ولا واقٍ﴾

صدق الله العظيم
الآية ٣٧ من سورة الرعد

المحور الأول

صراعات الحاضر

أزمة المنظور

أسباب الإنهيــار

■ **بعد حوالي نصف قرن من رحيل الاستعمار المباشر وقيام الدويلات القطرية التى حكم بعضها باسم الإسلام وبعضها باسم القومية وبعضها باسم الاشتراكية وبعضها باسم الليبرالية، يبدو الوطن العربى على حافة انهيار شامل وفي حالة استسلام شبه كامل، ماهى الأسباب التي أدت إلى الإنهيار؟**

☐ السبب الأساسي في رأيي هو قصور نظرتنا، وعدم شموليتها لمفهوم الإستعمار ومايمثله، فأنا أعتقد أننا لم نكن نملك نظرة وافية وعلمية لما تعنيه كلمة الاستعمار، نحن خضنا نضالاً ضد الاستعمار وواجهناه بهذه النظرة القاصرة قليلاً، فالإستعمار ليس جيوشاً فحسب، وليس بلاداً تخضع بلاداً فحسب، لتستلب منها ثرواتها.. إنه نظام عالمي شمولي وليس نظاماً إقتصاديا فقط أو نظاما إجتماعياً فقط، هو نظام إقتصادي واجتماعي وعلمي ونمط أبستمولوجي وثقافي، هو نسق مكتمل، يكون نظاما عالمياً، وفي الوقت ذاته حضارة عالمية ونحن تخلصنا من نوع من أنواعه هو النوع المباشر المتسلط، لكنه نظام ضارب في القدم، فهو قائم منذ خمسمائة سنة، منذ إكتشاف أميركا، ومنذ سقوط غرناطة بالذات سنة ١٤٩٢م، وقد تكون وتطور لكنه ظل يحتفظ بهدفه ذاته وهو السيطرة وتهميش الغير ورفض الغير لتظل ثقافته هي السائدة في العالم، أي هو نسق حضاري لم نتخلص منه في واقع الأمر، وإن كنا قد تخلصنا فقط من سيطرته المباشرة في المجال العسكري، وتسخيره الذي كان مفروضا علينا، وقد حسب معظمنا أن

أمره قد إنتهي بعد رحيله عنا، ولكن أمره لم ينته في الحقيقة، صحيح أننا استرددنا أرضنا وتخلصنا منه كظاهرة، لكننا لم نتحرر من إستغلاله لنا وماخلفه لنا من وضع اتسم بالضعف، كان الإستعمار يسيطر علينا بجيوشه، أما الآن فهو يسيطر بأساليب أخرى، فنظامه العالمي يقوم على الهيمنة الشاملة من خلال مايسمى بالأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها مثل مجلس الأمن الذي صار اليوم أعلى هيئة سياسية وعسكرية دولية يتحكم من خلالها في شؤون العالم وفق مشيئته لتحقيق مصالحه والحفاظ عليها، كذلك بقية المنظمات والهيئات الدولية مثل منظمة العمل ومنظمات الزراعة والصحة، والتربية والعلوم، والطاقة، وصولاً إلى البنك الدولي وصندوق النقد الدولي الذي يتحكم في كل شيء.. من حبة القمح إلى تسليح الشرطة لدينا..

نحن إسترددنا الأرض نوعاً ما، لكن المشكلة تكمن في طريقة ترجمتنا لحضورنا، كيف يمكن أن نبني دارنا؟ كيف نعطي معنى لهذا البناء الذي نطلق عليه إسم التنمية..؟.. هذا يفرض علينا أن نطرح المعايير التي كانت سائدة قبل خروج الاستعمار، نحن نعيش داخل دار صممت هندستها لغيرنا، وفرض علينا العيش داخلها، حتى بنية هذه الدار وهيكلتها مفروضة علينا، بل ونوعية حياتنا في إطار هذا النظام العالمي الذي يطلق عليه إسم الليبرالية، وهي نوعية تتنافى مع جوهر ثقافتنا، بالذات مع الإسلام، ونحن ننهل من هذا النظام الليبرالى كل لحظة، فحالنا لم تتغير بعد خروج الإستعمار، ومازلنا نتخبط..

أضف إلى ذلك أننا نعيش في منطقة حيوية بالنسبة إلى العالم،

بقدرتها وطاقاتها، وبخاصة ماتملك من ثروات منها النفط والغاز، وبموقعها الإستراتيجي المترابط والمتناسق والذي يشكل حزاما للمعمورة يمتد حتى ماليزيا وأندونيسيا.. وبحسب معطيات الإستعمار فإنه يركز إهتمامه على المناطق التي تهمه والتي له فيها مصلحة، وهذه النظرة يعترف بها الغربيون أنفسهم.. خذ مثلا «روفان» في كتابه (الإمبراطورية والبرابرة).. تجده يشير إلى أن ثمة حزاماً يهم الغرب منذ القدم، فالبلدان البعيدة عن هذا الحزام لايعيرها إهتماماً، لكن يهمه جداً البلدان الواقعه داخل هذا الحزام والتي تتركز فيها مصالحه، من نفط وغاز أو مناطق مواجهة قريبة أو حيوية، فإنه يصرّ على إمتلاكها، وهذا الخط يمر في بلداننا بالذات، لقد كان الرومان يطلقون على هذا الحزام إسم اللمس، وماوقع داخل اللمس من بلدان يهتمون به، ولايعيرون إهتمامهم للبلدان الواقعه خارج نطاق هذا "اللمس"، "روفان" هذا فرنسي يعمل في منظمة طبية وهو يتكلم كثيراً عنا.. وهو شخصية مشهورة..

هذه هي إذن سياسة الإستعمار: التركيز على مناطق حيوية فهو مثلاً لايهتم بأنجولا أو ليبريا أو موزمبيق التي تعاني من صراع دام منذ سنين، لكنه يهتم جداً بما يجري في العراق أو سورية أو الجزائر.. بهذا نعلل بإختصار سبب التمزق عندنا، والذي ظهر بوضوح إثر زوال الإستعمار المباشر، وقد أشرت إلى أننا لم نكن نملك معرفة عميقة بطبيعة الإستعمار، لقد حكمنا على شكله الظاهر، وفرحنا برحيله لما قلنا أن على الإستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل، في حين أن الإستعمار لايتجلي في مظهره، إنه ماثل في أعماقنا، في ثقافتنا، وفي

النظام العالمي الذي يسيطر هو عليه وليس نحن، وهو مازال يسير الأمور من وراء الستار.

ولم نزل نحن في حالة إستعمار مقنع من خلال الانظمة التي أسسها وهندسها وصممها بالكامل على أساس التبعية المطلقة والربط المباشر بمؤسساته الإحتكارية الإستعمارية وتنصيب حكام منا كانوا يعيشون معه متأثرين بنمطه مقتنعين بفوائده ويمثل لهم النموذج الراقي، وبذلك، وبمجرد رحيله، عملوا على تأسيس مايسمى بالدولة التي هي بكل تأكيد نسخة مشوهة عن الدولة السائدة في الغرب الإستعماري، بإمكاننا أن نقول أن الدولة في الغرب قامت من خلال تفاعل وصراع إجتماعي شاركت فيه أغلب المؤسسات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والثقافية، عبر مئات السنين حتى وصلت إلى حالة أطلق عليها دولة المجتمع، أما الذي حصل عندنا فهو العكس تماماً، الدولة قامت بقرار إستعماري وفق قوانينه ودساتيره ولوائحه وأنظمته وفلسفته، ولكن بشكل مزيف، وبالتأكيد منذ اللحظات الأولى لقيامها عملت على أن يتحول المجتمع إلى أحد ممتلكاتها وأصولها الثابته، فصار المجتمع تابعاً للدولة، تهيمن عليه وتحد من تطوره وتفاعله الإيجابي لصنع مستقبله وتصحيح الأوضاع الظالمة والخاطئة التي فرضها عليه الإستعمار وأعوانه، لقد تمت هندسة المجتمع وتركيبته وعلاقاته بقرار بوليسي مخابراتي يعمل على ديمومة النظام ودولته وبالتالي يحول دون حركة المجتمع بإتجاه التغيير، ليتمكن من تأسيس دولته هو لا دولة االنظام الحاكم..

ما البديل

■ **يؤكد الواقع المعاش الإخفاق الكبير لتلك الدويلات القطرية والمؤسسة الجامعة لها والتي سميت بجامعة الدول العربية، بل وللتجمعات الإقليمية مثل اتحاد المغرب العربي ومجلس التعاون الخليجي ومجلس التعاون العربي، كل الصيغ القطرية والإقليمية أخفقت في تلبية الإحتياجات المتعلقة بالتنمية والحرية والإستقلال والهوية الحضارية والثقافية للأمة العربية، فما هو البديل؟؟**

❑ قبل أن أتكلم عن البديل بودي أن أتحدث قليلاً عن جانب آخر لهذا النظام العالمي، كي نعرف جيداً كنه الجماعات التي تتحكم في بلداننا، دعنا نشخص بدقة هذه الجماعات، لقد تحدثت عن بعض خصائص هذا النظام العالمي ومنها التسلط وتهميش الآخرين وإستنزاف الثروات والتحكم بمصيرنا، فمن ضمن عملية التحكم تندرج مسألة التسلط الثقافي، وإنما هناك تسلط آخر، وهو حرص الإستعمار، أو ذلك النظام العالمي تحديداً، على أن ينصب علينا أناساً يخضعون لمنطقه هو، هناك بالطبع إستثناءات عجز المستعمر عن إستحواذها، ففي مصر عجز عن التحكم بمسار مصر يوم تسلم عبد الناصر السلطة، وفي الجزائر لم يستطع التحكم حين ظهر أحمد بن بلة، لكن الإستعمار يصمم على التخلص من أمثال هؤلاء، لابد له أن يعمم ذلك النمط من الحكام الذين يسايرونه ويتآمرون معه بصورة أو بأخرى، ولكنهم في الجوهر مستسلمين لسيطرته منصاعين لأوامره، إنه محتاج إلى حراس لمصالحه و"بوليس" محلي يسير الأمور وفق سياسته وكل إستثناء يجب أن يقضى

عليه، وبكل صراحة، فإن الإستثناء الخطير الذي زعزع أركانه قليلاً وبدا أنه من الممكن أن يشكل بديلاً لنظامه هو عبد الناصر، لكنهم ضربوه، لم يكتفوا بضربه، ولأنه كان يمثل الظاهرة النقية الوحيدة تجدهم حتى الآن قادرين على تطويع أفكار أناس منا.. من أبناء جلدتنا يشككون فيه.. مازال بيننا أناس يشككون في المحاولات النظيفة التي جرت ويناصبونها العداء أكثر من الغربيين أنفسهم، إستطاع المستعمرون أن ينفذوا إلى ذهننا وعقولنا وقلوبنا ويشخصوا في داخلنا داء كرهنا لذاتنا ولكل ظاهرة نظيفة في تاريخنا المعاصر، أذكر هذا لكي نفهم الغرب جيداً، فهو لايكتفي بأن يضع النظام، بل يلتمس الوسائل أيضاً، ومن ضمن هذه الوسائل للاسف مانعبر عنه في مثلنا الشعبي البسيط «دوده في عوده»، وقد تبين على... مدى تاريخه أنه يستعين بحكام منا وينصبهم

■ ■ كورثة شرعيين..

□ نعم كورثة شرعيين لما يهدف إليه، وهذا يفسر كل ما جرى ويجري في الساحة إلى يومنا هذا.. هذه حملة صليبية عصرية، والبديل للخروج من هذه الحال هو في رأيي بالتوعية أولاً، توعية شعبنا بحقيقة هذا الفخ الكبير الذي نصب لنا لنكون على دراية، لتقع طفرة نوعية في ضمير شعوبنا، وفى رأيي أن ضمير شعبنا لايحتاج إلى معالجة خطيرة أو كبيرة جداً، فأنا أعتقد أن ضمير شعوبنا موحد، وأقول بين قوسين علينا أن نتوحد، والغرب اليوم يقدم لنا درساً هو أنه يجب أن نتوحد، لأنه هو نفسه يتوحد، أوروبا توحدت وإنتهى الأمر، اليوم توحدت سبع دول أوروبية لم يبق بينها من حواجز، حتى الجمارك أزيلت، وأميركا توحدت

حتى مع كندا والمكسيك، آسيا توحدت فيها ثماني عشرة دولة، أميركا اللاتينية شكلت دولها مشروعاً وهي في طريق التوحد، والولايات المتحدة بعد أن أقامت وحدة مع كندا والمكسيك سعت إلى توحيد أميركا الجنوبية، لصالحها طبعاً، وحضر كلينتون إجتماع دول آسيا، وبعد أن تفردت الولايات المتحدة بقيادة العالم تسعى لتسخير العالم كله، لكن هذا درس لنا، فأميركا تفكر في إقامة هذه الوحدات أو التحالفات لتكون قادرة على مواجهة الصين بعد زوال الإتحاد السوفييتي، وهي تتطلع إلى بروز قوة هائلة في آسيا هي الصين، هناك قوتان في آسيا الصين واليابان، وكل منهما تحاول بناء نفسها، وهما تسيران باندفاع هائل نحو التنمية أو مايسمى الآن بالتنمية والتقدم، وسنعود فيما بعد إلى الكلام عن التنمية، وسنرى أن هذه التنمية التي تطمح اليها بلدان العالم اليوم ليست هي التنمية المناسبة.. لكن هذين البلدين يسيران فيها على النمط الغربي وبخطط سريعة، ولعل الصين تسعى إلى أن تكون الدولة الأقوى في العالم خلال السنوات العشرين القادمة، إنها تسير بزيادة مطردة في التنمية بنسبة تتراوح بين ١٢-١٥٪ وكل التكهنات تشير إلى أن آسيا ستكون في المستقبل هي القارة الأقوى، وربما كان هناك قطبان وذلك أفضل، والعالم يسير حول تجميع قواه في خمسة أو ستة أقطاب، ولن تكون الولايات المتحدة هي القطب المهيمن، وربما ستكون أوروبا أقوى منها، أما آسيا، فالجميع، حتى الأميركان، يتوقعون أن تكون القارة الأولى.. هذا مايقولونه.. فما موقعنا نحن داخل هذا؟..

في رأيي علينا أن نجمع عناصر قوتنا، فالثقافة من غير قوة تصبح

ثقافة مسخّرة، هذا مايفرضه النظام، فكيف يمكن أن ندرس وضعنا؟ نحن نملك نقطة إيجابية وهي ليست من صنعنا إنها تدبير إلهي منحنا إياها الله، هي مسألة النسل، سيكون عددنا كبيراً ولاشك، نحن العرب سنصبح بعد عشرين سنة ٥٦٥ مليوناً، وهو أمر له مدلوله الجيوبولوتيكي، حتى مسألة وجود إسرائيل سينظر لها آنذاك من زاوية أخرى، وعلى الصعيد العالمي سيشكل الإسلام بعد مئة سنة مابين ٤٣-٦٥٪ من سكان العالم، وهذه النقلة لها أيضاً مدلولها الجيوبولوتيكي، نحن يجب ان نستعد لهذه النقلة ولو انها تتطلب زمناً، وذلك يعني ضرورة إسترداد قوانا والسير في طريق التكنولوجيا، والتكنولوجيا القائمة حاليا لاتؤدي المطلوب لنا، فهي تكنولوجيا غير محايدة. إذ لايسمح لنا باستخدامها لإبراز منظور عروبي-إسلامي، إنها ليست محايدة الآن لاهي ولا العلم، وليس هناك الآن علم واحد بل علوم، وهي مسخرة الآن لما يسميه الغرب: التنافس، أو الصراع من أجل الحياة، وهي صبغت كل التربة الثقافية عند الغرب، التربة الثقافية الفلسفية والجيوبولوتيكية، والصراع من أجل الحياة هو المبدأ الذي ينظر إليه على أنه المحرك للحياة، وهو بالطبع يخدم من يملك القدرة على الصراع مثلما يخدم- في رأيهم - من لايملك هذه القدرة أو القابلية، بمعنى أن النفع العام أو الصالح العام يعم الجميع، وهذا غير صحيح، وهذا مانراه الآن حتى في الطبيعة، فحدود الطبيعة اليوم هي في خطر، كخرق طبقة الأوزون وإرتفاع درجة حرارة الأرض والتلوث وإستهلاك الطاقة الجائر، إن أميركياً واحداً يستهلك اليوم من الطاقة مايعادل ٨٠ ضعف مايستهلكه الفرد في العالم الثالث، وهو يستهلك من الماء مايعادل ٣٥٠ ضعف مايستهلكه الفرد في العالم

الثالث، النفع العام او الصالح العام لايعم الجميع إذن ولكننا مضطرون أن نأخذ مانجد، ثم نرى بعد ذلك كيف نطور هذه التكنولوجيا وندخل في الخيارات الأساسية لنوعية الحياة ومعناها، هذا المعنى الذي أصبح معدوماً داخل هذا النظام العالمي الرأسمالي الليبرالي، إنه يتخبط في أزمات إجتماعية خطيرة منها المخدرات بالدرجة الأولى، فالمخدرات ليست مسألة مقدرة نازلة من السماء، إنها مسألة عضوية من مفرزات هذا النظام، ففي مجتمع محكوم بهذا النظام لايمكن للإنسان أن يعيش من غير أن يتعاطى المخدرات، وهذا مايقوله السوسيولوجيون والفلاسفة في الغرب...

لسنا ملزمين أن نأخذ هذا النظام، لكننا في البداية مضطرون أن نحاكيه، يكفي أن نأخذ منه كما تأخذ منه الصين اليوم، فهي تقتبس منه فقط مايضمن لها أن تحمي نفسها، لكن علينا فيما بعد أن نطعم هذه المفاهيم التكنولوجية والعلمية والابستمولوجية بما يتماشى مع كنه الإسلام وكنه ثقافتنا.. لا أدرى إن كنت قد أوضحت الفكرة؟

■ **أجل، وإن كنت أرجو توضيح ماعنيته بكلامك عن أن ضمير شعوبنا موحد..**

□ أقول وبناءً على ماسبق من كلامي حول نزوع العالم إلى التكتل، أن مسألة الوحدة أصبحت مسألة حياتية بالنسبة إلينا، لاشك في ذلك، فإذا كانت الولايات المتحدة تتحد مع المكسيك أو كندا، وأوروبا تقيم وحدتها ليكون لها شأن عالمي، واذا كانت الولايات المتحدة تراقب مايجري في أميركا الجنوبية لتمسك بزمام الأمور بيديها ومقاليد الحياة

هناك، فإن مسألة الوحدة لنا أصبحت مسألة أساسية، لذلك علينا أن نبذ كل محاولة تفرض علينا لتمزيقنا.. وقضية الخليج في الدرجة لأولى، يجب رأب الصدع بأقرب وقت ممكن، أنظر إلى ماوصلنا إليه اليوم من الترامي على أعتاب إسرائيل في الوقت الذي يجب أن يكون فيه موقفنا غير ذلك تماماً. أنا بالطبع لست مع ماقام به العراق، وقد صرحت بهذا، لم أوافق على إحتلال الكويت، ولكن أنظر حجم النتائج الخارجية للضرر الواقع، المسألة يفترض أنها بين العرب أنفسهم.. كما أن الوقوف إلى جانب العراق لايعني الموافقة على غزوه الكويت، وإنما للحيلولة دون التدخل الإمبريالى الأمريكي الغربي في المنطقة، أنا أدعو للوقوف مع العراق ضد الغرب وليس ضد الكويت، وعند بداية حدوث الأزمة عجزت الجامعة العربية والحكومات العربية عن إبقاء الصراع داخل الدائرة العربية، بل إن العكس هو الذي حصل للأسف عندما سارعت الجامعة وأقطار عربية لطلب التدخل العسكري الأمريكي، لقد عارضنا ذلك منذ البداية لأننا كنا نعرف ما سيترتب عليه، هذا الذي نراه اليوم من تمركز أمريكي دائم في مياهنا وفوق أرضنا.. ولكن الغرب إستطاع أن ينفذ من هذه الأزمة لتمزيقنا.. وقد مزقونا، تمزقنا جميعاً أكثر مما كنا ممزقين منذ قرون، ومازال بعض الإخوان مصرّين على أن ينكؤوا الجرح مع أننا ياأخي تعرضنا لجراح أعمق منه بكثير.. ولهذا أرى أن أي إنسان يسعى لتمزيق وحدتنا أكثر مما هي ممزقة يجب أن يحارب..

■ **كيف تقيمون المقترحات الداعية لرفع الحصار والمعاناة عن العراق وليبيا والتي تضمنتها دعوات صادرة عن حكومات وقوى**

سياسية عدة، وهل تعتقدون بأن عقد قمة عربية تسعى لمصالحة عربية رسمية يمكن أن تفيد في الظروف الراهنة؟

❑ أنا أؤيد المقترحات الجيدة وآخرها المحاولة التي قام بها الشيخ زايد بن سلطان* مطالباً برفع الحصار والمعاناة عنه شعبنا في العراق وبتحقيق مصالحة عربية شاملة، هذا كلام جرئ ومسلك حميد من الشيخ زايد ومن وزير دفاع الإمارات الشيخ محمد بن راشد في الحقيقة، وأهميته تعود إلى توقيته، إذ للأسف، بل وللعار، أن أصواتا خليجية وعربية أخرى ترفض مجرد اللقاء العربي العربي في الوقت الذي تشد فيه الرحال جهاراً للقاء الإسرائيليين، هذا مستوى غير معقول من التردي إلى الحضيض والمهانة، هل أصبح الصهيوني هو الصدر الحنون الذي ينام عليه بعض العرب بينما فلسطين محتلة وجنوب لبنان محتل والجولان محتل؟ إن مجرد الكلام عن إجراء مصالحة بين الحكومات العربية قد أصبح في الحقيقة كلاماً متخلفاً عما يجب أن يكون وأن يقال، هذا الإنهيار باتجاه التهافت على العدو والتهرب من الشقيق بل والإنسلاخ من الذات العربية الإسلامية يحتاج إلى معالجة فورية حاسمة ومصيرية، كيف ترفع المقاطعة عن العدو الذي يشرد أربعة ملايين عربي مسلم من فلسطين ويفرض الحصار على عشرات الملايين من العرب في العراق وليبيا؟ لم يبق سوى الإعلان رسمياً عن خروجنا من ملة الإسلام! هذا ما

---

* طرح الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة مبادرة للمصالحة العربية، ولوضع حد لمعاناة الشعب العربي العراقي في شهر جمادي الأول/أكتوبر الماضي ١٩٩٥، وكذلك وزير دفاع الامارات الشيخ محمد بن راشد المكتوم

لا أدري كيف يمكن تحمله؟!

■ هل بالإمكان توضيح وبيان صورة الوضع المثالي النقيض لما هو قائم في الوطن العربي الآن؟

□ أنت تسألني عن البديل، الآن وبعد أن إستنفد النظام الرسمي العربي من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار كل شعاراته ودعواته وتوجهاته السياسية والاقتصادية والإجتماعية والثقافية والعسكرية، وصل هذا النظام إلى نهايته بنفسه، والذي أوصله إلى هذه النهاية القاتلة والفاشلة والمدمرة للأمة العربية هي سياسته التي رسمها لنفسه بالتعاون مع الدوائر الاستعمارية المركزية في الغرب والتي قاتلتنا لسبب أننا كنا منذ البداية نرى أن المستقبل العربي الحقيقي لكل العرب من الخليج إلى المحيط يكمن في الوحدةالعربية، وعلى أساسها طرحنا برامجنا وأفكارنا لكي نتفاعل إيجابياً وعلى كل الصعد من أجل إنجاز الوحدة، ولكن هم تحالفوا مع الشيطان لوأد الفكرة الوحدوية وإختاروا طريق التجربة القطرية والإقليمية متوهمين أنها الطريق الصحيح للبناء والتقدم والتنمية، معتمدين على براميل نفط تقاسموها مع العدو وحرموها على شعبنا العربي كي لايستفيد منها في مشاريع تنموية وحدوية، من أجل هذه البراميل الزائلة أقاموا الحدود والحواجز وكهربوا الأسلاك الفاصلة بين الشطر والآخر وليمنعوا لقاء العربي المسلم بأشقائه، وهم في الوقت الذي حرموا علينا كعرب أن نعيش مع أخواننا في أرضنا العربية، أحلوا أرضنا لأعدائنا، ورغم كل شيء فباستطاعتنا القول أن الفترة الماضية بكل إخفاقاتها وإنتكاساتها وسلبياتها قد أفادت في تطور الوعي الجماهيري من وعي

حماسي عاطفي إلى وعي قومي علمي معرفي لدى قطاعات عريضة من جماهير الأمة، حتى أصبح ثمة يقين لدى هذه القطاعات بأن البديل هو الوحدة، الوحدة هي التي ستلبي إستحقاقات المستقبل لكل فرد عربي شريف وسيجد فيها الجميع مصالحهم الإقتصادية والنفسية من الطلاب إلى التجار إلى الفلاحين إلى المهنيين إلى التائهين اليوم في مواخير الغرب بحثاً عن لقمة العيش، فالوحدة هي الكرامة وهي العزة وهي المستقبل وهي البديل.

فخ الشرق أوسطية

■ **■ الفكر الإستراتيجي الغربي أطلق على لسان جورج بوش مقولة النظام العالمي الجديد.. الذي هو في رأيي وضع عالمي جديد لايخلو من مخاض أو من صراع كما ذكرتم قبل قليل قد يسفر عن بروز خمس أو ست قوى عالمية، غير أن هذا الذي يسمونه بالنظام العالمي الجديد يطرح مشروعاً قديماً قدم التوراة وقدم المشروع التوراتي الصهيوني لإحداث سيطرة شبه مطلقة على الأمة العربية في ثوب جديد أطلق عليه الإرهابي شمعون بيريز إسم الشرق الأوسط الجديد، ودشن هذا المشروع في الدار البيضاء.. فما هي مخاطر الشرق أوسطية على الأمة العربية وعلى مفهوم القومية العربية؟**

□ هذا الفخ المنصوب هو فخ تاريخ الإنسانية بالذات، فاليهودية والمسيحية ديانتان خرجتا من أرضنا، من بلاد أور في العراق وفلسطين، لكن على مر الأيام والسنين إستوعب الغرب الديانتين اليهودية والمسيحية، أخذ المسيحية وأعطاها طابعه ثم صدرها لنا وفق الشكل الذي منحها

إياه، وأخذ أيضاً اليهودية وطبعها بطابعه من خلال الأشكناز وصدرها لنا مجدداً وفقا لفهمه إياها وبصورة مناقضة للدين اليهودي تماماً، من ذلك قضية الدولة تحديداً..

أما عن المخاطر فهي واضحة ويمكن بسهولة إستنتاج مرامي مشروع الشرق أوسطية، واضح أن المشروع يستهدف ثروات العرب الهائلة من النفط والغاز والتي تؤهلهم لأن يكون لهم دور كبير في النظام العالمي من الآن وحتى خمسين سنة قادمة، بسبب إمتلاكهم الطاقة التي تسير آلية هذا النظام وتستخدم في هيكليته، فالطاقة ضرورية وحياتيه له، ووظيفة إسرائيل التي تحرض عليها هي توظيف الطاقة العربية من نفط وغاز لهيكلة النظام العالمي ومن ثم تفكيك وحدة العرب، وبعد حرب الخليج وبعد حرب الخليج الثانية بالذات، تطورت مهمة آلية النظام العالمي الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية، كان خطر إسرائيل يتجلى في سيطرتها العسكرية على المنطقة لضمان إستمرار النظام الإمبريالي، لكنها اليوم تجاوزت هذه المهمة إلى مهام ثقافية وإقتصادية، وكانت تتقاضى معونة من الغرب بحدود ٥٠٠ الف سنتيم (فرنسي) لكل فرد فيها، وقد تضاعفت هذه المساعدات اليوم، وهي تستوفى من العرب أنفسهم لتحافظ على بقائها، فكل المشاريع التي تقام في منطقتنا تحت شعار تطوير المنطقة تستهدف مصلحة إسرائيل، وهي التي تصممها وتهندسها وتستفيد منها بالدرجةالأولى، فالسيطرة الإسرائيلية كانت عسكرية من قبل، واليوم أصبحت سيطرة إقتصادية، وكان العرب - رغم تفككهم- قادرين على عمل شيء هام مثل مقاطعة إسرائيل، وفي رأيي أنها كانت

محاصرة بسبب تلك المقاطعة ولم يكن تزويدها بحاجاتها أمراً سهلاً، إذ ترتب عليها أن تستورد كافة إحتياجاتها من الخارج عن طريق السفن وغيرها، أما اليوم فهي تتجسد ككيان معترف به في جسمنا العربي، لتنخر فيه، ونحن نقوم بذلك! إن مئات المشاريع التي تم طرحها في مؤتمر الدار البيضاء كانت من هذا القبيل، والأمر أصبح معلناً من خلال التقرير الذي أسفر عنه المؤتمر، وهم لايخفون ذلك، فالمال العربي سيمول هذه المشاريع التي تفيد منها إسرائيل بالدرجة الأولى.. هل هناك مهزلة بعد هذه المهزلة؟ حقيقي.. إن مايحدث هو عار علينا.. كأننا نغذي مخلوقا ليمتص من دمائنا، إن مايحدث هو بيع المنطقة باسم الدخول في السلام، وهو ليس سلاماً، إنه يرمي إلى إضعافنا وتمزيقنا وإزالة مساعينا للوحدة التي لم تتحقق حتى الآن.. إن الغرب والولايات المتحدة خصوصاً، يسعى لتحويل العبء الذي كان يقع على كاهله في توفير سبل العيش لإسرائيل، ليقع على كواهلنا نحن، وليكون إقتصادنا مسخراً لحياتها وديمومتها ولتظل أقوى منا، لأن هدفها بطبيعة الحال الدفاع عن نفسها.. فلابد أن تكون لها سيطرة إقتصادية وثقافية وعلمية على المنطقة كلها وهو أمر محكوم به عليها وعلينا بحكم وجودها المصطنع على هذه الكيفية.. لهذا نرى محاولات التطبيع الراهنة والهرولة والإرتماء من قبل البعض منا، كما وقع من الأردن، إذ علينا نحن مدها بالنفط والغاز والمياه وتقديم المال اللازم لها للمشاريع الإنمائية التي تهمها، ومن ذلك – مثلاً – فكرة القطار السريع (TJV) الذي فكروا في إنشائه من بغداد لأريحا مروراً بدمشق، وهناك مشاريع أخرى ترمي كلها إلى تطوير إبتزازي لا إلى تنمية حقيقية، ومن المعروف أن مشكلتنا

نحن هي مشكلة مياه، فإذا حلت مشكلة الماء في المنطقة العربية أصبحت هذه المنطقة من أخصب مناطق العالم، فإستثمار الصحاري العربية هو اليوم مجال لدراسات علمية وبحوث الهدف منها تذليل مشكلة المياه، والبحث العلمي بتوجهه إلى تلبية حاجات التنمية، والغرب لا يعاني من مشكلة المياه مثلما نعاني منها، ولذلك تتجه الدراسات عندنا لتحلية مياه البحار وإستغلالها بصورة إقتصادية وإسرائيل محتاجة إلى المياه، وهي تسعى مع تركيا لتزودها بالماء وهناك مبادرات تركيه عدة في هذا الإتجاه، وكان تورغوت أوزال الرئيس التركي الراحل هو أول من اقترح ما أسماه بأنبوب السلام لمد المياه من تركيا حتى بحيرة طبريا.. أعود فأقول أن هذا الوضع الذي وصلنا إليه في ظل التوجه الجديد للحكومات العربية هو مهزلة لا مثيل لها.. وهو لايقودنا إلى التنمية بل إلى الإبتزاز.. ومايتعارض مع التنمية..

■ **من هذه النبذة الموجزة التي قدمتها تتضح بعض أبعاد ومخاطر الشرق أوسطية باعتبارها الوجه الجديد للمشروع الصهيوني القديم..**

هل لكم أن توضحوا الكيفية التي يمكن للعرب أن يحبطوا بها الشرق أوسطية؟

□ في رأيي يتم إحباط هذا المشروع التآمري بفضح هذه المعطيات ونشرها، وتثقيف السياسة عندنا، بالسعي إلى التقدم من خلال إحداث طفرة في الوعي لدينا لنتعرف على المعطيات كلها، معطيات التنمية ومعطيات الحضارة ومعطيات المشاكل التي تواجهنا، علينا أن نعرف إسرائيل معرفة جيدة، أن نتعرف على أعماقها، لا أن نعرفها فقط

كدولة.. بل كجزء من نظام عالمي جديد... هنا قد ألفت الإنتباه مرة أخرى إلى حقيقة كثيرا مايتم القفز فوقها في منطقتنا وفي العالم، وهي أن اليهود في الأصل قد خرجوا من منطقتنا، وكانوا جيراناً لنا في الأيام الكبيرة التي كانت لنا، ... وتاريخهم يثبت أنه مامن أحد أجارهم كما أجارهم العرب المسلمون، وهذه كحقائق تاريخية يزيد عمرها عن الف ومائتي سنة... هناك كتاب مهم عند اليهود صدر في العراق في منتصف القرن التاسع عشر ضمنه الحاخام يوسف حاييم فتاويه الدينية التي جاءت بها أجوبته على أسئلة وردت إليه من اليهود القاطنين في أنحاء المنطقة العربية.. وكان يهود بغداد يتحدثون اللغة العربية وكذلك يهود اليمن، كان معظم اليهود في المنطقة العربية يتكلمون العربية إلى أن فرض عليهم الأشكناز - اليهود الغربيون - اليديش - في المدارس اليهودية، وهي لغة مختلطة من خمس لغات إحداها العبرية.. والتجار اليهود في ظل سماحة القوانين الإسلامية وتسامح المجتمعات العربية قاموا بالوساطة التجارية بين منطقتنا والغرب.. لقد كانت تجارة البن اليمني مع العالم كله إبان الحكم العثماني في يد يهودي إسمه «أهارون» وكان يلقب بملك البن.. وإلى حد ما كانت التجارة بين الجزائر وأوروبا قبيل الغزو الفرنسي مباشرة مقصورة على اليهود الجزائريين، وفي عام ١٧٩٠ أعفى الملك محمد الثالث اليهود من دفع أية جزية أو ضرائب للعرش المغربي لتشجيعهم على منافسة التجار الأوروبيين.. بل وكان معظم القناصل الأجانب بالمغرب حتى نهاية الخمسينيات من القرن التاسع عشو يهوداً، وهناك نسيم شمامة الذي كان وزيراً للإقتصاد في تونس زمن أحد بايات نهاية القرن الماضي.. وكان كل العاملين في بنكودي روما في ليبيا قبيل

الإحتلال الإيطالي لها وبعده من اليهود.. وبعد الإحتلال البريطاني للعراق عينوا يهوديا هو ساسون يحزقيان وزيراً للمالية في حكومة الإنتداب البريطاني على العراق وبعد أن احتل الفرنسيون الجزائر.. إنسلخ اليهود من جزائريتهم وإلتحقوا من داخل مجتمعهم بفرنسا حتى أصدرت فرنسا مرسوم كرميه الشهير عام ١٨٧٠ الذي يقضي بمنح يهود الجزائر الجنسية الفرنسية وحقوق المواطنة الفرنسية.. أردت أن أعبر من الاستطراد السابق عن حقيقة أن اليهود عاشوا أيامهم المجيدة بيننا في العالم العربي الإسلامي منذ أيام الإسلام الأولى، لكنهم جاءوا إلينا على ظهر سفينة النظام العالمي بكيفية جديدة.. وهدفهم تسخيرنا، وهذه من سخريات التاريخ، ولهذا نحن نرفض طبعا، وعلينا أن نقوم بالتوعية وعلينا أن ندرك أن معركتنا مع إسرائيل مفروضة علينا ولسنا نحن الذين إخترناها، وهي ليست معركة يوم أو شهر أو سنين أو عقود، إنها معركة طويلة الأمد، وينبغي أن نصحح التاريخ ويجب تصحيح التغيرات التي حدثت بصورة إصطناعية مفبركة في هذا التاريخ على حسابنا وعلى حساب حقوقنا، فمن واجبنا أن ندافع عن أنفسنا.. هذا واجبنا الإنساني، ولايمكن قبول هذا الوضع الهُزلي الذي يسلبنا قدراتنا، من واجبنا أن نواجه، وأرى أن مسألة التوعية ضرورية، وأنا بكل صراحة مرتاح للمستقبل، فمعركتنا مع إسرائيل طويلة، والتصحيح يأتي مع الزمن منا بالذات، نحن لن نقبل بهذا الفخ الذي اصطنعه الغرب، والمشروع الشرق أوسطي أعتبره محاولة ذكية من الصهاينة لسرقة الفكرة الوحدوية العربية وماتمثله من نهضة شاملة للعرب والمسلمين، وبما تملكه الأرض العربية من موارد وثروات طبيعية، نفط، غاز، ذهب، أرض صالحة للزراعة، منافذ بحرية

إستراتيجية، كنوز تاريخية، مواقع سياحية، قوى بشرية هائلة، فالصهاينة يعلمون جيداً أن الزمن العربي الإسلامي قادم ولاتوجد قوة في العالم تستطيع منعه من القدوم، وهي تحاول وأد المشروع العربي الإسلامي وتقديم المشروع الشرق أوسطي على أساس أنه مشروع الإنسانية لإنقاذ المنطقة والعالم، والمطلوب من القوى القومية الفاعلة والمؤهلة فكريا وتعبويا أن تفرز مجموعات من بينها متخصصة في جميع المجالات وأن تجهز الدراسات والأبحاث والتصورات للمشروع الوحدوي القومي الذي يبحث الفكرة الشرق الأوسطية من جذورها إن كان لها جذور، وأنا واثق أن قوانا الحية ستنجح، وهي على موعد مع التاريخ سوف لن تخلفه باذن الله وكلي ثقة وأمل.

■ **مدريد وماقبلها ومابعدها، نهج التفاوض المباشر مع العدو الصهيوني هل ثمة بصيص من أمل في أن يسفر عن نتيجة ملموسة في الوصول إلى الحقوق العربية كلياً أو جزئياً؟**

❑ لا أعرف كيف يمكن أن تسفر مفاوضات في ظل موازين القوى المختلة لصالح الإسرائيليين وفي محيط عالمي ظالم للعرب وقاهر لطموحاتهم وغاصب لثرواتهم ومتواطىء مع عدوهم، عن أي شيء إيجابي.. نعود إلى كلاوزفيتز أستاذ الإستراتيجية الذي قال «لن تستطيع أن تصل على مائدة المفاوضات الا إلى المدى الذي يمكن أن تصل إليه مدافعك في الميدان » والأطراف العربية الذاهبة الى المفاوضات كلها أي التي تفاوضت والتي تتفاوض لايوجد وجه للمقارنة بين قوتها وقوة إسرائيل، فهل تحولت إسرائيل هكذا فجأة إلى حمامة سلام تمسك في

منقارها غصن زيتون وتريد أن توزع على العرب حقوقهم التي اغتصبتها؟ وأقول لك.. إن الذاهبين إلى التفاوض مع إسرائيل هم الآن أكثر من الرافضين للذهاب إدراكاً بحجم الخطأ الذي ارتكبوه وأكثر إحساساً بالمرارةبسبب الإهانة التي يلقونها من المفاوض الإسرائيلي.. لاشيء في الدنيا كان يجبر ياسر عرفات على القبول بالتنازلات التي لم يحقق منها أي نتيجة إيجابية حقيقية..

أما الأخوة في سوريا فهم أكثر وعياً وأعظم إدركاً لخطورة ماتستهدفه المفاوضات، ومن خلال متابعتي لأسلوبهم التفاوضي أشعر الحقيقة بإطمئنان إلى أن القضية العربية القومية والحقوق العربية حاضرة في ذهن وعلى لسان المفاوض السوري، وللأسف فقد أضعف الموقف الأردني من قوة المفاوض السوري وإنما لم يزل في الربط بين المسارين اللبناني والسوري عنصر قوة، وإذا كان عرفات يرغب في التحصل على نتائج أفضل مما توصل إليه فعليه أن يربط المسار الفلسطيني بالمسار اللبناني بالمسار السوري، فهذه الحقوق ليست مسؤولية طرف واحد.. من جهة أخرى يزعجني أن تذهب سوريا إلى المفاوضات بينما العلاقات السورية العراقية سيئة إلى هذا الحد.. والحقيقة أن القطيعة السورية العراقية هي كارثة على الأمة العربية وعلى شعب فلسطين بالذات.. هذا العداء إذا كان مذهبياً أو سياسياً فلا أعتقد أنه ثمة مبرر لإستمراره الآن، ولعل الحكمة التي تتحلى بها القيادة السورية كافية لبذل المزيد من الجهد لإعادة الأمل في المشرق العربي، الذي لا أمل فيه بدون تحالف وتواصل سوري عراقي يرجح الكفة ضد العدو المتربص بكليهما معا، العراق عمق

إستراتيجى لسوريا وسوريا أيضا عمق إستراتيجي للعراق، ومقتضيات إدارة الصراع ضد العدو الصهيوني تستوجب من الرئيس حافظ الأسد أن يتحمل مسؤلية تاريخية كبيرة لتصحيح وضعية العلاقات السورية العراقية.. لصالح الأمة.. وسوريا.. بلد مفصلي.. لاداعي لأن أكرر كلاماً معروفاً عن أهميتها الإستراتيجية، ولكن درس التاريخ الطويل يعلمنا منذ صد صلاح الدين الغزوة الصليبية أن سوريا القوية الموحدة المتوحدة مع مصر، المؤمنة من جهة العراق هي التي تعطي الأمل في صد كل غزوه غربية حاقدة.. ولن يتم القضاء على الصهيونية تاريخيا إلا إنطلاقاً من إتحاد أو تحالف حقيقي بين سوريا والعراق ومصر.. هذا يقيني..

الإصطفاء

■ **في حمأة المواجهة الراهنة بين الغرب من جهة والعروبة والإسلام من جهة أخرى، إنطلقت من هنا وهناك دعوات لإعادة تقييم وقراءة القومية العربية كمفهوم، وادعاءات بعجز الإسلام عن تقديم منظور حضاري، إن إدجار بيزاني قد وصل لأن يبدأ محاضرة له في معهد العالم العربي بباريس مباشرة عقب حرب الخليج الثانية بالسؤال: هل يوجد العرب؟ أما فوكوياما وهانتنجتون ونيكسون وبريجنسكي وغيرهم ففي كتبهم الكثير من نعت الإسلام بالجمود والتخلف عن العصر.. ماهو تعقيبكم على أقاويلهم؟**

❑ الغرب الذي لم يستعص عليه تطبيع أية ظاهرة ثقافية أو مدنية، عجز عن تطبيع العروبة والإسلام، هناك ست أو سبع ظواهر إنسانية هامة برزت في تاريخ الإنسانية منها المسيحية واليهودية والبوذية والكونفوشية

والأزديكية التي تم القضاء عليها، وهي ظواهر محدودة.. تعد على الأصابع، وتاريخ الإسلام – فى المقابل – يمتد إلى ١٤٠٠ سنة، وهو من الظواهر التي كونت تاريخ الإنسانية عبر ستة آلاف سنة، فالزمن التاريخي للإسلام زمن مديد قدم فيه للعالم إنجازات هامة، ولكن تجد من المغرضين من يزعم بأن الإسلام أو العروبة لايملكان منظوراً ثقافياً أو حضارياً، ونحن نقول لهم : من أين جاء إبن رشد وابن الطفيل والخوارزمي مؤسس علم الجبر وسواهم؟

إن ماكان لنا من إسهام علمي وحضاري يمكن إستئنافه، يحق للمسلمين الحفاظ على مخزونهم الثقافي والحضاري الذي يشكل أكثر من سدس التاريخ الحضاري المعروف منذ إختراع الكتابة، فالعرب والمسلمون مدعوون إلى تحليل التاريخ، وبالذات التحليل للتاريخ المعاصر، أنا أستند إلى تحليل التاريخ المعاصر منذ ١٠٠ سنة فأجد أن الظاهرة الوحيدة التي أخصبت حياتنا وحققت آمالنا وجمعتنا من جديد وقدمت لنا سبل الإنطلاق هي الظاهرة العروبية الإسلامية.. القومية، بشرط الا نفهم القومية بمفهومها الغربي، أي قومية متقوقعة ضمن حدودها ومنغلقة على نفسها، القومية التي أوجدها نابليون ليضرب بها العروش، القومية في نظري هي الثقافة الإنسانية التي تسهم في صنعها شعوب مختلفة، وقد يدخل فيها بعض الثقافات المحلية، لكنها تجتمع في جوهر واحد، هذه هي القومية في رأيي، وقد يعاب على هذه القومية أنها لم تأخذ بعين الاعتبار الجانب الثقافي، هذا ماترردده بعض الفئات، وهو كلام غير صحيح، إذ لايصح أن تحكم على ظاهرة وفق

معايير مستحدثة بعد ثلاثين أو أربعين سنة من ظهورها، وإنما نحكم عليها بالمعايير التي كانت سائدة عند قيامها، ربما كان هدف المد القومي عند نشأته في مطلع عصر النهضة إسترجاع الأرض المحتلة التي نعيش عليها والتي تتحكم فيها القوى الإستعمارية، فكان من الواجب أولاً وضع هدف إسترداد الأرض وتحريرها في مقدمة الأولويات، وإسترجاع الأرض كان آنذاك في قمة أولوياتنا العروبية الإسلامية، إذ لايمكن القبول بأن تبقى الأرض التي نعيش فوقها تحت حكم خارجي وكان الواجب إستردادها، وكان ذلك من الإنجازات العظيمة للمد العربي الإسلامي حقا، وكانت أيام تحرير الأرض أياماً عظيمة فعلاً، لكنهم ضربوا هذه الانطلاقة قبل أن نستجمع أنفسنا ونفكر في بناء دارنا بعد تحرير الأرض، وقبل أن نفكر في تأصيل قيم الحياة التي نؤمن بها ومظاهرها الثقافية التي تبرزها، إن أولئك الذين رأوا في النهضة تقليدا للنمط الغربي ولخط الغرب يعلمون جيداً أن كل الشعوب اليوم تستمد سبل نهضتها من النمط الغربي، ونحن ربما نكون قد حاكينا هذا النمط الغربي وأخذنا منه متحفظين تجاهه- في الوقت نفسه- أكثر من غيرنا، لكن حاولنا أن نعمل ضمنه بالإستناد إلى خصوصيتنا ومواهبنا الخاصة قدر الإمكان، غير أننا نحن أحوج اليوم مانكون إلى إبراز نمطنا الحضاري الخاص بنا، فالنظام العالمي ليس إقتصادا وسياسة فحسب، إنه نظام حضاري وثقافي في الدرجة الأولى، وهو الذي يصنع لنا الثقافة اليوم ويصدرها، ويبتكر المقاييس الخاصة بالحياة، ويحرص على أن يجسدها داخلنا، وإلى يومنا هذا نحن نستخدمها بعد تعريبها، لكن اليوم يبدو وكأننا لم نعمل شيئا في واقع الأمر، نحن اليوم نسعى للنمو

معتمدين على مادة ضرورية لنا لنكبر كالصغير الذي يعتمد في نموه على غذاء خاص ثم يتخلى عنه إذا كبر، ولايجوز لنا أن ننزوي أيضاً على أنفسنا ونغلق بابنا، يجب أن نقتبس، والإسلام يدعو إلى ذلك، لكن مع نمونا يجب أن نبتكر، نبتكر نظاماً يلائمنا ويعبر عن هويتنا وجوهرنا وهناك من ينصحنا أن نعمل ماعملته شعوب أخرى مثل سنغافوره وهونج كونج وتايوان واليابان.. في الإعتماد بنهضتها على النظام الغربي ومحاكاته، غير أن هؤلاء يعرفون أنهم لم يأتوا بمنظور يلائمهم، جوهريا لم يأتوا بجديد، ربما سخروا المنظور الغربي بصورة أفضل من الغرب نفسه، قد يكونوا إستخدموا ثقافتهم قليلاً، لكنهم لم يستخدموها في الجوهر، إستخدموها في إطار الرأسمالية والليبرالية، نحن مضطرون إلى إيجاد لون من العمومية المختلفة عن العمومية التي فرضها الغرب ونظرته في العمومية تشترط الا يشاركه فيها عمومية أخرى أو نظرة أخرى للحياة، فهو يتمسك بمنظوره لتصديره، وهو مستعد لأن يضرب أي منظور آخر، والإسلام لديه القدرة على تقديم عمومية أخصب وأجود من عمومية الغرب في بعض المجالات الهامة جداً، ولم يكن الإسلام عاجزاً عن ذلك عبر تاريخه، فمنذ الف عام كان هو الذي يصدر عموميته للعالم، وهو قادر على أن يتعامل مجدداً مع ثقافته ومنظوره وعلى أن يبتكر من دون أن يغلق أبوابه ومنافذه وينزوي وراءها على نفسه، فالظاهرة العربية الإسلامية قد قدمت، وهي القادرة على متابعة مسيرتها دون أن ترفض إقامة حوار مع الآخرين، وأنا منذ زمن أنادي بضرورة الحوار الإسلامي مع الآخرين للخروج من عزلتنا وإنزوائنا، ونحن لسنا بعيدين عن الآخرين فعلينا أن نحاورهم، ويجب أن نركز إهتمامنا على المسألة

الثقافية، على الإسلام أن يعبر عن نفسه اليوم، هذا سلاحنا وتلك هي وظيفتنا الأساسية، علينا أن نتابع الطريق وننجز شيئاً لتعرف الأجيال القادمة أننا مثابرون في مسيرتنا من خلال عملنا، علينا أن نسهر على الجانب الثقافي بصورة أفضل، ونفكر فيه أكثر، ونبرز المعطيات التي تساعدنا تدريجياً على الخروج من هذا المنظور الغربي، والمنظور الذي يقوم في أساسه على مبدأ الصراع من أجل الحياة وأن البقاء للأقوى، وهو منظور لم يكن ولم يعد صالحاً، والمداولات التي جرت في ريودي جانيرو حول البيئة وفي كوبنهاجن حول مسألة الفقر، وفي القاهرة حول مسألة النسل، كلها تؤكد أن النمط العالمي الغربي المطبق اليوم لم يعد صالحاً لحياة الانسانية، وعلينا نحن بدورنا أن نتعمق في هذه القضايا ونتزود بثقافة ملائمة، والتماس البديل من داخل ظاهرتنا الثقافية، نأخذ من الثقافات وننفتح على العلوم كلها لكن بلون من الإصطفاء الذي يقوم على رفض مالايلائم وتبني مايلائم منها، لنتوصل إلى تكوين نسق فكري، فنحن نحتاج إلى منظور مكتمل، إلى نسق متكامل يلم بكل جوانب الحياة، من الإقتصاد حتى علم الإجتماع والفلسفة والإبستمولوجيا ليتوفر لهذا النسق الإكتمال، ثم نعممه منهجاً لنا وللآخرين، لا بالقوة أو العنف.. بل بالإقناع، كما ستفعل الصين والهند واليابان مستقبلاً، فواجبنا المقدس إستيعاب كل هذه الحقائق الموجودة والتي يجب أن نستنبطها من مخزوننا التاريخي، ثم نطلع إلى العالم بشيء نرجو أن يكون أفضل مما قدم غيرنا، كالليبرالية وسواها، مشكلتنا اليوم أننا لم نتوصل إلى منظور أحسن من الليبرالية، دعني أقرب لك فكرتي، لنأخذ مثلا لذلك من الإسلام زمن الحروب التي كانت بين

الروم والفرس، فقد كسب الفرس المعركة الأولى، وتنبأ القرآن الكريم بإنتصار الروم، فلو قارنت بين لائحة الصلح المبرمة بين الفرس والروم، وكلام سيدنا أبي بكر الصديق لأسامة، وهو إبن مولى، أي عبد، ومع ذلك كان قائداً عاماً لجيوش المسلمين يخضع له أمراء الجند أمثال خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وكبار الصحابة، وكان عمره لايتجاوز الثامنة عشرة، فالخليفة أبو بكر يوصيه وهو، متوجه لقتال الفرس، فيقول له: لاتقتلوا طفلاً ولاشيخا ولا عاجزاً ولا إمرأة ولا جارية ولاتمثلوا بجثة ولاتقطعوا شجرة مثمرة ولا تأخذوا حاجة إلا إذا إستوفيتم ثمنها... أليست هذه هي قوانين الأمم المتحدة اليوم، في حين أن الغرب لم يستطع أن يقيم نظاماً عالمياً مشابهاً إلا بعد الحرب العالمية الأولى.. يكاد يقترب مما توصل إليه سيدنا أبى بكر في قيمه ومبادئه قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة! في حين أن الوثيقة التي دونت إثر الصلح مع الروم، دون فيها الفرس من ضمن مادونوا من بنود، الفرض على الروم بتقديم الف فتاة عذراء، فأية مقارنة بين هذا وما أوصى به أبو بكر قادة جيشه! الإسلام أتى بما لم يكن قائما في عصره وبما لم يتحقق إلا بعد عصور، هذا يفسر لنا أن تتم الفتوح من دون إستخدام القوة أو الحرب تقريبا، لقد تمت أساساً بالتعامل الإنساني الذي طبقه الإسلام مع الشعوب، وهو تعامل تظهر عظمته إذا قسناه بما كان يجري في ظل الحكم الإقطاعي في فرنسا مثالاً، كان السيد الإقطاعي يقتل ويستبد بفلاحيه كما يشاء وله الحق في ممارسة أمور أخرى نخجل من ذكرها، لما جاء الإسلام بشعار لا اله الا الله وجد فيه الرقيق وعبيد الأرض منقذا لتحريرهم من العالم القديم وجعل الإسلام الأرض لهم لأنهم يعملون بها، ليس المهم

أن نعرف ما أحله الإسلام وماحرمه فحسب، بل المهم أن نستفيد منه لبناء نظام عالمي جديد راقٍ يتجاوز النظام الليبرالي ويقدم للانسانيةأفضل مما قدمت، فالإسلام قدم ديمقراطية أفضل من ديمقراطية النظام الليبرالي إذ دعا إلى شورى أنسب من ديمقراطية الأنظمة البرلمانية، مثلما دعا إلى إحترام حقوق الإنسان، كان المسلمون يحترمون الجميع بمن فيهم أعدائهم..

المفاهيم الملتبسة

■ تشهد الأقطار العربية صراعات تتجلى دمويتها في عدة ساحات، ويبدو الشارع العربي تائهاً بين الأنظمة الحاكمة المختلفة فيما بينها أصلاًوالمتفقة على شيء واحد هو طرح نفسها كضامن لتحقيق مصالح الجماهير العربية، في حين تناقض جل ممارساتها مع ذلك الطرح، وبين التيارات والحركات والتنظيمات الفكرية والسياسية المتباينة الاتجاهات من القومية والإسلامية الى الليبرالية إلى الاشتراكية، والتي تقدم نفسها بدورها كمنقذ للجماهير، حتى ليبدو الوطن العربي أشبه بميدان يتصارع فيه الكل ضد الكل.

ماهو السبيل للخلاص من هذه الدوامة؟

❑ كنت قد تحدثت عن طفرة نوعية لايجاد صيغة ووسيلة سليمة تساعد على الخروج من هذه الدوامة، ولكي ندرك كنه الأمور علينا كما أرى أن ندخل في نوع آخر من الحكم يختلف عن أنظمة الحكم القائمة لدينا، فنحن نعلم بأن هذه الأنظمة أو أن هذا النمط من الأنظمة

بالأحرى، مسخرة بكل مظاهرها، حتى بقوانينها، فالغرب كما أعتقد هو الذي يرسم لنا ملامح هذا النظام كما أنه هو الذي يتحكم في تحديد قيمة العملة التي نتعامل بها، وأنا أرى أننا قبل أن نقيم مواجهة مع الغرب مصمم هذا النظام، علينا أن نتسلح بالوعي وأن نلتفت إلى إصلاح أوضاعنا الداخلية، وذلك يعني أن مشكلتنا تكمن في صيغة الحياة عندنا، وصيغة الحكم التي غدت مسألة أساسية، وأقول على سبيل المثال وبكل صراحة، أن مرحلة الحكم العسكري أو حكم الفئات العسكرية، قد قدمت شيئا، أنا طبعاً أتحدث عن الأنظمة العسكرية التي جاءت بها الثورات وليس عن تلك التي جاءت عبر الإنقلابات العسكرية التي لم يكن لديها ماتقدمه سوى الإنزلاق في تحقيق أهداف خارجية، أنا أتحدث عن فئات عسكرية تسلمت زمام الحكم لدينا وقدمت عملاً لايخلو من خصب، هذه الفترة في رأيي قد انتهت الآن، وأرى بأن الجيش يجب أن ينسحب إلى ثكناته كي يتاح للمجتمع المدني أي الشعب أن يمارس ديمقراطية الحكم ويتكون سياسياً، وأعتقد أن مجتمعنا المدني لعب دوراً هاماً، فقد كان يسعى إلى تنظيم نفسه لا لمواجهة السلطة، بل تنظيم ذاته ليكون قادراً على التعامل مع السلطة نفسها وتصحيح مسارها بصفة عامة، سواء كانت سلطة صالحة أو فاسدة، ،كان ينظم نفسه ليمتلك القدرة على المواجهة، نعم انتهت مرحلة الحكم العسكري الآن ويجب أن يعود العسكريون لوظيفتهم الأساسية، وهي الحفاظ على التراب الوطني والدفاع عنه، وليست هذه المهمة بالسهلة لأن فكرة التراب الوطني والحفاظ عليه ستأخذ في حياتنا المقبلة بعداً يتناسب وحدود مانخطط لها، لنأخذ الواقع العالمي اليوم نجد أن

أوروبا تنظم سوقها وتتحد سياسياً وعسكرياً في حين أننا لانستطيع القفز دفعة واحدة نحو الوحدة، فالغرب يقف بالمرصاد لكل مانقوم به، معنى ذلك أنه يجب علينا أن نحسن شؤون الحكم وصيغته لدينا، نحن الآن على سبيل المثال في حالة مديونية، وفي ضعف، فيجب أن تكون هيكلة الحكم أفضل، ولتحسينها يجب إعادة الجيش إلى وظيفته الأساسية ليتيح للمجتمع أن يحكم نفسه، قد يتخبط في بادىء الأمر، لايهم، المهم أن يمارس التجربة ويتعلم منها ليملك زمام نفسه، وثمة أمور أساسية يجب التسليم بها كالتعددية، البعض يزعمون أننا نرفض الحياة الديموقراطية، مع أن الديموقراطية هي من صلب الفقه الإسلامي عندنا، لدينا أربعة مذاهب فقهية للسنة وحدها، ولكل منها وجهة نظره في أمور كثيرة نذكر منها باختصار الإرث والعدة.. إلى آخره، وكانت خلافاتنا تعد ظاهرة خصب ضرورية، وحتى الأئمة الأربعة الكبار نذروا أنفسهم لنشر مذاهبهم وأفكارهم وعانوا بسبب ذلك، ولم يطمع أحدهم بمنصب أو وظيفة رسمية، نحن لدينا دين، ورجل دين همه حماية الشعب وليس الإنزلاق في السلطة، لأن السلطة في عملها تخطىء وتصيب وقد تخطىء بأكثر مما تصيب، والفقيه الكبير يجب الا يتدخل في أمور السلطة لتظل له مرجعيته لدى الشعب، وليظل قادراً على تقديم الفائدة والتوجيه حتى للحاكم نفسه، فكيف يقال إن الإسلام لايقبل التعددية؟ التعددية موجودة لدينا والإسلام يقبلها ولكن الإسلام والمسلمين لايقبلون أن تصبح هذه الديموقراطية دينا كما ذهب إلى ذلك بعض إخواننا فزعموا أن الديموقراطية هي الحل لكل مشكلاتنا، الديموقراطية ضرب من التكنيك، وهي ضرورية، لكنها ليست عصا

سحرية أو ديناً جديداً يدفعنا إلى الانسلاخ عن ثقافتنا والدخول في ثقافة الغرب تحت شعارها، وليس صحيحا أن الديموقراطية هي السبيل الوحيد لإنجاز التنمية، فالتاريخ، أو تاريخها يثبت غير ذلك، لنأخذ تايوان على سبيل المثال وسواها، فقد تبنت لوناً من الدكتاتورية لتكوين قاعدة تنموية نجم عنها حياة ديمقراطية، لكن لايعني ذلك أننا لسنا مع الديمقراطية، علينا أن نتخلص من المفاهيم الملتبسة، فالديموقراطية ضرورية لنا في رأيي، هي ممر، وعلينا أن نعرف كنهها، ويجب أن تتكون أحزاب وهيئات وليس أحزاباً فقط، بل نقابات وبرلمانات، هناك إجتهاد للمعهد الإسلامي في لندن يدعو إلى تمثيل الشورى عن طريق الحياة البرلمانية، ويمكن أن نجتهد في هذا الباب، وإنما المهم إنهاء مرحلة الحكم العسكرى، فلا يصح أن يظل العسكري رئيساً لنا لأنه يملك رشاشاً، ولابد أن ننتهي من هذه المسألة وندخل في مرحلة جديدة، مرحلة بناء المجتمع المدني الذي تتعدد فيه الفعاليات وتتحدد فيه المسؤوليات، ولعل روح العصر الذي نعيشه لم تعد تقبل الأحادية ولا التفرد بالقرار، ليست طبيعة الصراع وحدها التي اختلفت عن ذي قبل بل وأيضاً شكل الصراع، لم يعد التوصل إلى الحلول ليحسم بالقوة وحدها، وإنما بالاجتهاد وغليان الأفكار، الصراع اليوم ليس صراع سلاح بل صراع ثقافي، علينا أن نستنبط الحلول لكافة أزماتنا السياسية والإقتصادية والإجتماعية بالغوص والبحث في أعماق ثقافتنا، ولو بحثنا في تاريخنا لوجدنا أن ثقافتنا من أروع الثقافات التي قدمها تاريخ الانسانية لاتاريخنا فحسب، وعلينا أن نبرز هذه الثقافة كما كانت، بإمكاننا أن نستنبط صيغة للديمقراطية أفضل بكثير من الصيغة الغربية المكتوبة

بسيطرة رأس المال والمقتنة بتشريعات تحصر ممارسة السلطة في النهاية فى يد الأقلية وتحرم الأكثرية من حق المشاركة في صنع القرار ومن التسيير الذاتي.. الشورى أرحب من الصيغة الغربية للديمقراطية لأنها تؤمن المشاركة الشعبية الدائمة وليس المرحلية كل أربع أو ست سنوات موعد تغيير الرئيس أو أعضاء البرلمان، وإنما علينا الاجتهاد لنتوصل إلى الصياغة الملائمة لصيغة متفوقة، وهذا عندنا نحن في ديننا وفى تقاليدنا، الديمقراطية موجودة عندنا وبصورة أفضل، لكن يجب أن نعود لها وللمجتمع المدنى أي الشعب، ونقول لحكامنا العسكريين : جهودكم مشكورة، وقد عملتم خيراً لفترة ما، لكن علينا أن نختار بينكم وبين الشعب، فإما أن يكبر الشعب أو أن تكبروا أنتم، وإما أن يكبر الجيش بمخابراته أو الشعب هو الذي يكبر..

لقد أثبت الواقع المعاش فشل جميع أنظمة الحكم في الوطن العربى دون إستثناء من دولة العسكر إلى دولة الفرد أو الحزب الواحد إلى دولة العشيرة والقبيلة إلى دولة الليبرالية المزيفة لأن جميع هذه الأشكال من الأنظمة وبالرغم من بعض التباين النسبي في ألوان إنتماءاتها وطنياً أو قومياً أو إسلامياً أو اشتراكياً، وصلت في النهاية إلى السيطرة على المجتمع وتسخيره لصالح الفئة الحاكمة، وبالتالي تحول المجتمع مثلما ذكرنا سابقاً إلى مجتمع الدولة والنظام الحاكم، وعجزت كل هذه الأنظمة عن توفير الحد الأدنى من متطلبات الحياة الإنسانية للفرد وللمجتمع، وبالتالي وجودها صار يتناقض ويتعارض مع تطور المجتمع وتنميته التنمية الصحيحة، وبالتالي تحول دون تحقيق طموحات،

الإنسان العربى في حياة سعيدة تمكنه من إنتاج الحضارة العربية الإسلامية الإنسانية، وصارت هذه الدولة ضد الشعب وضد الأمة وضد الله سبحانه وتعالى الذى خلقنا لنعيش أحراراً سعداء أعزة، إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وما على هذه الأنظمة سوى أن تسمح بشكل سلمي وطبيعي بتطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية تطوراً إيجابياً بفعل المشاركة الشعبية باتجاه صنع مستقبل أفضل للأمة من خلال وحدتها، وأما عن الأحزاب والتنظيمات والحركات السياسية فأعتقد بأن الوقت قد آن حتى يعيد كل منها مراجعة برامجه وأفكاره وآلياته، ويقوم بعملية نقدية شاملة لكافة تجاربه على ضوء الفشل العام الذي وصلت إليه الأمة، وعلى كل منها أن تتخلى عن فكرة أن الأمة ومقدراتها ملك لهذا الحزب أو ذاك، وأنه الحزب الوحيد الذي يمتلك الحقيقة، وبالتالي يملك الحلول لكل مشاكلنا، إنتهى هذا الزمن، والأحزاب التي لاقدرة لها على التطور والتغيير والمراجعة والتقييم الشامل يمكنها أن تعيد حيويتها وفاعليتها من خلال البرامج والمناهج والسياسات العلمية وأن تعمل مع الرجال لا بالرجال وأن تتحول إلى أحزاب مشاريع تنموية وحضارية ووحدوية وليس أحزاب مسيرات وشعارات وأن تؤمن بالمشاركة السياسية لكل قوى الأمة، لقد إنتهى الاستعداد للقبول بوجود الادوات الغوغائية والمهرجانية والشعب يريد الادوات السياسية النظيفة والشريفة التى تشكل القوة والنموذج.

■ ■ في هذا السياق، ومادمنا بصدد الشورى والديمقراطية ماهي في تصوركم الهيكلية التي ينبغي أن تكون عليها الدولة العربية

الإسلامية.. بشيء من التحديد؟

□ أحب أن أوضح هنا أنه من حكمة الإسلام وعبقريته عدم تقديم نموذج جامد للدولة، لقد ترك لنا حرية الإبداع والإبتكار وقدم لنا الشورى، فلم تكن الخلافة في الإسلام أو الرئاسة تسلطاً من فرد يجمع حوله مجموعة من الأفراد، كانت شورى، وراعى المعطيات التاريخية والظروف التاريخية التى تتبدل من فترة إلى أخرى، إذاً كانت لديه صيغة للحكم وإن لم تطبق، ولم نستطع أن نقتبس منها شيئا، وهذه الصيغة استمرت أكثر من الف عام ترفدها مدنية من أكبر مدنيات العالم، وقدمت للعالم أمورا عظيمة، وبدلا من القول بأن الحكم الإسلامى أو الاسلام لم يترك لنا صيغة حكم، يفضل أن نقول أنه لم يترك لنا صيغة جامدة للحكم، لاتساير الظروف والتطور ولاتراعى المتغيرات، وهذا مايجب أن نجتهد فيه، إن أهل العقد والحل فى الاسلام لم يتبنوا صيغة جامدة للحكم، فكانت شؤونه تناقش فى المسجد، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يطرح امور الحكم فى المسجد وكذلك الخلفاء الراشدون، ثم تطورت الأمور إلى أن اتخذ الحكم الاسلامى طابع الدولة، فحكمة الإسلام وعظمته أنه لم يقيد الحكم بصيغة ثابته، لأن الصيغة الثابتة تفرض تقييد التاريخ ووضعه في سجن، وهذا لايصح، فكان الإسلام يكبر مع الرجال ويكبرون به.. فباب الإجتهاد مفتوح إذن أمام جميع المسلمين والعرب لاختيار الأنسب لهم والأكثر ملاءمة في كل عصر، والهيكلة هي بناء للدولة يختلف باختلاف المعطيات وحسب الأزمنة، وأيضاً حسب الحاجة.. حاجة المجتمع وأفراده إلى مؤسسات جديدة

تعمل وآليات جديدة تطبق.. أما الجمود فهومقتل الافكار العظيمة والأهداف النبيلة.

■ ■ إستمرار التخلف الاقتصادى والعلمى العربى يعيد إلى الواجهة مسألة التنمية، والعجز الذى تعانيه كافة الأقطار العربية بما فيها الاقطار المصنفة نفطية من شأنه أن يكرس صحة الهدف السياسى القومى: الوحدة كعلاج للهدف الإقتصادى القومى : التنمية .. فلماذا لم يتم الأخذ بالعلاج الى اليوم؟

❑ دعني أولاً ألفت الانتباه الي أن الواقع لدينا دائماً هو أسوأ مما نعلم بل ومما نظن.. على كافة الأصعدة.. وبعد كل هذه السنوات من الاستقلال الاسمى للبلدان العربية فإنها قد وصلت إلى الفشل المزرى إقتصادياً على وجه الخصوص..

أنظر أغنى دولة عربية على الإطلاق، المملكة السعودية، وهذا مجرد مثال ولا أقصد من وراء بحثه غير تحرى الحقيقة، أغنى دولة عربية هذه توفر لها طيلة نصف القرن الماضى تقريبا أموال تفوق مشروع مارشال الذى أنقذت به اميركا الإقتصاد الاوروبي المنهار عقب الحرب العالمية الثانية، هذه الاموال كلها لم تستطع أن تحول دون أن يصل الاقتصاد السعودى الآن إلى عجز مزمن تتحدث عنه الحكومة السعودية نفسها..

هذه الصورة القاتمة قادمة من حيث أغنى البلاد العربية فما بالك بالبلاد الاخرى.. النتيجة كارثة على صعيد التنمية فى الوطن العربى إذن

بسبب النهج الإقليمي.

نحن لدينا فكرة السوق العربية المشتركة حتى قبل ان يطور الاوروبيون سوقهم المشتركة، ولكن أنظر ماذا حل بنا وماذا حدث عندهم..

التبعية السياسية لحكوماتنا وأنظمتنا خسفت بالتنمية القومية.. أى الفرصة الوحيدة لدى العرب للتنمية، وهم، أى الاوروبيون، توحدوا إقتصادياً وبدأت السوق المشتركة وانطلقت من ٦ دول إلى أن أصبحت تشمل اليونان والبرتغال.. لم تحتج المانيا أو فرنسا بأن إقتصاداتها أضخم وأغنى بكثير من إقتصادات اليونان والبرتغال.. وهم الآن ينون وحدتهم السياسية كقارة بعد أن بنوا وحدتهم الاقتصادية كأقطار..

الغرب أقام بعض الصناعات في بعض الأقطار العربيةلأسباب تتعلق بتكلفة الإنتاج .. أى حتى التصنيع بمعونة غربية هو تبعية لقاعدة صناعية كبرى موجودة فى الغرب ضمن مخططهم لاستكمال الهيمنة سياسياً وإقتصادياً وثقافياً .. بدلا من فروع لمصانع جنرال موتورز فى مصر أو مصانع بيجو فى المغرب، كان ينبغى إقامة الصناعات التى تحقق وتضمن الإكتفاء الذاتي وأكبر قدر منه فى كل قطر لأن ذلك وحده يحرر الارادة السياسية من التبعيةواذا قامت صناعة من أى نوع فلا ينبغى لها أن تقوم على أرضى لتحقيق مصلحة الأجنبى أولاً قبل مصلحتى..

وما يحدث فى الزراعة على كل صعيد هو كارثة .. اذ يجرى استبدال القمح بالفراولة.. أى بدلا من ان نزرع قمحاً يسد حاجتنا نأخذ

هذه المساحات المزروعة والمحدودة أصلاً ونزرعها بالفراولة لنصدرها إلى الغرب ونأخذ مقابلها دولارات نشتري بها القمح من أمريكا أيضاً .. اليست تلك مصيبة؟ والمشكلة هنا شاملة مرتبطة أساساً بالاوضاع الاجتماعية، وبالتالى فإن الكارثة شاملة.. سياسياً تبعية.. إقتصادياً إلحاق.. إجتماعياً إنحطاط.. هذا هو الوضع بعد أربعين سنة من التجريب لأسلوب التنمية القطرية.. الغرب يريدنا أن نتحول من قواعد عسكرية كما كنا إلى قواعد تموينية وترفيهية ومخازن لسلعه ومكبات لنفاياته وحكوماتنا الرشيدةتساعده ولاتلتفت الى الحلول الصحيحة للأسف.. ولا أعرف بالضبط كيف ستتسلم الأجيال القادمة هذا الوطن ولكنى أستطيع أن أتكهن .. لا أحد ياأخى يريد المستقبل أو أن يعمل من أجل المستقبل.. وكأن حكام الأمة يخططون للماضى لا للمستقبل ! لا مستقبل للأمة بدون تنمية ولا تنمية بدون وحدة..

ثقافة الوحدة

■ ■ من حسن حظنا كوحدويين عرب أننا نعيش التجربة الوحدوية التى تتشكل في القارة الأوروبية، وأن نتأمل كيف استوعبت الوحدة الاوروبية كافة التنظيمات الفكرية والسياسية، اليسارية والدينية والليبرالية، ولقد وضعت هذه التنظيمات الوحدة كهدف سياسى واستراتيجى فى برامجها، فاتفق اليمين واليسار والوسط، واتفق اللاهوتى والعلمانى، أتباع كينز وأتباع ماركس على الأوربة، وأنه لا مستقبل للقارة الأوروبية الا بوحدتها، فهل تتوقعون ان تسلك التنظيمات والحركات ذوات الفكر الدينى والليبرالى والقومى

والاشتراكي عندنا المسلك ذاته، فيصبح موضوع الوحدة وهدف توحيد الامة العربية من ضمن برامجها السياسية واستراتيجياتها العليا؟

❑ أنا أرى أنه لا مستقبل لنا دون وحدة، ولكن ليست الوحدة بالمفهوم الذى نتبناه اليوم، وحدة التضامن الشكلى واللفظى الذى يحضر ويغيب حسب الظروف ووفقا للاهواء والمصالح، والوحدة أساساً هى وحدة الثقافة، ولكن لايمكن أن نمتلك الثقافة اذا لم نتوحد واذا لم نملك القوة، وليس امتلاك القوة يعنى امتلاك القنبلة النووية كسلاح للعدوان، وإنما يعنى أن تكون لنا قوة مانستطيع بها أن نردع التهديد الخارجى، فاليوم لابد أن يكون لدينا قنبلة نووية لنتقي بها شر من يملكها وتهديده لنا، ويؤكد ذلك سياسة الدول الكبرى التى قامت على التوازن فى السلاح أو توازن الرعب منذ اختراع القنبلة الذرية، لقد حمى هذا التوازن العالم من وقوع حرب عالمية، حتى بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى سابقاً، لأن الطرفين يملكان أسلحة متوازنه، ونحن كى نتجنب التهديد يجب ان نملكها كما يملكها سوانا، كذلك، فإن الوحدة ضرورية لحياتنا الداخلية كما هى ضرورية لدرء الخطر الخارجى الحالى أو المحتمل، هى ضرورية داخليا لأننا نعيش فى قلب عالم إقتصادى متسلط ينطلق من مبدأ الصراع من أجل الحياة والبقاء للأقوى، وأن الضعيف يجب أن يبقى ضعيفاً والفقير يظل فقيراً، وكأن الله عز وجل لم يقدم خيره وعطاءه للبشر جميعاً ليتمتعوا به، هذا كلام مالتوس، الفكر الغربى يعلم جيداً أن فلسفته هذه تناقض ثقافتنا نحن الآخرين، وتتعارض مع حقنا فى الحياة، وحتى التنمية اليوم لايمكن أن

ننجح فيها إذا لم نوفر لها شروطها البشرية، إن تفرقنا فى دويلات محدودة المساحة وعدد السكان ومستقلة فى سياساتها الإقتصادية لايسمح بتنمية حقيقية، وانما ستكون من نمط التنميات الزراعية المحدودة، أو من نمط الانتاج الزراعى غير المتجانس والمتناقض، مما نلحظه الآن سائداً فى دولنا العربية، وهذا الواقع يفرض علينا أن نتوحدلنطور بلادنا ، علينا أن نسير فى طريق الوحدة للوصول الى تنمية خاصة بنا، وأن ماطرح فى مؤتمر الدار البيضاء من مشاريع تنموية كان هدفه تعزيز دور إسرائيل ووظيفتها في المشرق العربى، وليس تنميتنا، وهناك محاولة لربط دول المغرب العربية الإسلامية: الجزائر والمغرب وتونس وموريتانيا بالدول الخمس الكبرى لتصبح مجالاً حيوياً للمحاولات التنموية الاستغلالية، وربما منحوها دوراً ثانوياً أو إمتيازات محدودة إن سارت فى هذا الطريق، والغريب أننا فى بلدان المغرب العربى نتهافت ليقدموا لنا هذا الكرسى الصغير فى مخططاتهم وفق شروطهم لا وفق شروطنا نحن، وهذه المحاولات تهدف كلها إلى بعثرة الكيان العروبى الإسلامى، فعلينا أن نتصدى لهذه الفكرة، انا لا أقول هنا أننا يجب الا نتعامل مع الغرب، نحن بالدرجة الأولى يجب أن ننسق فيما بيننا، وليس معقولاً أن يبقى حجم التبادل بيننا بنسبة لا تتجاوز ٤ ٪، علينا أولاً أن نسعى لزيادة حجم هذا التبادل تدريجياً حتى نصل إلى نسبة ٥٠ ٪، فالجزائر مثلاً قامت بخطوة كبيرة فى مجال تطوير صناعة الحديد، وكذلك المغرب، وإنما كل منهما يعمل فى هذا المجال منفرداً، والتنسيق ضرورى وحيوى بين بلدان المغرب كلها على جميع الصعد الإقتصادية، فمسألة الوحدة هى مسألة حياة أو موت بالنسبة لنا، نحن اليوم نعيش مأساة عزلتنا، وكل بلد

من بلدانا يتشبث بحدوده الضيقة ورقعته الإقليمية الصغيرة، وهى رقعة لا قيمة لها بالقياس للمدى المكاني الذى تسيطر عليه وتنظمه الوحدات العالمية اليوم، فما قيمة رقعة بلد صغير من بلداننا مثلاً بالقياس إلى مساحة الولايات المتحدة وكندا والمكسيك مجتمعة، إنها تشكل ملايين الكيلومترات المربعة، فالولايات المتحدة مساحتها حوالى ٩ ملايين كيلو متر مربع أضف إليها مساحة المكسيك ٩ ملايين كيلو متر مربع التى تشكل قارة واسعة، فى حين أننا مازلنا ننطلق من مساحات اقطارنا الصغيرة وكياناتها المحدودة ونجعل منها إمارات ودولا ونقيم لنا فيها برلمانات ومجالس شيوخ، ويتحدث كل منا منفردا عما يملك من طاقة لاتتجاوز أحياناً عدداً من آبار النفط!

وأنا أرى أن مفهوم الوحدة يجب أن يعلم لاطفالنا منذ المرحلة الإبتدائية ضمن برنامج متفق عليه، برنامج ضارب فى العمق، يرضعه أطفالنا مع حليب الأمهات، فالثقافة -مرة أخرى- هى أساس كل شيء، فلا تنمية بلا ثقافة، هذا مايؤكده فلاسفة الغرب أنفسهم، وعلينا أن نركز على المسألة الثقافية قبل التفكير فى المفهوم السياسى للوحدة وهل سيكون لنا دولة واحدة أو عدد من الدول يجمعها اطار وحدوى، أنا أرى أن تكون الوحدة ذات طابع فيدرالي، ويجب ترسيخ مفهوم الوحدة فى البرامج الثقافية بالذات، ويمكن تنفيذ ذلك سريعا، لنبدأ أولاً بالثقافة.. أما عن الشق الاخير من سؤالك فأود القول بأن الجماهير قد أصبحت واعية بما فيه الكفاية.. الجماهير العربية تمتلك مخزونا عظيماً من التجارب يجعلها تسقط من حسابها أى تنظيم أو حزب

لاتتضمن برامجه وأهدافه وسلوكياته قضية الوحدة العربية.. ومالم تقم القوى السياسية العربية بالتركيز على هدف الوحدة وتجعله في أولوياتها فإنها ستفشل وهذا موجود فى المغرب العربى فى تجارب أحزاب وحركات قديمة وعتيدة، ومثله فى المشرق العربى أيضاً.. إذا أنا أعتقد أن التيارات الفكرية والسياسية على اختلاف مشاربها وإنتماءاتها ستصل فى النهاية إلى أن تضع الوحدة فى برنامجها كى تحقق القدر الملائم من النجاح.

■ ■ ظهرت في الفترة الأخيرة، بعد إنهيار الاتحاد السوفيتي خصوصاً، أطروحات من بعض منظرى التطبيع تقول بأن بالامكان لبعض الدول العربية أن تقوم بالدور نفسه الموكل لإسرائيل، منطلقين فى تلك الاطروحات من وجهة نظر مفادها أن وجود الكيان الاسرائيلى كان لضرورة مؤقتة أساساً هى مصالح الغرب الاستراتيجية والعسكرية فى المنطقة بمواجهة مصالح المنظومة الاشتراكية .. كيف تحللون أو تقيمون طبيعة العلاقة بين اسرائيل والغرب وحدود تلك العلاقة؟

❑ اليهود في الأصل ليسوا بعيدين عنا ثقافة وجذوراً، فهم نبتوا فى أرض عربية، ورسلهم هم رسلنا، وديننا متقاربان كثيراً، لكن ماوقع أن الكيان الصهيونى هو من صنع غربى بكامله، ومن سخرية التاريخ أن أولئك الذين كانوا بيننا ويعتنقون الدين اليهودى القريب من ديننا، إستغلوا من الغرب فى إطار مؤامرة تاريخية كبيرة ضدنا، وهذا ما حصل، فعلاقة إسرائيل بالغرب هى علاقة رأس الحربة، وليس هذا كلامى بل كلام المسؤولين الإسرائيليين كلهم، يقولون: نحن فى الخندق الأول ندافع عن القيم الغربية، وإسرائيل اليوم أصبحت تمثل المشروع الغربى

بالذات، إسرائيل أخطبوط وعاصمته ليست تل أبيب بل نيويورك بالذات، أخطبوط موزع عبر بلدان العالم كله ينسق ويحيك مؤامرات ضدنا، بل ويتآمر حتى على الغرب نفسه، أجل هذه المؤامرة ستنقلب يوما على الغرب نفسه وسيدفع ثمناً كبيراً لها.. وذلك رغم العلاقة العضوية الآن بين الغرب وإسرائيل، هذه العلاقة وطيدة إلى درجة أن بعض الاطراف فى الغرب لامانع لديهم من أن تحدد لهم إسرائيل حجم دورهم وتواجدهم فى المنطقة العربية، خذ مثلاً الدور الاوروبى فيما يسمى بعملية السلام بالشرق الأوسط، من المعروف أن الاسرائيليين قد عارضوا منذ البداية أى دور فاعل ومؤثر للاوروبيين فى المفاوضات وحصروا التمثيل الغربى فى الولايات المتحدة الى درجة إحتج معها بعض السياسين الذين يمتلكون الجرأة الكافية في أوروبا امثال ميشيل جوبير وكلود شيسون..

ومن ناحية ثانية تقدم إسرائيل نفسها على أنها حاملة قيم وتراث وحضارة الغرب وأنها واحة ديمقراطية فى الصحراء العربية الظالمة الممتلئة بالارهابيين، والغرب لاسباب سياسية ودينية وثقافية وأمنية يريد أن يصدق ذلك ويريد أن يعتمد كلياً على اسرائيل في أداء دور الفزاعة للعرب كي يضمن إنكماشهم المستديم أمام مصالحه، ولذلك فإن من البلاهة تصور إمكانية أن يحل طرف عربى محل إسرائيل كشريك للغرب أو كوكيل معتمد لسلعته الأمنية والاستراتيجية، إسرائيل هى مجتمع إستيطانى غربى أساساً، ولكن كيف يقتنع الأمريكيون بأن مجتمعا كالمجتمع الأردني أو المصري أو غيرهما سيتحول ليصبح مجتمعا غربياً، حتى الفلبين زمن ماركوس طلبت الانضمام الى الولايات المتحدة

الامريكية لتصبح إحدى ولاياتها، وكان الرفض هو من جانب أمريكا لأن المجتمع الفلبيني لن يحمل بالكامل يوماً ما سمات المجتمع الامريكي، لقد زعقت طانسو شيلر في وجوه القادة الاوروبيين الذين ظلوا باستمرار يرفضون اندماج تركيا في الجماعة الاوروبية وقالت لهم انتم إذن تريدونها ناديا مسيحياً، هؤلاء الغربيون لن يقبلوا بأن يصبح طرفاً عربياً شريكاً لهم أو أن يطرح أي طرف عربي نفسه كبديل للصهاينة في حماية وخدمة مصالحهم والسهر عليها الا إذا تخلى هذا الطرف عن دينه ومعتقداته القومية ومنظومته القيمية وتحول الى ملتهم «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم» صدق الله العظيم، وأنظر النتيجة العملية: إن طائرة ف ١٦ التي يتسلح بها المصريون أقل تجهيزا وأضعف تقنية من طائرة ف ١٦ نفسها التي يأخذها الاسرائيليون .. رغم ان المصدر واحد..

■ ■ ماهي رؤيتكم لمستقبل الكيان الصهيوني إذن في ضوء التسويات السياسية من كامب ديفيد الى مدريد الى وادي عربة وأوسلو؟

□ آمل أن يأتي يوم نتعامل فيه مع اليهود كأبناء ديانة لا كأفراد عنصريين في كيان صهيوني، وذلك ليس بالمستغرب عندنا، فقد تعاملنا معهم على مر التاريخ بإخاء ومودة، وإحتضناهم في إطار حضارتنا العربية الإسلامية، وفي رأيي أن عقدتهم ليست عصية على الحل، فنحن لم نعاملهم عبر تاريخنا كما عاملهم الغرب، لم يكن لدينا فاشية تجاههم، ولم تبرز لدينا ظواهر كظاهرة هتلر مثلاً، أو محاكم إسمها محاكم التفتيش.. وإنما الكيان الصهيوني إختار بمحض إرادته أن يكون كياناً غربياً في المنطقة لا علاقة له بقيمها أو بقيم الدين اليهودي نفسه، في

منطقة سيصل تعداد سكانها إلى ٥٦٥ مليون نسمة فى عام ٢٠٢٠م، وقد قبلت إسرائيل بدورها الغربى وبالمعطيات التى رسمت لها وهى القضاء على آمالنا، وممارسة التقليل من شأننا وقوتنا والعمل لتهميشنا، فى الوقت الذى بدأت تظهر فيه بوادر نهضتنا وعناصر قوتنا، فمن الطبيعى أن نرفض ذلك وأن نواجه الكيان المصطنع بكل أساليب الرفض، خصوصاً بالأسلوب الثقافى رداً على محاولات التطبيع والسعى للسيطرة علينا من خلاله، لان التسليم بهذا الكيان يعنى تصفيتنا وإنتهاءنا فالمواجهة مفروضة علينا، ولقد وضعت إسرائيل نفسها فى موقع لا تحسد عليه وإختارت طريقا يؤدى بها إلى موقف حرج جداً، فنحن لا نملك الا تثبيت وجودنا، ان نكون، ان نكون من جديد، أن ننطلق بحضارة، الا نقبل بهذا الوضع الذى يحاولون فرضه ويدعو الى السخرية والتقزيم، لايمكن أن نقبل بهذا، ولو قبل به الحكام فلن يقبله شعبنا..
لقد قالت غولدا مائير فى أحد المؤتمرات علينا أن نفرق بين العرب، وأن نحارب أية وحدة عربية، وهناك مسؤولون صهاينة آخرون يجهرون علناً بأن لا حدود ثابته لاسرائيل، وليس فى دستور إسرائيل حدود فحدودها حيث تقف جيوشها، والكلام المعروف عن حدود تمتد من الفرات إلى النيل، اليهود عاشوا بين ظهرانينا ونحن نعرفهم، أما أن يكون لهم كيان كهذا الذى كونه الغرب لهم، فذلك يعنى تقزيمنا ووضع المنطقة العربية الاسلامية تحت سيطرتهم، فالمسألة ليست مسألة عنصرية، إنها مسألة مصير ومستقبل، مسألة بقاء أو فناء، هذا هو الواقع، وأقول إن أميركا والنظام العالمي يسعيان إلى تطبيع المنطقة لصالحهما، بكل مايملكان من قدرات، بهدف استلاب النفط والحصول على موقع استراتيجى، إن

الدور الذى تمارسه إسرائيل يذكرنا بدور كان يلعبه الشاه، هذه هى المعطيات بكل بساطة، ربما نجحوا فى تطبيع مؤقت للساحة، لكن هذا السلام لم يستمر، السلام يجب أن يقوم على تصفية القلوب وتهدئة المشاعر وليس على الخداع وإنتقاص الحقوق، لقد فرض علينا هذا السلام في ظروف غير مواتية، بعد مسألة الخليج وتمزق الساحة العربية، فرضوه فى لحظات تمزقنا وضعفنا وتهافتنا، لكن الخيانة لن تمر، وإذا كان النظام الرسمى العربى، بفشله وعجزه، لم يجد أجوبة للمواجهة، فإن أجيالنا الصاعدة أو المقبلة ستجدها، والذى يحصل الان فى فلسطين المحتلة وجنوب لبنان المحتل ماهو الا الدليل على بداية الاجوبة الجماهيرية، أعنى أن الشعب قد بدأ يتسلم قضيته المقدسة ويديرها وفق حساباته، ويقدم فى سبيلها كل مايملك بما فى ذلك روحه الطاهرة، والعمليات الاستشهادية البطولية الرائعة في فلسطين المحتلة وجنوب لبنان هى الرد الحاسم والحقيقى الرافض لكل مشاريع التسوية المهينة والمرفوضة، المقاومة الشعبية للاحتلال العسكرى حق مقدس أقرته كل الأديان والشرائع السماوية والقوانين والدساتير العالمية.

وليس لدي أي مسؤول عربى اليوم صلاحية إبرام إتفاق يغلق الابواب امام اية محاولة تقوم بها الاجيال القادمة، ومن المفروض إتاحة الفرصة لها في المواجهة، أنا أرى بأن معركتنا طويلة، وهي ليست بيننا وبينهم اليوم، هم فى رأيى ليسوا الطرف الرئيسي المقابل لنا فى المعركة، هم جزء من الحلف المعادى لأمتنا، المعركة الكبيرة والحقيقية بيننا وبين الغرب، وهي معركة حضارية فى الدرجة الاولى،

واليهود حتى لو كانوا قد إغتصبوا قطعة من أرضنا فليس بوسعهم أن يعوقوا مسيرتنا، نحن معركتنا الأساسية مع الغرب، وإسرائيل هى ضلع فى جسد الغرب، ومهمتنا محاربة النظام العالمى وفرض أنفسنا بتوفير عناصر القوة لنا، وقوة الثقافة بالدرجة الأولى، الصراع العربى الصهيونى ليس صراعاً مسلحاً فحسب، أى ليس صراع جيوش، والمعركة ليست معركة عسكرية يكسبها الأقوى سلاحاً وتسفر عمن سيدوم ويكبر، وإنما فى تقديرى أرى أننا نحن الذين سنكبر، لقد وضعت إسرائيل نفسها فى قلب مواجهة غير مضمونة العواقب، أنا أرى أن المواجهة ستنتهى لصالحنا، ذلك أن الكيان الاسرائيلى قد كبر وبلغ حدوده القصوى، فى حين أننا لم نزل فى بداية الطريق ومعركتنا ليست مع إسرائيل وحدها والا لهان الأمر، لكنها معركةمواجهة مع نظام عالمى شرس، ماذا سيتكشف لنا فى المستقبل؟ يصعب التنبؤ، لكنى أرى أن هناك معطيات ثابتة تشير إلى أننا سائرون عدداً وقدرة نحو الأفضل، الجزائر مثلا بعد الاستقلال لم يكن لديها سوى مهندسين معماريين إثنين في تسعة آلاف قرية مدمرة، اليوم لديها آلاف المهندسين والفيزيائيين وغير ذلك من المختصين، والوطن العربى كله طاقاته فى نمو مضطرد، ولن يستمر هذا الحاجز التكنولوجى الذى تتفوق به اسرائيل، وأعتقد أن معركتنا مع الغرب وإسرائيل ستحسم لصالحنا فى المستقبل، إسرائيل مستمرة فى تنميتها على النمط الغربى وهى حاملة للقيم الغربية فى منطقة كلها شرقية فيها الثقافة العريقة والمدنية التى تعد من أكبر مدنيات التاريخ، نحن نرفض الكيان الصهيونى الذى لا مستقبل له بيننا، ونرى فى الانتفاضة الفلسطينية مظهراً من مظاهر عبقرية ثقافتنا العربية الاسلامية، والانتفاضة

مستمرة ولن تستسلم، .. وإذا كان الحديث عن السلام فإن شعبنا في فلسطين من مصلحته تحقيق السلام، والسلام جزء من مطالبه، فهو يرغب ان يعيش بسلام، لكن حين يفرض عليه سلام زائف سيرفضه علناً وأنا قد نوهت سابقاً إلى أن إسرائيل كيان مفروض علينا وأنها ترجمة غربية لتثبيت حراسة للمنطقة، ودورها لن يستمر لأننا نرفضه، هذا يعنى أن الانتفاضة هى ردة فعل حتمية لقيام إسرائيل، ولابد أن تستمر مادام هذا الكيان ودوره قائمين هذا رأيى دون الدخول فى تفاصيل الوضع داخل الحركة الفلسطينية أو فى تفاصيل عمليات التسوية العربية، أنا أتكلم بصفة عامة، وعلى إسرائيل أن تفهم أننا لن نقبل بكيانها ولابدورها الذى تمارسه.

■ ■ **بودنا أن تحددوا لنا تعريفكم الخاص للسلام، خصوصاً فى ظل المحاولات المفروضة التى يسميها الغرب سلاماً فأى مفهوم للسلام تتصورون بالنسبة للقضية الفلسطينية؟**

❑ الذي يسمونه سلاماً اليوم هو فى نظرى سلام زائف، إنه عملية سياسية تهدف فى النهاية الى حالة إستعباد للمنطقة لا للفلسطينيين فحسب، السلام هو ذلك الذى يقوم على العدل وتحقيق لون من السعادة والرضا والفرح ويقدم حلولاً منطقية عظيمة ترضى جميع الاطراف، ويفتح آفاقاً من التآلف أمام النفوس، هذا لا وجود له فى محاولة السلام القائمة الآن، فنحن فى وضع مأساوى، نسمع بالسلام فنحزن ونتحسر ونشعر بالخوف على إخواننا الفلسطينيين والأردنيين، والخوف على المنطقة كلها، هذا ليس سلماً بل لعباً، وأنا أصر على أن

نتحفظ على المصطلحات الزائفة، هذا ليس سلاماً وإنما استسلام، والسلام هو الذى يجلب الخير للمنطقة كلها بما فى ذلك اليهود، وقد سبق وأشرت إلى أن وجود اليهود بيننا هو مسألة تاريخية، لكن ليس بهذه الكيفية، ليس بقدومهم إلينا – وهم من جلدتنا – يتغنون بالقيم الغربية ويحملون أفكاراً غربية ويعملون على تكريس الإستعمار الجديد بعد أن تخلصنا من الاستعمار القديم، فهم اليوم يمارسون دور تثبيت السيطرة والتحكم اللذين تخلصنا منهما، ويعملون على تثبيت اطنابه فى قلب الارض العربية، وفى أقدس بقعة فيها، نحن نريد سلاماً آخر، السلام الحقيقى الذى نصبو اليه يصون حقوقنا ويضمن مستقبلنا ولايعوق قدراتنا فى التخطيط لمستقبل حياتنا وللتقدم وللتطور.. أما عن كيفية تحقيق ذلك السلام فأنا لا أملك تصوراً حالياً لذلك.. أعرف فقط السلام الذى يخدمنا نحن وننشده نحن..وعلى العالم أن يفهم هذه الحقيقة مثلما هى لا مثلما يريد هو، فمن مصلحة الشعب العربي عامة والشعب الفلسطيني خاصة العيش بسلام، والسلام بالنسبة له مطلب غالٍ لانه عانى ولايزال يعانى من ويلات الحروب والدمار والقتل والنهب من جراء الاحتلال الاوروبى لأراضيه والإحتلال الصهيونى لأرض عزيزة عليه وعلى سائر المسلمين والمسيحيين فى العالم، فمن المصلحة العليا للعرب تحقيق السلام ولكن أى سلام نريد؟ نريد السلام العادل الذى يعيد لنا أراضينا وحقوقنا التاريخية الشرعية كاملة.

■ ■ **مادامت الصهيونية حركة عنصرية تشكل تهديدا وخطرا على العالم كله وليس على العرب والمسلمين فحسب، وذلك من**

خلال سعيها للسيطرة على مقدرات العالم وافساده، هل تتوقعون قيام تحالف أو جبهة عالمية من كل الديانات والقوى المحبة للسلام بما فيها القوى اليهودية والمسيحية والاسلامية لمحاربة هذا الخطر؟

❑ الصهيونية فعلاً هي فكرة قاصرة وخطرة في الوقت ذاته، هي خطرة وتفرض علينا المواجهة، وهي خطرة على مستقبلنا، ولابد من محاربتها والوقوف ضدها، وهي تلوح اليوم بالقنبلة النووية، ولا أعتقد أننا مطالبون بدعوة أصحاب الديانات الاخرى للوقوف في وجه الصهيونية فهذا الأمر من شأن أبناء هذه الديانات أنفسهم، أما نحن فمن حقنا أن نقف في وجهها ونتحد مع كل الأحرار في العالم، ونحن نجد - ولله الحمد - أنصاراً كثيرين حتى لدى مسيحيي الغرب نفسه، نعم إن محاربة الصهيونية أمر مفروض علينا، من حقنا أن نحارب مراميها البعيدة والخفية وفضحها، لا من منطلق نزعة عنصرية، فنحن واليهود ننحدر عقائديا من إبراهيم، وإنما من منطلق رفضها كظاهرة تهدف الى تهميشنا وتقزيمنا.. أما كون الصهيونية ظاهرة خطيرة على العالم، فذلك من شأن العالم نفسه.. الذى يجب أن ينتبه الى مراميها، وفعلاً حصل شيء من هذا القبيل عندما أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة إعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية تجب مقاومته، وفى داخل هذا الكيان العنصرى الغريب نفسه توجد تفرقة عنصرية قوية بين اليهود أنفسهم، وينقسم المجتمع اليهودى الى ثلاث أو أربع طبقات وفقاً للأصل العرقى والجغرافى والوضع الاقتصادى والعلمى، يهود الغرب ويهود الشرق، يهود العرب ويهود أفريقيا.. الخ وبدأ الصراع يتفاقم منذ

مدة بين هذه الطبقات والاعراق، إنه كيان مركب بشكل اصطناعى ويحمل فى أحشائه مشروع فنائه..

مصر الرصيد

■ ■ لمصر دور ريادي ومكانة هامة في المنطقة العربية ولعل دورها هو احدى الضرورات التاريخية والحيوية لكل العرب والمسلمين، فى ظل الظروف التى تعيشها مصر الآن وخروجها من دائرة الصراع العربى الصهيونى، كيف يمكن لها استعادة ذلك الدور؟

□ أنا لا أعرف، ولايمكن ان نتكهن اليوم كيف يمكن لمصر ان تستعيد دورها، لكن الظروف التى تمر بها مصر الآن هى ظروف مرحلية عابرة.

أنا أؤمن بأن الوحدة العربية لاتفرض بين يوم وليلة ولكنى أعلم أنها ستحصل، وللوصول الى الوحدة علينا أن نوفر شروطا لنجاح العمل الوحدوى، وفى تصورى أن نبدأ أولاً بالوحدات الاقليمية ثم ان تتحد هذه الوحدات الاقليمية، وأشعر أن لمصر داخل هذه العملية دوراً رئيسياً، أنا لا أتوقع أن تكون الظروف الحالية مواتية للقيام بالوحدة، فالوحدة مسألة مصيرية، يجب أن تسترد مصر عافيتها السياسية والاقتصادية، أما من الناحية الثقافية فهى متوفرة فيها ولله الحمد، ولدى مصر رصيد علمى وثقافى كبير، وسيكون لها دور فاعل فى التحريك ان شاء الله انا لى ثقة كاملة وكبيرة بان مصروشعب مصر والقوة الثقافية والجغرافية والتاريخية والاستراتيجية لها ولشعبها، سيكون لهما دور اساسى فى لم شملنا ولحم

الخيوط لتحقيق الوحدة، وقبل ذلك البدء فى تصحيح الاوضاع الداخلية.

أقول أن القوى الفكرية والثقافية والسياسية فى مصر العروبة تملك من الرصيد الحضارى والتجارب الغنية ما يمكنها من ان تستعيد عافيتها وتعود لأداء دورها الريادى فى محيطها العربى الاسلامى، لقد كان عبد الناصر هو الذى ادرك منذ البداية ابعاد ارتباط مصر بمحيطها الجغرافى والتاريخى والدينى، ومن هنا صارت لمصر مكانة ريادية فى عهده فى القارة الافريقية وفى القارة الاسيوية وفى العالم بشكل عام، وبسبب هذا الدور الريادى الطبيعى الذى قام به فى النهوض القومى تحالف الغرب الإستعماري ضده وحاربوه بشراسة، عندما تسلم السادات السلطة أخطأ فى حق مصر أولا وفى حق الامة العربية والاسلامية عندما تصور ان بإمكانه أن يجد مصلحة فى ارتباطه بالغرب وإعطاء ظهره للأمة العربية، مما أضعف مصر وأضر بدورها ووزنها الاقليمي والعالمي، إن مستقبل مصر مرهون بدورها القومي، والسعي لربط مصر حاليا بالغرب الاستعمارى يضر اكثر فاكثر بالمصالح العليا لشعبنا فى مصر وللامة العربية كلها، ماذا يستفيد أى سياسى مصرى من كسب أمريكا واسرائيل والغرب وخسارة مصر والامة العربية؟ الفائدة الحقيقية والنجاح الحقيقى هو أن يكسب السياسيون المصريون مصر وجماهيرها وأمتها معها وأناأادعو الأخوة المسؤولين فى مصر الى اعادة النظر فى حساباتهم ومراجعة انفسهم قبل فوات الاوان، ادعوهم لان يسألوا أنفسهم ماذا جنوا من علاقاتهم مع اميركا والغرب واسرائيل الا المزيد من المشاكل والتبعية لصندوق النقد الدولى وللبنك الدولى .. إن فوائد الديون المصرية المتراكمة والمتصاعدة

تجيب عن هذا السؤال..

أتمنى لمصر أن تحاور مصر، وأن تبدأ في ترتيب بيتها العربي الإسلامي بمشاركة القوى المخلصة دون إستثناء، ذلك وحده يمكن أن يشكل ضمانة للمستقبل وان يعيد للشارع العربي المصري والعربي بشكل عام استقراره وأمنه وسلامته كي يشارك بفعالية اكبر في النهوض والتنمية اللازمة لشعبنا في مصر، وللوحدويين والقوميين دور مصري في ترشيد الاسلام السياسي بما يعيد اللحمة والأخوة والوحدة بين التيارين القومي والاسلامي ليكونا قوة دافعة للأمام محققة لأماني وطموحات شعبنا العربي في مصر مسلماً وقبطياً.

المخاض الجزائري

■ ■ **النزيف الحادث في الجزائر يدمي كل قلب عربي، وثمة تشابه كبير بين عوامل وأطراف الصراع في كل من الجزائر ومصر، إلى متى يستمر ذلك النزيف، وكيف يتوقف؟**

□ واقعنا اليوم واقع تشرذم وعنف مطلق، وثمة أمور خطيرة تعاني منها بلادنا، والصدام الذي نراه أيا كانت دوافعه واسبابه هو مرحلة عابرة ستنتهي قريبا، وسندرك أنه يجب علينا ان نعود للحوار ورفض فكرة الاكراه، علينا ان نكبر ونتجاوز هذه المرحلة، ذلك أن ديننا نفسه يرفض الاكراه والقسر، ومن واجبنا أن نتصرف من خلال تطبيق مباديء ديننا وتعاليمه التي تقوم على السماحة والحوار وقابلية التفاهم وأن نكون عقلانيين وتحكم خياراتنا العقلانية والموضوعية، علينا أن نعود إلى

ثقافتنا العظيمة التي تنادى بعدم الاكراه، والحث على سماع وجهات نظر الآخرين، وأنا أعتقد أن إخواننا فى مصر ربما يصلون الى ذلك قبل سواهم، ونحن في الجزائر نسعى الى هذا، ونجهد فى فتح باب الحوار فيما بيننا للوصول الى اتفاق واجماع، وذلك يعني أن نعدل من وجهات نظرنا قليلاً وأن نتنازل عن بعض مطالبنا وحقوقنا لنصل الى حل مجمع عليه، وأملي كبير ان مصر ستسبقنا فى هذا، فتنبذ العنف والقسر، وتسلك الحوار القائم على التسامح ولم الشمل ودفع الظلم وتجاوز المحنة،

لابد من إقامة حوار بين فئات المجتمع المدنى وأحزابه ونقاباته ومنظماته الشبابية والنسائية وعلمائه، والأزهر موجود والحمد لله، وله كلمته في ذلك للتوصل الى اجماع هذه الفئات كلها، وهى الفئات التى تمثل صفوة الفكر وزخمه، الحوار المستمر فى مصر والجزائر هو الذى يؤدى بإذن الله فى النهاية الى تحقيق وإرساء مجتمع ثابت ومتماسك وقائم على ذاته ومتفق على ثقافته وعلى مقوماتها الاساسية، وهذا المطلب العظيم لايتحقق بالعنف وحمامات الدم والصدام المسلح إن الصدام– على العكس – يقوى الأحقاد ويجذر الضغائن ويعمق الجراح التي لن نتخلص منها بل تظل مستمرة قرونا، ونحن اليوم في الجزائر نغالب الزمن للتوصل الى ذلك، نحن مقبلون على حسم هذه المشكلات، ولدينا القدرة على التغلب عليها، وتصور نظام ثقافى شامل للمنطقة العربية الاسلامية فى مشرقها ومغربها، ويفترض بالفئات الحاكمة كلها أن تفتح باب الحوار وأن تستعد لمحاورة مختلف الفئات التى يتكون منها المجتمع المدنى، وان تترك فسحة لتنفس الهواء النقى والتماس هيكلية لنظامنا الذى نخطط له، نحن لانريد من حكامنا أن

يبتكروا لنا أو يدفعونا الى القيام بالتغيير دفعة واحدة، وإنما نطلب ان نتحاور معهم، ونسعى للقيام ببعض الاصلاحات الضرورية، نتحاور بشمولية حول ثقافتنا، ونلتمس وجودنا السياسى من تراثنا، .وعليهم ان يفسحوا المجال لحرية التعبير وللتصورات الثقافية وللتوجهات المستقبلية، ولوضع برامج ملائمة لهيكلة الدولة، هذه أمور تحتاج كلها الى تدارس ومراجعة لتعديلها وتحسينها وتعزيز ماهو ملائم وقائم منها، نحن احوج مانكون الى حوار يشمل كل فئات الشعب لطرح افكار جديدة وبناءة، ويجب الا يكون الحوار محصوراً فى اقليم دون آخر، بل يشمل الساحة العربية الاسلامية كلها، ويجب السماح به لمصلحة شعوبنا، ولمصلحة الحكام بالذات، اذ عليهم أن يدركوا ان ذلك يمدهم بقوة للعمل، وعليهم ان يدركوا ايضا ان الحكم لايدوم، فهو ليس أبدياً أو خالداً، ولابد من تداوله، وتلك الايام نداولها بين الناس، وبناء على هذا فإنه لابقاء لحاكم فوق كرسى الحكم الى مالانهاية، ولا يجوز ان يتشبث به اى حاكم فلا يتنازل عنه حتى يموت ويغلق كل الابواب او يقتل نصف شعبه، نعم يجب ان نتفق على اهداف وعلى برنامج مرحلى وآخر بعيد الأمد، وان نهيىء الوسائل الكفيلة بتحقيق أهدافنا، ومن هذه الوسائل هيكلية الدولة، ينبغى احترام القانون، وان يكون لنا دولة تحترم القانون وتطبقه، ويجب ان تقوم هيكلية الدولة على حكم تشريعى وتنفيذى يسودهما العدل والموضوعية والنزاهة، يجب ان تكون لنا ديمقراطيتنا التى نسعى الى إلتزامها على صعيد النظر والتطبيق، وهذا هو المشروع الحضارى الذى نطمح اليه والذى يجب ان يشارك في رسمه الجميع، علينا أن نتجاوز الاتهامات والتجريحات التى كنا نلقيها جزافاً بتحميل

الحكم تهمة الفساد ومسؤولية مايجرى والدعوة إلى إسقاطه، بأن نمكنه من ان يعمل بنصحنا، ونتحول عن ذلك إلى بناء مستقبلنا، كذلك لايجوز للحكم أن يصم أذنيه عن الاستماع وكأنه سيدوم الى الابد، فهذا أمر غير مقبول، وهو يتنافى مع تطلعاتنا الجديدة ومع منطق الاغلبية، يجب ان ندخل مرحلة تاريخية تسود فيها دولة القانون وتحترم فيها حقوق الانسان، والتعددية بكل أنواعها، وتحترم فيها الحريات ومنها حرية التعبير وينتفى فيها التعذيب والاضطهاد الانسانى على الصعيدين النفسى والجسدى، هذه كلها امور يجب ان نتحاور فيها ونلتمس الحلول لها.. واذا اردت توصيف المعاناة الراهنة فى الجزائر تحديداً، فانى أقول أن شعبنا فى الجزائر يعيش الآن مرحلة حيرة من أمره، وهو يبحث عن نفسه ويتخبط شأنه فى ذلك شأن التخبط الواقع فى أية بقعة من بقاع الوطن العربى، نحن نبحث عن ذاتنا ومصيرنا ومستقبلنا، ويبدو ان الكل يعبرون عن أنفسهم بأسلوب جزائري، اي لا يخلو من حدة وعنف فى طرح الامور والتعاطى معها، والشخصية الجزائرية فى رأيى شخصية عظيمة، لكنها تمتاز بسمات خاصة من حيث عنفها فى مواجهة الأمور، وهو عنف كان مسوغا فى مواجهة الاستعمار، لكن الصورة المتشائمة التى ترسم لما يجرى فى الجزائر اليوم وتصدر الى الخارج هي صورة مبالغ فيها أو مشوهة لأغراض معينة، فالجزائريون يموتون اليوم عن اشياء عظيمة فى مرحلة المخاض هذه، وأسلوبهم فى التعاطى مع الأمور يمكن تذليله، ويبدو أن هناك جملة من التراكمات المتوالية والتى لا حصر لها عملت على تأزيم الوضع الذى لم يهبط على الجزائر هكذا فجأة من السماء، وإنما نبت على أرضية خبيثة وعلى جملة من الممارسات المغلوطة

مصدرها الظلم والتحكم، غير ان هذه الانتفاضة التى حصلت سيكون لها نتائج خطيرة، فهى تزعم بأنها ستكشف عن أمور عظيمة، لكن أسلوبها الذى يقوم على العنف والاكراه اسلوب دموى لاينسجم مع اهدافها الاسلامية.. أنا لا أفرق بين الوسيلة والهدف، فالوسيلة يجب ان تكون متضمنة داخل الهدف ومنسجمة معه، قد يكون الهدف جيدا فيما نرى ولكن الوسيلة المتبعة غير سليمة ومشوهة، لذلك أخذت الامور فى الجزائر منحى خاطئا، ولكننا نسعى لتطويق الازمة، وربما وصلنا هذه السنة الى نتائج يمكن ان تطوق المحنة، وتجنب الجزائر مصيرها المهدد، ولو استمرت الاوضاع على هذه الوضعية ستة اشهر اخرى لاصبحت العواقب وخيمة، وأقول بصراحة ان ثمة من له مصلحة فيما يجرى، فالجزائر تملك طاقات هائلة، لقد تم إكتشاف النفط فيها بكميات - يقال - إنها تقارب كمية النفط السعودى، ومساحتها تبلغ مليونين ومئة الف كيلو مترمربع، وصحاريها ليست صحارى قاحلة، فيها الماء، وهى تنتج التمور والزعفران والبطم ومواردها كبيرة جدا، وفى الجزائر رجال اذا توفرت لهم قيادة رشيدة توجه شعبها الى الخير فإنه يمكن أن يؤدى ذلك الى نتائج هامة جداً، إن الشعب الذى حرر نفسه من مئة ألف جندي فرنسى ومليون ونصف المليون ضمهم جيش المستوطنين، اذا امتلك هدفه الثقافى لحقق المعجزات، وفى رأيى أن ماوقع ومايقع اليوم فى الجزائر هو ظرف عابر يمكن تجاوزه لتنهض من جديد، وربما ساعد وضعها المأساوى على ظهور مثل هذا المشروع الثقافى، بمعنى أن المحن التى وقعت ستسمح لها بالخروج بأفكار لا بأس بها فيما يخص حل مشكلاتها والتعاطى مع الامور من خلال إبراز منظور ثقافى،

فالجزائر سائرة مهما إعترضها من عقبات، ولابد من حل ثقافي يكون للاسلام فيه شأن كبير، وقدرة على ان يبعث فينا شيئا جديدا، والاسلام لا يقوم على الاكراه انه طاقة خلاقة تدفع بنا الى الامام، هذا هو التوجه الذى أرمى اليه والذى كان يجب التفكير فيه من زمن..

■ ■ **أنتم اذن لاترون ان هناك مايتهدد الانتماء القومي لشعبنا في الجزائر أو يشكل خطرا على عقيدته الاسلامية، بما فى ذلك الدعوات التقليدية الجهوية او العرقية..**

❑ هذه الأمور موجودة، لكنهم اليوم يبالغون فيها، وينفخون فى تضخيمها، وكأنها غول أسطورى، وهذا الخطر كان ماثلا فى الجزائر منذ زمن، وقد تم السعى للتخلص منه فى ظروف أصعب من الظروف الحالية بمئة مرة، كنا مستعمرين وكانت لدينا بعثات، ولكن ما من قوة فى العالم قادرة على ان تفرض على الجزائر التخلى عن هويتها العربية الإسلامية، وهناك نغمة قديمة ينفخ فيها الغرب، وتتردد أصداؤها فى فرنسا بالذات، ولكن الجنوب القبائلى ضدها تماما، ولا أرى أى خطر يهدد عروبة الجزائر أو إسلامها وربما تحكم هذه الظاهرة على نفسها بالتصفية الكلية ونتخلص منها تماماً لأنها بالفعل غريبة ودخيلة وهى مستوردة من الخارج، وستتخلص منها الجزائر نهائيا. وأنا على يقين تام بأن البعدين العروبى والإسلامى في الجزائر وغيرها من الاقطار قادران على استيعاب الثقافات المحلية وأنهما يقدمان منظورا حضاريا يجد فيه الجميع متطلباتهم الفكرية والدينية والاجتماعية، وفى المشروع الحضارى العربى الاسلامى الخلاص الحقيقى لكل مشاكل ومعاناة البشر الذين يعيشون فى

المحيط الجغرافي والانساني والتاريخي العربي.

■ **منذ الخمسينات، أي منذ انبلاج الثورة الناصرية، والتفكير الوحدوي له حضوره، وقد جرت محاولات وحدوية عدة منذ ذلك التاريخ، وأعطت ثورة الفاتح من سبتمبر زخماً للعملية التوحيدية، حتى بلغت المحاولات الوحدوية خلال الاربعين سنة الاخيرة نحو ٢٠ تجربة آلت جميعها الى الاخفاق، ماهي أسباب هذا الاخفاق؟ هل ثمة قصور في الفكر القومي؟ أم هناك غياب للارادة الوحدوية الصادقة المستوعبة حقائق التاريخ وقوانينه؟ أم أن العملية الوحدوية تفتقد الميكانيزم والأداء الصحيح القادر على الإنجاز؟**

□ السبب الأساسى أولا فى رأيى هو النظام العالمى، فهو لا يقبل بأية وحدة لأنه يطمع بخيراتنا وبمخزوننا النفطى ويريد إحكام هيمنته السياسية والثقافية والاقتصادية، والوحدة تحول دون اطماعه، هذا أمر مسلم به . المهم أن نكون نحن العناصر الثقافية للوحدة، ونحييها لتأخذ أبعادها، ولكى نفرض وحدتنا على الغرب ولو كانت تتعارض مع مصالحه، ويبدو أننا وضعنا فى تفكيرنا الوحدوى العربة قبل الحصان، وربما كانت تلك المحاولات الوحدوية التى تمت محاولات نظيفه وسليمة، لكن كان يجب الاعداد لعناصر الوحدة وأدواتها قبل التفكير بإقامة كياناتها، وذلك بتعميق ثقافتنا وتربية الأجيال تربية قومية علمية، آنذاك لايمكن لأية قوة فى العالم أن تحول بيننا وبين أهدافنا فى الوحدة، الوعى ضرورى جداً، لأن الغرب يقف لنا بالمرصاد ويحاول تجزئتنا وإستغلال مابيننا من فروق، إن منطقتنا عامرة بالطاقات والقدرات التى

يسيل لها لعاب الغرب لأنها العمدة فى تسيير آلية نظامه، وهو لايسمح لنا بتكوين وحدة تعترض مصالحه، هذا هو السبب فى إحباط ووأد كل محاولة وحدوية فى رأيي، يضاف الى ذلك أننا لم نكبر بعد ثقافياً ووعياً، وهناك أكثر من دولة عربية سعت الى محاولات وحدوية ولم تنجح لان عناصر القوة لم تكتمل لها، وبصورة عامة يجب الا نمكن الغرب من الوقوف حجر عثرة في طريق وحدتنا، لأنها سبيل الى قوتنا وضمان لمستقبلنا وتقدمنا، وعلينا الا نسعى للوحدة بالاكراه والفرض، وقد كان عبد الناصر واعياً حين لم يستخدم القوة ضد العناصر الانفصالية فى سورية، لأنه ادرك انه سيفتح جرحاً له آثاره فى حياتنا ومستقبل الوحدة، وأنا شخصيا من الذين تساءلوا آنذاك عن سبب عدم إستخدامه القوة، لكن كان هو على صواب كما تبين لي...

من جهة أخرى أحب أن أؤكد على أن التجزئة لاتلائمنا بحكم ثقافتنا الواحدة، هي غير مقبولة، علينا أن نتوحد، وحتى الغرب بمفهوم التنمية لديه، وبما يملكه من دهاء، ادرك أن تلك التنمية لايمكن أن تتم وتتطور إذا ظلت محصورة فى مجال ضيق، التنمية تتطلب رقعة مكانية واسعة، لذلك سعت أوروبا الى وحدتها، والولايات المتحدة سعت الى التنسيق مع كندا والمكسيك وبعض الدول الآسيوية وهى تعمل هناك من منطلق التكامل، الوحدة الأوروبية ستوفر لدول أوروبا سوقا واسعة تضم حوالى ٥٦٥ مليون مستهلك.. ونحن مازلنا نتساءل كيف نقيم وحدتنا.. ومع من نتوحد؟! هل نتوحد فيما بيننا أو مع الغرب الذي لايقبلنا شريكاً فى مستوى الند.. فمسألة الوحدة

أصبحت بالنسبة إلينا مسألة مصير.. مسألة حياة أو موت .. يجب أن نتوحد بأية كيفية ويجب ان نعترف بأنه قد كان هناك قصور واضح في فكرنا القومي وفي أدواتنا الوحدوية، ويتحمل المثقفون القوميون النصيب الاكبر من الفشل لانهم لم يجتهدوا بالشكل الكافي والشامل لطرح فكر وحدوى استراتيجي قابل للتطبيق ولم يقوموا بتأسيس تيار جماهيرى عريض متسلح بوعى علمى معرفي ومدرك لحركة الاحداث ومتحفز لتوظيف كافة الظروف والعوامل من اجل تقريب يوم الوحدة وتحقيقها لا بقرار فوقى وانما بضغط جماهيرى وبتسلط رأى عام شعبي قوى لايمكن لاى نظام سياسى أن يتجاهله أو أن يحاربه فالفشل كان لاسباب وعوامل عديدة منها الذاتى والموضوعى منها الداخلى والخارجى، وعلينا ان نعى ونفهم وندرس ونراجع التجارب الماضية كي نتمكن من تحقيق طموحاتنا دون تكرار الاخطاء.

■ ■ **أى طريق يوصلنا الى هدف الوحدة؟ هل نسعى الى النموذج الذى تمت به الوحدة الالمانية زمن بسمارك او الايطالية زمن غاريبالدى، لقد طرح المفكر القومي نديم البيطار منذ ربع قرن تقريبا فكرة الاقليم القاعدة ورأى أن مصر يمكن ان تكون الدولة المحورية بحكم موقعها التاريخى والجغرافي وثقلها البشرى والحضارى..**

كيف تتصورون الطريق الى الوحدة العربية؟

❑ اليوم تبدلت المعطيات، والنموذجان الالمانى والايطالى اللذان ذكرتهما يمكن ان يكونا قدوة لنا، ولكن تغير المعطيات يدفعنا الى التسليم بان فرض الوحدة بالقوة أمر متعذر التحقيق الآن، وإنما نعتمد

اسلوب الاقناع والاختيار الحر للوحدة كما فعلت اوروبا التى لم تفرض وحدتها على دولها، بل تركت للشعب حرية تقرير ذلك بالاقتراع، وقد لاتتم وحدة الاقطار العربية كلها دفعة واحدة، بل تقام محاولات وحدوية بين دولتين أو أكثر، ثم يتم بالتدريج دمج هذه المحاولات التوحيدية. مثلاً اعتقد ان مصر والسودان قادرتان على إقامة لون من الوحدة بينهما بحكم الروابط التى تجمع بينهما، كذلك الأمر بالنسبة الى الدول العربية فى شمال أفريقيا، وما بين سورية والعراق وفلسطين والاردن، ومابين السعودية ودول الخليج، ويجب دمج هذه الوحدات بعضها ببعض بصيغة فيدرالية، أما تحقيق الوحدة دفعة واحدة بضغط زر.. فهذا أمر مستحيل، لابد من المحاولة التى قد يرافقها الاخفاق أو التقدم النسبى الى أن يتحقق الأمر فى النهاية، ولا أرى مايحول دون قيام وحدات تؤول الى وحدة كاملة فمجتمعنا يملك كل مقومات الوحدة من النواحى الطبيعية والجغرافية، فمصر والسودان لاشيء يعوقهما عن الوحدة، فهما يشكلان قوة بشرية هائلة، فمصر اليوم تعدادها ٦٠ مليون نسمة وسيصبح عدد سكانها ١٠٠ مليون نسمة بعد زمن قليل، ومساحتها مع السودان تتجاوز الـ ٣٫٥ مليون كم٢، ومثلها العراق وسوريا والاردن ولبنان وفلسطين، وقس على ذلك دول المغرب العربى ودول الجزيرة العربية بما فى ذلك اليمن، كل هذه المجموعات قادرة على تشكيل وحدتها وإقامة كيانات كبرى تربط بينها جسور من التنسيق والتكامل، وذلك أقرب للتحقيق من التفكير مباشرة بإقامة وحدة كبرى دفعة واحدة، وأنا تقريبا مع فكرة البيطار، فبالنظر الى معطيات استراتيجية وثقافية، ما الذى يمنع من أن تكون مصر مؤهلة للقيام بمثل هذا الدور كاقليم قاعدة،

وأن تكون المحرك الاساسى، انها تملك القدرة على ذلك فعلا، وأنا هنا أتكلم عن وحدة شاملة لاعن محاولات وحدوية جزئية، أنا مع البدء بمحاولات وحدوية إقليمية، ولكنى أرى أننا لانقدر على الوصول الى الوحدة الشاملة بعد مرحلة الوحدات الاقليمية ما لم يكن لمصر دور رئيسي فى ذلك، والشروط الوحدوية تتوافر لها اكثر من اى بلد آخر، بغض النظر عن الوضع الحالى الذى تمر به، وأنا أدعو كافة الوحدويين والقوميين الى التركيز على مصر حتى تتمكن من القيام بدورها المحورى فى عملية النهوض العربى والعملية التوحيدية يجب التركيز عليها من خلال مصر ويجب العمل على توفير كل الشروط والظروف كى تقوم مصر بهذا الدور.

أفريقيا المسلمة

■ ■ **فى الوقت الذى تربطنا فيه كعرب علائق تاريخية وجغرافية وغيرها مع القارة الافريقية، فإن مستوى التفاهم العربى الافريقى يراوح فى مكانه منذ عشرات السنين، هل تتصورون سياسة افريقية للعرب؟ وماهو مستقبل تلك العلاقة؟**

❑ أرى أنك مسست مسألة أساسية، فلدى بالذات نصيحة كنت قد قدمتها من قبل للأخ جمال عبد الناصر، وهى أنه يجب علينا ان نبذل مجهوداً كبيراً فى إتجاه إخواننا فى القارة السوداء لأسباب عديدة، منها أن هذه القارة قد عانت فى التاريخ الانسانى كثيرا ومازالت تعانى من الاحتقار، ونحن نعرف جميعا مسألة الرق الرأسمالى وقتل مئة مليون افريقى تحت وطأة اطماع الرأسمالية وإرغامهم على الهجرة الى امريكا

ليعملوا فى المزارع. وهو أمر يعد من احلك المآسى التى شهدتها البشرية، مأساة السود فى اميركا، ومن ناحية اخرى فان لهذه القارة مستقبلا مشرقا، فمن الناحية السكانية ستشكل بعد مئة سنة تقريبا ثلث سكان العالم، ثم وبكل صراحة، فإن من الامور الجديرة بالاهتمام ان يكون الاسلام هو الوردة على صدر افريقيا، لقد كانت لى لقاءات مع عدة زعماء افارقة زمن عبد الناصر، وعملنا معا عملاً ضخما مع كوامى نكروما وموديبوكيتا واحمد سيكوتورى وجومو كينياتاوديالو تيلى، مع كل هؤلاء العظماء كان لعملنا أثر كبير، حتى أن نكروما قد تزوج من سيدة مصرية، وقدرنا بأنه قد اعتنق الاسلام، نحن ساعدناهم بكل اخلاص وعملنا على ابطال الفخ الذى كان الغرب قد نصبه ونجح للاسف اليوم حين اقام تفرقة بين افريقيا بيضاء واخرى سوداء، اليوم علينا إستكمال مابدأناه، فالأخوة الافارقة محتاجون لنا مع أننا فى حالة لانحسد عليها لكنهم احوج منا للعون، فهم يعانون من البؤس القاتل والمجاعة والإزدراء المهين من قبل الغرب، وعلينا أن نمد لهم العون، إن مصيرنا واحد، وكل التنبؤات تشير الى أن أفريقيا ستصبح كلها مسلمة فى فترة وجيزة وهو مؤشر حسن يحفزنا الى النهوض مجدداً بنشر رسالتنا وثقافتنا، وأن نقدم شيئا للإنسانية، وأرى أنه سيكون لإخواننا الأفارقة دور فى ذلك وعلينا أن نعزز روابطنا ونمتنها معهم، إن لافريقيا دورا هاماً حتى على صعيد الامن القومى العربى، السودان مثال يوضح ما أعنيه بذلك، وأرى أن نبادر الى تعزيز ثقافتنا ودعمها فى افريقيا، إن للغة العربية حضوراً وانتشاراً الآن فى مالى والصومال والسنغال ونيجيريا والنيجر بالذات، وفى مختلف البلدان الافريقية المسلمة، ولدى معلومات وافية عن وجود توجه

فى هذه البلدان لنشر اللغة العربية وتعلمها، لماذا؟ لأن الافارقة المسلمين يرون فى تعليم اللغة العربية مستقبلهم بالذات، ولذا فإن افريقيا تقدم لنا بعداً استراتيجيا رائعاً، وستكون معنا والى جانبنا، فالأفارقة شعوب طيبة وعلى سجيتها وسيضيفون دعماً للاسلام وللطاقة العروبية الاسلامية.

إستعادة الخليج

■ ■ ثمة بعد آخر هو دول الجوار الإسلامى فى آسيا، تركيا وايران تحديداً، ومن خلفهما دول آسيا الوسطى الاسلامية التى كانت تحت حكم الاتحاد السوفيتى السابق، كيف ترون مستقبل علاقات العرب بجوارهم الاسلامى الآسيوى؟ وبآسيا عموماً؟

❑ لاتنس أن الطاقة السكانية ستتركز فى آسيا مابين أندونيسيا وباكستان وبنغالاديش، بالإضافة إلى ١٢٠ مليون مسلم مازالوا فى الهند، وماليزيا أيضاً، والاقليات المسلمة فى بلدان اخرى من آسيا، وهى طاقة بشرية هائلة، وهذه البلدان دخلت كلها الآن فى شبة تنمية، وهى ناجحة فيها، فى اندونيسيا وعلى الأخص ماليزيا، والباكستان حققت الآن اكتفاءها الذاتى فى المجال الزراعى، وأنا حين أتحدث عن الطاقة البشرية إنما أهدف الى ابراز دورها بالنسبة إلينا نحن فحسب، وأنبه إلى أننا نملك القدرة على التواصل والتعايش مع هذه الشعوب المسلمة وبخاصة الهند التى انفصلت عنها الباكستان، وأنا أعد الثقافة الهندية من أروع الثقافات، وهى قريبة منا، نظراً للروابط التاريخية التى جمعت بيننا، لقد كانت لنا علاقات حتى مع المغول من حفدة تيمور لنك، إن للهند

دوراً كبيراً فى مصير المنطقة ويجب أن نسعى للتعايش السلمى كمسلمين معها، وأنا ضد أية محاولة للصدام المسلح مع الهند نظراً لوجود ١٢٠ مليون مسلم هناك، لقد كانوا فى الهند يدخلون الاسلام جماعات وجحافل قبل أن تصدر أنديرا غاندى قراراً بمنع ذلك من الحدوث، ولكن يجب الا ننظر للأمور من زاوية ضيقة، كذلك فإن الايرانيين هم إخواننا وأبناء ديننا وينبغى تعزيز العلاقات معهم وإن للمسلمين الايرانيين دورا مهماً فى صراعنا مع الصهاينة كحلفاء إستراتيجيين فى هذه المواجهة المصيرية، وأنا أؤمن بامكانية تأسيس تحالف عربى ايرانى لمواجهة مخططات الغرب الاستعمارية فى المنطقة العربية وجوارها الاسلامى، الجغرافيا الاسلامية ينبغى أن تستخدم كحزام أمن إستراتيجى يحمى الوطن العربى لا أن يهدده، ومن مصلحة العرب أن يرتبوا علاقاتهم مع الجار الشقيق الايرانى لتكون علاقات مبنية على التفاهم والتعاون والتنسيق فى كافة المجالات، نحن تربطنا بالايرانيين قواسم مشتركة ثقافية وإجتماعية وحتى نفسية، ويجب التنسيق بيننا لخدمة الاسلام والمسلمين فى انحاء المعمورة ولو حشدنا إمكانياتنا وإمكانياتهم لتوصلنا لصنع معجزات لصالح المسلمين، على الاقل، لما كان يحدث الذى يحدث الان فى البوسنة والهرسك على مرأى من اوروبا التى تدعى حماية الديمقراطية والدفاع عن حقوق الانسان، ولوتوحدت جهود المسلمين العرب والايرانيين والاتراك بشكل عملى لاستطاعت ان تغير أوضاعاً كثيرة يعانى منها إخواننا فى الدين من البوسنيين، ولكن للاسف الشديد، كل طرف يحاول ان يتدخل منفرداً وفق حسابات ضيقة لاعلاقة لها بالاستراتيجيةالاسلامية لخدمة ديننا ومشروعنا الحضارى، ولا

أعتقد بوجود خيار آخر غير الدخول فى حوار شامل وبناء لرسم إستراتيجية واضحة المعالم والاركان كي يكون للمسلمين دور فاعل ووجود محترم على الصعيد العالمى، والذى يجمع بيننا وهو الاسلام الحنيف وسنة نبيه الكريم أقوى بكثير مما يفرقنا، وقصيرو النظر من الساسة هم الملومون لعدم وجود مثل هذا التحالف المصيرى لفائدة الاسلام والمسلمين..

وتربطنا بالأتراك روابط إسلامية، وتركيا فى رأيى هى المؤهلة لأن تلعب دوراً داخل الجمهوريات الاسلامية التى كانت تابعة للاتحاد السوفيتى، تركيا ظاهرة طيبة، وان كان بعض إخواننا المشارقة، والمسيحين منهم على وجه الخصوص، يصورون حكم العثمانيين على انه لون من الاستعمار، أنا شخصيا لست مع هذا الطرح، قد يكون الحكم العثمانى فى بعض فتراته حكماً جائراً، لكن ذلك لايعنى ان نسميه إستعماراً، ففى بعض فتراتنا التاريخية كان لدينا حكام جائرون، لقد كان للاتراك زمن الحكم العثمانى فضل فى انقاذ الشمال الافريقى من الاستعمارالاسبانى، وكان لبعض رجالاتهم من أمثال بابا عروج أياد لاتجحد، وكان للاتراك العثمانيين فضل فى طرد الاسبان من وجدة وحتى من ليبيا كما تعلم، وهم الذين قتلوا الاميرال الاسبانى المعروف بدوره الخطير بيترونافارو.. قتلوه فى ليبيا، ومن هنا لا يصح تسمية الحكم العثمانى بالاستعمار وأشير الى أن وراء هذه التسمية تكمن نوايا خبيثة وغير طيبة.. واعتقد أنه من المهم جداً تصحيح العلاقات بين العرب والاتراك ووضعها من جديد فى إطار المصالح القومية والاسلامية المشتركة لأن ذلك يضيف إمكانات وأبعاداً هائلة للعرب والمسلمين.. إننا

ننحي باللائمة كثيرا على الدولة العثمانية وإننا ننسى أن كياننا الحديث كعرب جاء رسميا بناء على كوننا جزءا من الدولة العثمانية في ميثاق تأسيس الجامعة العربية التي حددت الدول العربية المشتركة فيها حصراً على أنها الدول العربية التي كانت جزءاً من الدولة العثمانية، وأنها كانت في أيامها دولة عظمى وأن جيشها الإنكشاري كان أول جيش نظامي بالمفهوم الحديث للنظامية في أوروبا..

■ ■ إذا سمحتم أعتقد أن الحديث عن إيران يحتاج الى المزيد من إضاءة لعدة جوانب، كيف ترون مستقبل العلاقات العربية الايرانية على ضوء صراعات الماضي والحاضر.. أنتم تنادون بالتحالف الإستراتيجي مع ايران لمصلحة المسلمين وهذا مفهوم ولكن ثمة مشاكل كثيرة عالقة كيف يمكن تجاوزها من الجانبين؟

□ لامناص من الاعتراف بشعور خفي بشيء من خيبة الأمل عند الحديث عن الثورة الايرانية، هذه الثورة أشعلت فينا آمالاً عظيمة لدى انطلاقها إلى حد أننا التحمنا بها تماماً.. إلى حد أننا تجاوزنا عن بعض الاخطاء المصاحبة للبدايات.. واعتبرناها أملاً للامة العربية وأملاً للاسلام.. وإنما اليوم بعد عقد ونصف من الثورة وبمراجعة الموقف نجد أنفسنا مضطرين للمصارحة.. فالشعار الاسلامي يكاد يتزحزح أمام الشعار المذهبي أو على الأقل هو مازال يسير بموازاته ولن تكون ثمة إنبعاثة جديدة للإسلام بغير تقديم الدين على المذهب .. هذا مابشرتنا به الثورة الإسلامية الإيرانية نفسها في بداياتها وحمدنا لها ذلك.. فاذا إنتقلنا الى المواقف السياسية نجد مسألة الجزر العربية الثلاث والإصرار على إستمرار

احتلالها وتجاهل الحق التاريخى للعرب فيها ورغم كل الجهود الدبلوماسية التى قامت بها دولة الإمارات... هذه العقلية يمكن أن أفهم وجودها لدى الشاه أما أن تظل موجودة لدى الأخوة المسؤولين فى ايران الثورة الاسلامية فذلك مايحيرنى فعلاً.. على كل حال إستمرار إيران فى إحتلال جزر الإمارات العربية المتحدة هو تكريس لعنصر توتر دائم فى الخليج الذى كان شركة بين العرب والإيرانيين وهو اليوم قاعدة بحرية للأساطيل الأميركية والبريطانية.. وهذا الاحتلال هو أحد عناصر توتر دائم فى العلاقات العربية الايرانية.. فى حين أن الامة العربية والأمة الايرانية المسلمة كليهما مستهدفان من تلك الأساطيل الغربية.. وفى حين أنه يفترض أن لانسمح نحن العرب والمسلمين بأية ثغرة يدخل منها الاستعمار وبأية مشكلة تستنزف جهودنا وقوانا و تجرنا بعيداً عن ساحة التلاحم الحقيقى الفعال لمواجهة ذلك الاستعمار.. هذا التنائى بين الأمتين المتجاورتين ندفع ثمنه جميعا كمسلمين مزيداً من الهيمنة الأميركية، فأنا أناشد الأخوة فى إيران أن يصححوا الأخطاء التى وقعوا فيها وأن يصلوا مع الإمارات العربية الى تسوية تعيد الجزر إلى اصحابها العرب وتؤسس لعلاقة اخوية دائمة بين الأمتين.. ومن وجهة نظرى فإن على العرب تدارك تقصيرهم تجاه الإمكانات الهامة التى يمكن ان تتوفر بإرساء علاقات إخاء وحسن جوار وتعاون إقتصادى وعلمى فى إطار الأخوة الإسلامية، على العرب والايرانيين معاً عبء العمل لاستعادة الخليج من القوى الكبرى التى تسيطر عليه حاليا.. وبامكان أقطار الخليج وايران أن تصل إلى إتفاقات كثيرة تشمل عدم التدخل فى الشؤون الداخلية وتنسيق الجهود بحيث تنتهى تلك الكارثة المتمثلة فى احتلال

الاسطول السابع وملحقاته للخليج.. إذ أن السعودية والكويت وغيرهما هى الخاسر الأكبر من هذا الإحتلال.. وأظن أن المسؤولين لديهم قد وصلوا إلى تلك القناعة بعد التجربة.. إنهم يضخون نفطهم لحساب الأسطول السابع..

الرهان التركي

■ ■ **تركيا إنتزعتها الأتاتوركية من أمتها الإسلامية، هذا الجار كثير المشاكل كيف تستقيم العلاقات معه؟ وماهى رؤيتكم للدور التركى؟**

□ الوصف نفسه ينطبق على العرب، كجيران لتركيا فهم أمة كثيرة المشاكل أيضاً، على كل حال أنا أرى أن تركيا دولة مهمة جداً، أهم من أن تبقى العلاقات العربية معها متروكة للصدفة والنيات الحسنة وغير الحسنة، ولدى العرب والأتراك معاً فرصة بناء وتجديد تلك العلاقات على أسس سليمة تنطلق من المصالح المشتركة وحسن الجوار والأخوة الاسلامية طبعا، يساعد على توفر هذه الفرصة فى رأيى أن الغرب الذى إتجهت إليه تركيا بالأتاتوركية كما أشرت في سؤالك رفض أن يمنحها عضوية كاملة فى ناديه رغم كل ما قدمت له انقرة من خدمات منذ الحرب العالمية الثانية، خدمات إستراتيجية لاتقدر بثمن، الغرب يقبل تركيا عضواً غير كامل العضوية وبشروط مهينة للأمة التركية العظيمة، وأتاتورك الذى يقال أنه من يهود الدونمة إرتكب خطيئة تاريخية تدفع تركيا ثمنها الآن عندما استبدل قلب تركيا الطبيعى الشرقى بقلب آخر صناعى غربى لاينبض ولايضخ.. لهذا عبر أوزال عن خيبة الأمل فى

التجاهل الغربي للدور التركي باستحداث مزيد من الازمات مع العرب كي يثبت للغرب بأنه لم يزل مهماً رغم زوال الخطر السوفيتي، ولهذا قال أوزال شعاره الامبراطورى الذى يعبر عن الطموح التركي: من ضفاف الادرياتيك الى سور الصين العظيم.. والسياسة التركية الراهنة تظن أنها بتقديمها خدمة لوجستيكية لقوات التحالف لضرب العراق أو بدخولها المائى على خط التفاوض بين الحكومات العربية والإسرائيليين ستكسب الغرب الى صفها، الحقيقة أن هذا وهم كبير وتتجلى الآن البراهين على ذلك.. إن تركيا قد توجه اليها ضربة خطيرة فى البلقان وبموافقة غربية والفيتو الذى تمارسه جماعات الضغط السياسى داخل الكونجرس من الاعضاء ذوى الأصل اليونانى والارمنى على أى دور فوق عادى أو تسليح فوق متطور، ناهيك عن الرفض الاوروبى المتزايد للتواجد التركى فى اوروبا الموحدة هذه المؤشرات وغيرها تنبئ بأن الرهان التركى على الغرب هو رهان خاطيء، ومن مصلحة الأتراك ان يبحثوا عن السبيل الأمثل لتأسيس سياسة عربية وإسلامية لتركيا، على الأقل لايورطوا أنفسهم فى أزمة مع العرب تكرس المزيد من العداء التاريخى تارة بسبب الفرات وأخرى بسبب التواطؤ على العراق..

وأنا أعتقد جازماً أن الإسلاميين قادمون إلى تركيا فى نهاية الأمر، كرد فعل - أساساً - على خيبة الأمل التركية تجاه الغرب والمؤشرات على ذلك قائمة وموجودة.. وأنصح الأخوة فى تركيا أن يغلبوا عوامل الجغرافيا والتاريخ والمصالح المشتركة على أية عوامل أخرى، وهى كلها عوامل تصب فى النهاية لصالح إقامة علاقات صداقة بل وتحالف بين

الأمتين العظيمتين العربية والتركية ومثل هذه العلاقات ستساعد تركيا كثيراً في أن تكسب المزيد من النفوذ والأهلية في آسيا الوسطى.. بدون العرب وعلاقات وطيدة معهم، القدرة التركية تبقى أقل من الدور التركى وبالعرب والعلاقات الوطيدة معهم تعود القدرة لتصبح في حجم الدور بالنسبة لتركيا.. هذا درس الماضى والحاضر معاً.. أما تهديد الأمن المائى لسوريا والعراق فهذا ليس في صالح أحد.. وعندما يكون لك جار فإن علاقتك به يحددها منظور تاريخى دائم.. لأنه سيبقى جارك على الدوام، ولجوء الحكومات التركية إلى خلق توتر وعداوات دائمة مع جاراتها العربيات لحساب أوضاع دولية متبدلة ليس من الحكمة في شيء.. لا الآن ولا في المستقبل.

المحور الثاني

القومي والإسلامي

قراءة أخرى

« لم يكن الإسلام ديناً فحسب، بل كان ثورة اجتماعية ذات مضامين حضارية أنشأت بينه وبين الأمة العربية علاقة عضوية.. الإسلام كثورة اجتماعية لعب دوراً أساسيا في تكوين الأمة العربية»

من كتاب «عن العروبة والإسلام»
للدكتور عصمت سيف الدولة

■ ■ **بسبب سيطرة النفوذ الصهيوني على الإعلام الغربي، فإن ذلك الأخير قد ركز على تشويه مفهوم القومية العربية وفي أحيان أخرى نفي وجودها أصلا، وربط بينها وبين الدكتاتورية والإرهاب.. إلخ، كيف نؤكد على المضامين الإنسانية لقوميتنا وعلى عمقها الثقافي وأبعادها الحضارية؟**

❑ أنا أرى أننا يجب أن نحدد قليلاً فكرة العروبة، العروبة ليست عروبة دم، وإنما هي سمة ثقافية بالدرجة الأولى، وعلينا ألا نتجاهل حقيقة تاريخية لايمكن جحدها حين نفكر بالعروبة، وهي الإسلام الذى تمتد جذوره فينا إلى أربعة عشر قرناً من الزمن، أنا لا أرفض أن يتكلم الناس عن جذورهم القومية، كالكلام عن ما سينيا وبوغورتا، لكن علينا أن نؤكد أثر الإسلام فينا عبر هذه القرون الأربعة عشر، فهو قد شكل حقيقة أساسية بالنسبة لنا ولتاريخنا وتاريخ المنطقة، وقد صبغنا بصبغته، ودخل فى تكويننا، أى فى أعماق شخصيتنا، ففى داخل كل إنسان ـ كما يقول يونج ـ مخزون إنساني يمثل تاريخه ككل، وهذا المخزون يتحكم به دون أن يشعر، والإسلام هو ذلك المخزون التاريخى فينا، وهو اختزال أو صفوة لمدة تاريخية امتدت أكثر من ألف سنة، إنه يتحكم فينا مثلما يتحكم فينا تاريخنا الإنسانى المديد عبر ستة آلاف سنة، وهى حدود التاريخ المعروفة، وترتسم معالمه فى شخصيتنا الإنسانية، تلك المعالم التى تكونت تاريخياً وعملت على تكويننا أفراداً وجماعات كما يقول علماء الإجتماع والفلسفة، وهذا المخزون يدرس اليوم من خلال علم جديد

يستند الى معطيات العلوم كلها، ونحن العرب لدينا مخزون أساسي هو الإسلام، ولا شك أن هناك مؤثرات أخرى عملت على تكوين شخصيتنا، لكن يظل الإسلام هو الأساس، ونحن حين نتكلم عن ثقافة نقصد بها الثقافة العربية الإسلامية التي طبعتنا بطابعها، فنحن في المغرب العربي قد نكون متحدرين من الأمازيغ، لكن بفضل الثقافة العربية واللغة العربية التي أصبحت اليوم أهم رابط يوحد بيننا، صرنا عرباً.

ضحالة!

■ ■ هل الغرب مؤهل للوحدة أكثر منا؟ أقصد هل توصلت الثقافات الغربية الى بلورة المشروع السياسي الغربي في حين عجزت ثقافتنا العربية الإسلامية عن ذلك حتى الآن؟

□ نحن أحوج ما نكون الى هذا، وقد رددت شخصياً هذا الكلام، نحن بحاجة الى ثورة ثقافية لنتدارك أمرنا، ونعمق فهمنا لثقافتنا، ثقافة يمكن أن توحدنا أكثر مما توحدنا الشعارات والخطب، علينا أن نتمثل ضرورة الوحدة في العمق، وإلا فكيف ندرك كنه ديننا، وطاقات لغتنا وقيمتها؟ نحن في العالم العربي موحدون تقريباً من الناحية الثقافية، أو في طريق الوحدة، لكن الترجمة السياسية لهذه الوحدة كانت سيئة، نحن أعرق في مجال التوحد، ونملك ما لا يملكه الغرب، أقصد وحدة الضمير الإنساني الخلقي، مما هو فينا ولا نجده لدى الغربيين، الولايات المتحدة إستلبت ثلث رقعتها تقريباً من المكسيك، وثقافات الغرب متناقضة تماماً ما بين الأسبانية واللاتينية والساكونية، ومع ذلك فإنهم يقيمون وحدتهم

على الرغم من هذه التعددية في اللغات، ونحن ما زلنا على حالنا، علينا ألا نخاف من تجربة الوحدة، علينا أن نجربهاأكثر من مرة، ولا نخشى الإخفاق، فالتجربة لا تعني النجاح التام، فيها السقوط، وفيها العقبات، نحن جربنا الوحدة لكن لم نجربها على أسس، وبكل صراحة علينا أن نجربها أربعين مرة أخرى بل خمسين.. لنستفيد من تجاربنا، كالطفل الذي يكبر ويتعلم من محاولاته، ولو أحبط أو أخفق، لكن لابد من أن ننجح في تحقيق وحدتنا في آخر المطاف، لابد أن نتوحد، وليس لنا أن نتخذ أي تجربة وحدوية تمت مثالاً لنا، فقد يكون ذلك فيه فخ لنا يشعرنا بالإحباط من أول الطريق، المحاولات الوحدوية التي تمت، كالتجربة الناصرية، التي قدمت شيئاً، والمحاولات البعثية، وتجربة الثورة الليبية، لم تنجح لأن القوى الخارجية وبعض من يهمهم إخفاق الوحدة من الداخل حرصاً على مصالحهم، كانوا مصممين على إسقاطها، ولم يكن مستوى هذه التجارب وما تهيأ لها من ظروف ليؤهلها للنجاح، فمعطيات القوة والمقدرة لقيامها وإستمرارها لم تكن متوافرة، والأنظمة العالمية كانت تعارضها لأن قيامها يتعارض ومصالحها، وهي قادرة على التعويق والعرقلة والسيطرة، لكن ذلك كله لا يمنع من إجراء تجارب وحدوية أخرى، علينا أن نعيد الكرة ونتدارك أمرنا حتى يتم للوحدة النجاح، وفي رأيي علينا أن نهتم بالمسألة الثقافية ونعمل لها، يجب أن نصب اهتمامنا على تخريج أجيال واعية قومياً، كنا نداوي إنقسامنا بالكلام والخطب التي إمتدت خمسين سنة، أما اليوم فعلينا أن نعرف كيف نبادر لبناء بيتنا، وبخاصة أن الغرب نفسه يعاني من حيرة، لأنه لم ينجح في بناء نظامه العالمي، وهو

يعاني من أزمة ليست فى نظري أزمة إقتصادية، أزمته تكمن فى معنى الحياة التي يقدمها.

■ **لم يزل التعارض والإختلاف وربما التناقض بين الفكرين القومي والديني لدينا يتسبب في كوارث عديدة، وإن الصراع الذي حدث بين الثورة الناصرية والبعث فى التيار القومي وبين الحركات الإسلامية فى التيار الديني لم يزل يرخي سدوله على أفكار ومواقف التيارين، هل تعتقدون بوجوب أسباب جذرية لتلك الخلافات؟ هل هى فكرية أم سلطوية أم مصلحية؟ وما دور الغرب تحديداً فى تسعير هذه الخلافات من حيث تأثيره في الفكر القومي؟ وهل ثمة دور للآسيويين تحديداً من الباكستان والهند في التأثير على ذلك الخلاف من حيث تأثيرهم على الفكر الديني فى المقابل؟**

□ أقول لك رأيي بكل صراحة، أنا أرى أن هذه التناقضات ليست كلها مستوردة من الغرب، وإنما هي ناتجة عن نقص في ثقافتنا وفى وعينا، وعينا لجذور ثقافتنا، وأعتقد أن فى هذه التيارات أناساً مخلصين، وذلك لاينفي أيضاً وجود إنتهازيين في كل هذه التيارات، ممن كانت لهم مشاركة في تزييف معطياتنا الثقافية، لدينا على ما أعتقد ضحالة ثقافية، ونقص في الدراية، فنحن نعلم بأن الغرب ليس طاقة إقتصادية فحسب، إنه طاقة ثقافية ولكنها لاتناسبنا، غير أننا إلى اليوم لانملك نظرة مجردة وعلمية ونظيفة لنقد وتحليل جوانب هذه الثقافة الغربية التى يتوجب علينا رفضها، ويجب ألا يكون موقفنا من ثقافة الغرب هو الرفض

فحسب، بل علينا تحليلها، وتحديد عناصر القوة فيها التي يمكن أن نفيد منها، الإسلام لم يدر ظهره للثقافات الأخرى بل درسها واختار منها مايلائمه، فقام المسلمون بالترجمة والإقتباس، وكان العرب بدواً جاءوا من الصحراء، لكنهم تفاعلوا مع حقيقتين كانتا واقعاً ذلك الوقت، هما الفرس والروم، ولم يرفضوا كل ما اتسمت به هاتان الثقافتان، هم أخذوا، لكنهم أعطوا لثقافتهم طابعها الواضح بفضل عبقرية الدين الإسلامى، فكانت لنا حضارة تقوم على الأصالة والاقتباس، أما الآن فإن قراءتنا للفكر الغربي وللثقافة الغربية لاتخلو من سطحية، فليس لدينا نقد بناء لها، فلكى ننقد الثقافة الغربية يلزمنا أولا معرفة كنه ثقافتنا من الناحيتين الدينية والفكرية لكى تكون لنا شخصية فكرية قادرة على الرفض أو الاقتباس، فنحن مازلنا ـ بكل صراحة ـ نعيش في طفولية كبيرة، حتى فى مجال إقتراح تربة خصبة لثقافتنا، مازلنا نعانى من مشكلات، من ذلك هذه الظاهرة الدينية التي نشهدها على الساحة اليوم، أنا لاأنكر دورها ولا أنتقدها فى الجوهر، لا، أنتقد بعض مظاهرها ومراميها وممارساتها، مع كل تقديري لها، فأنا أعدها منا، ويجب أن نتعامل معها ونتجادل حولها، لكن تظل منا.. من كياننا، وأنا أرى أنها تمثل مرحلة مراهقة بصراحة، إنها خطوة أشبه بمحاولة الطفل الصغير المشي.. لكنه يتعثر، غير أنها خطوة كان لابد لنا من المرور بها، فالرفض على سلبيته، هو مظهر لابد منه، ولكنني أعتقد أنها لم تقدم لنا بعد إجابات صحيحة، كان يجب غربلتها بعمق وتصحيح مسارها، لأنها تفضي إلى صراع داخلي أكثر مما تفضي إلى مواجهة خارجية، كذلك فإنها لم تظهر مقدرتها على تجريم

النظام العالمى وثقافته بوعي ونضج، ولا تتضح أبعادها، وهل هي ترفضه كلياً أو تنتمي إليه، ودون أن نسمي هذه التجارب التي وقعت، فإننا نحكم عليها عبر تاريخها الذى إبتدأ بالدعوة الوهابية التي ظهرت قبل خمسين أو ستين سنة من الثورة الفرنسية، ثم جاء جمال الدين الأفغاني الذى أعده ظاهرة من أروع مالدينا في المسار الإصلاحي، ومن بعده الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا، والتجارب الإصلاحية الأخرى، وأرى أن من واجبنا دراسة هذه التجارب والإفادة منها، لأن الغرب استطاع بعد إستقلالنا أن يجرنا فى طريقه، ويفرض علينا مفاهيمه فى الإصلاح،.ولم تكن لدينا القدرة على معارضة فكره، فالصراع بيننا وبينه لم يكن صراع بندقية وسلاح، إنه صراع فكري، وهو مازال يتحكم بنا لكن بأساليب فكرية وثقافية، ومن خلال نظام عالمي مفروض علينا، وبحسب أن نشير إلى وسائل نشر ثقافته وسياسته من خلال نظامه العالمي وطاقته وأجهزة هذا النظام ومنظماته العالمية من بنك دولي ويونسكو.. الخ، يكفيه الغات مثلاً، فهو إذاً يتحكم في مقدراتنا الأساسية وأمورنا الحيوية وكل ما من شأنه تسخيرنا له، وليس الأمر مقصورا على هذا، فأنا أعتقد أننا نتحمل جزءاً من المسؤولية، فنحن كقوميين ربما لم نتدارك أمرنا، ولم نحاول أن يكون لنا إسهام فى هذا الجانب الثقافي، وكان يجب أن نتوجه إلى ذلك بعد الإستقلال، ونبرز مشاركتنا، لقد بدأ قصورنا وضعفنا من هذه الناحية، على أننى أرى أن هذا الصراع يجب أن ينتهى، وعلينا أن نتحاور بصدق، وأن نلتمس صيغة، لكن بكل صراحة، مع تقديري للمواقف، فإن قضية الإكراه هذه يجب أن نبت فيها، وكذلك العنف في الأمور، فهما

لايفيدان في الجانب الثقافي.. بل على العكس، يضران جداً بمسيرتنا..

وإذا عدنا إلى التناقضات التي يتحدثون عنها بين العروبة والإسلام، فإني أعتقد جازما بأن أي تناقض ـ في حال وجوده ـ هو ثمرة قراءة خاطئة، وربما كانت هناك خلفية، لكن قراءة خاطئة للذات، وفي وقت ماسرنا في إتجاه فصل العروبة عن الإسلام، وكان هذا خطأ، كان خطأ لأن هناك إرتباطاً عضوياً مابين العروبة والإسلام، والفصل بينهما هو غلط، لا الظاهرة الناصرية ولا الظاهرة البعثية استطاعتا أن تبدعا في هذا المجال أو أن تعبرا عن هذه الحقيقة، وأعتقد الغرب لم يكن بعيداً عن ذلك، حتى إدوارد سعيد وبعض المستشرقين كان لهم إسهام في ذلك، أنا لا أفصل العروبة عن الثقافة الإسلامية، حتى إخواننا المسيحيين الذين يعيشون بيننا في الساحة يقولون لك أنهم ينظرون إلى الثقافة الإسلامية على أنها جزء من تكوينهم، لا كعقيدة دينية وإنما كهوية حضارية، وهذا أمر يجب أن نهتم به، لأن الإسلام قدم للمسيحيين ولليهود الكثير، نحن ارتكبنا أخطاء، ولكنها لاتقارن بأخطاء سوانا، ليس لدينا مثلاً ظاهرة في تاريخنا مثل ظاهرة هتلر أو موسوليني.. ليس لدينا ذلك، وليس لدينا ظاهرة إضطهاد عنصري كما جرى لليهود على يد النازية.. وأنا أعتقد أنه مهما كان الأمر، فإن الظاهرة الثقافية العربية هي أساسية للمسلمين كلهم كظاهرة ثقافية، وحتى للمسيحيين ولليهود الذين يعيشون معنا، وما يهمني هو قدرة هذه الثقافة على توحيدنا، وحفظ تراثنا، فالقرآن الكريم هو الذي حفظ اللغة العربية من الإندثار، في زمن ماتت فيه لغات أخرى

منها اللاتينية التي تشعبت ثم إضمحلت، حتى أصبح الفرنسي لايفهم لغة البرتغالي، وهذا بدوره لايفهم الإيطالية، مع أن هذه اللغات لهجات من اللاتينية في الأصل، الحمد لله أن القرآن الكريم هو الذى وحّدنا ووحد لغتنا وحماها..

■ **هل ترون وجود تعارض أو تناقض مابين العروبة والإسلام من حيث الإنتماء القومي والجغرافي والحضاري والمعتقد؟ وهل من المنطقي أن يوجد مثل هذا التعارض أو هو لامنطقى أن يكون هناك تعارض بين الإنتماءات الأربعة التى ذكرتها وهي الإنتماء الجغرافى والإنتماء القومي والإنتماء فى المعتقد أو الدينِ ثم الإنتماء الإنساني؟؟**

□ هذه الإنتماءات الأربعة يجب أن نحافظ عليها، وليس في هذا تعارض بل هو خصب وغنى للمعطيات وإثراء، يجب أن نحافظ على الجوهر وكل مايثريه، فالثقافة الجهوية أو المحلية والإنتماء الدينى وغيرهما، هي جوانب من شخصيتنا تثريها ولا تشتتها، حتى أوجه الخلاف في المذاهب الفقهية يعد إثراء، فالإختلاف بحد ذاته هو إثراء وغنى وظاهرة صحية، قديماً أسيء فهم هذا الأمر، واستخدم العنف فى تصفية وجهات النظر الأخرى، وهذا غلط، وربما يقع هذا الآن، أنا أرى أن البوسني مثلاً قد لايملك ثقافة،لكنه يملك مايطلق عليه (تحت الثقافة)، فقد يختلف ذوقه الموسيقي أو الفني عنا، ولهذا يجب إحترام الثقافات المحلية والخاصة وعدم القضاء عليها، فلها خصوصية طبيعية تعد غنى وإثراء للشخصية الإنسانية وتنوعها، أما الجوهر الإنسانى فيبقى

واحداً، فهناك ثقافة محلية شاملة وفي داخلها عناصر أساسية وفرعية وثانوية، ويجب أن يتاح لها التعبير عن نفسها، فداخل البيت الذي هو الإسلام، له ثقافته الشاملة والأساسية وثقافات فرعية وثانوية يجب أن تحترم، والإسلام ترجم حسب الشعوب.. لنأخذ الجزائر مثلاً، فالوهراني يعبر عن نفسه في الغناء بأسلوب يختلف عن أسلوب القسطنطيني، فالغناء الجزائري في أصله هو غناء عربي أندلسي، لكن كل جهة من جهات الجزائر منحته طابعها الخاص، أما الإطار فهو الإطار الحضاري العربي الإسلامي، ولو تنوع وبرزت فيه أنماط مختلفة التنويع، فالإسلام والثقافة الإسلامية واحدة.. لكنها تنطبع بطابع الوسط.. الجوهر واحد وإنما التعبير عنه له خصوصية.. وهذه الظاهرة مقبولة عالمياً ويطلق عليها في الغرب مصطلح (لا ديفرانس) أو الإختلاف، فالفروق النوعية أصبحت مقبولة اليوم.

البيت ... الاسلام

■ ■ ماهي محددات العلاقة بين الإسلام كدين والعروبة كقومية ؟

❑ أكثر من عشرين سنة مرت وهذه المسألة تشغل الناس، وربما يثير إستغرابهم مجرد إثارتها كما يحدث في المغرب العربي أحياناً، وفي رأيي أن ذلك ماكان ليحدث أساساً لولا أن البعض خصوصاً في المشرق العربي قد قام في تقديم العروبة كبديل للدين، مع أن العروبة بدون الإسلام هي مجرد إنتماء عرقي بلا مضمون، إذاً الإسلام هو الذى منح العروبة هويتها وشخصيتها ومكوناتها الفكرية والنفسية، لك أن تتصور

تراثاً عربياً يقف عند سوق عكاظ ويحرم من كل الإسهامات الإنسانية الجليلة للأدباء والعلماء العرب والمسلمين الذين تعربوا بالقرآن الكريم طيلة القرون التالية، ومن ناحية أخرى فإن جهوداً خبيثة موازية بذلت لوضع الإسلام وتقديمه كبديل للعروبة، مع أن العرب هم مادة الإسلام، وسبق أن استشهدت بالحديث القائل بأن ذل العرب هو ذل للإسلام، وإذا إستبعدنا إحتمالات ووقائع التآمر الخارجي ضد العروبة والإسلام معاً ونحيناها جانباً، فلا مندوحة من الإعتراف بوجود نوع من الخلط بين مفاهيم الدين والقومية لدى الكثيرين حتى الآن، وهذا يرجع أساساً إلى أننا مازلنا نخوض معارك الماضي بدلاً من رتق حاضرنا ونسج مستقبلنا، أقصد مازال هناك في صفوفنا من يفكر بمنظور الماضي بدلاً من التفكير بآفاق المستقبل، فالمنتسب إلى القومية الذي يفسرها وفقاً للتفسير الغربي، والمعادي للقومية الذي يفسرها أيضاً وفقاً لذلك التفسير نفسه، كلاهما عجزا عن التحرر من الماضي ومعارك الماضي وآثارها وكلاهما يحولان دون التركيز على حل مشاكل الحاضر والتقدم إلى الأمام، والناظر إلى الإسلام نفس نظرة أسلافنا قبل أكثر من ألف سنة إليه هو منغمس في عصر آخر غير عصرنا ولا إستعداد لديه للإجابة عن أسئلة عصرنا، كذلك المعادي للإسلام الذى يتهمه زوراً بتخلف مفاهيمه وقصور منهجه عن مواكبة العصر، هو نفسه يخوض كسابقه معركة الماضي ويفرض علينا إستقطاع أجزاء من الوقت والجهد لمتابعته تلك المعركة العقيمة... فأين الجهد والوقت لخوض معارك المستقبل؟ والحقيقة أن الإسلام بالنسبة للعرب هو أكبر من أن يكون ديناً فقط،

كالمسيحية بالنسبة إلى الألمان أو البوذية بالنسبة لليابانيين مثلاً، التجربة التاريخية للعرب مع الإسلام جعلته بالنسبة إليهم ثورة إنقاذ حقيقة لم تستبدل آلهة بإله واحد فحسب وإنما أعطتهم مضامين إجتماعية وأخلاقية وروحية وأيضاً سياسية ووحدوية كانت مجتمعاتهم القبلية خارج صورتها بشكل كامل تقريباً، بالنتيجة الإسلام هو الذي بلور الشخصية العربية مع الزمن وبطريقة لم يفعلها أي دين مع أي قوم آخرين في التاريخ، وفي المجتمع العربي نسج الإسلام بالتالي عقداً فريداً من النظم والنظريات والفلسفات القانونية والأخلاقية والسياسية حتى أصبحت المدنية العربية هي ذاتها القيم الإسلامية والنظم الإسلامية، وإلى درجة أصبح الإسلام معها فى النهاية هو المرجعية الحقيقية للفرد العربي وللمجتمع العربي أياً كان موقعه الفكري أو إنتماؤه الطبقي.

الإنجاز كمعيار

هذه الحقيقة غير التقليدية هي ماينبغى التفكر بها وإعتبارها في المقام الأول كي لايقع الخلط وكي نتوقف جميعاً عن خوض معارك الماضى ونتفرغ لعلاج الحاضر وبناء المستقبل.. الإسلام هو مرجعية العربي وهو ثقافته تقريباً كلها، وهذا يستلزم على من يستشعرون المسؤولية القومية ويتحسسون الخطر على الوجود القومي للأمة، أن لايتركوا هذا السلاح الخطير يسقط من أيديهم ولا أن يتلقفه غيرهم، إنهم أولى به إن كانوا صادقين لأنه الذخر والمنهل الهائل والمعين غير القابل للنضوب، كما أن المستمسكين بالعروة الوثقى عليهم ألا يفلتوا من أيديهم مادة

النجاح في المعركة مع أعداء الأمة العربية والإسلامية، أقصد الوحدويين العرب، بقدراتهم ومنهجيتهم وتجربتهم الفنية.. فالمعركة هائلة وشاملة وتتطلب كل الجهود، ووضع الإسلام في مقابل العروبة أو العكس لعبة آن لها أن تنفضح لأنها تجرنا إلى الخلف، ولن يتقدم أي مجتمع إلى الأمام، مالم تكن كل مقومات وجوده ومرتكزات تاريخه فاعلة وحاضرة وغير مستبعدة وغير متناحرة أو مرصوصة ضد بعضها البعض، والمجتمع العربي يتقدم فقط إذا أمكن تنظيم وسائل وقدرات مقاومته، وهذا لن يتأتى بغير تعميق معارفه وتصوراته وإدراكه السليم لمقومات وجوده وحياته، هذا يعني عملياً إيجاد أرضية مشتركة للالتقاء بين المختلفين عن أسباب وجيهة للإختلاف أو عن غير أسباب حقيقة لذلك الإختلاف المفتعل، بحيث ينتهي السجال المزري الذي لم يفدنا بشئ وبحيث نضع معاً تصورات مشتركة تستند إلى مفاهيم جديدة تنحي المفاهيم القديمة جانباً، إن معيار صلاحية أي مفهوم للتطبيق هي قدرته على إنجاز الإلتفات حوله في هذه المرحلة بين القادمين من ساحات فكرية متباينة متصارعة في السابق.. ولن يفيد في شئ أن يستمر البعض في تأويل الإسلام بما يؤدى إلى إستمرار التناحر ولن يفيد في شيء أن يستمر آخرون في تركيب هالة للعروبة كإطار أو كرابطة تستبعد وتنفر فاعلين ومؤثرين آخرين..

فالمطلوب هو إعادة بناء علاقة على أسس سليمة تدفع الأمة إلى التقدم وتستخرج من طاقاتها مايحول بينها وبين المزيد من الانكفاء والهزائم الداخلية والخارجية.

تحية للبابا

■ ■ ثمة اعتقاد بأن الاستعمار الصليبي يتدخل باستمرار لبث الفرقة بين العرب والأقليات العرقية والدينية التي تعيش بينهم، هناك إثارة لمسألة المسيحيين تارة ولمسألة الشيعة ولقضايا الأكراد والأمازيغ.. الخ، كيف يتم نسج علاقة صحيحة بين العرب المسلمين والأقليات التى يمكن لي أن أسميها الشقيقة: وكيف يمكن قيام نهضة عربية إسلامية حقيقية بإسهام طيب من قبل هؤلاء الأشقاء في الأقليات؟ كيف يمكن لنا جعلهم يلتقون مع الهدف القومي فى الوحدة العربية الشاملة؟

□ نبدأ بإخواننا المسيحيين الذين يعيشون معنا، وحتى اليهود الذين عاشوا ويعيشون بيننا، فنحن بكل صراحة يجب أن نقيم علاقات معهم تجعلهم يشعرون بأن علاقاتنا بهم هي أفضل من أية علاقات يمكن أن يلتمسوها في أي عالم آخر، الإسلام يأأخي كبير لأنه قدم لهم حقوقاً لم ينالوها في أي مجتمع آخر أو ثقافة أخرى، وأنا أرى أنه علينا أن نجتهد داخل الظاهرة العروبية، وبخصوص هذه الديانات التي لها مرجع واحد هو سيدنا إبراهيم الخليل، يجب أن يكون مفهومنا سليماً، وعلينا أن نمنح هذه الأقليات حقوقها، كامل حقوقها، لتشعر أن وضعها في بيتنا أفضل منه في أي بيت آخر، وعلينا ألا ننسى أن ١٥٪ من العرب هم من إخواننا المسيحيين، وأن بين إخواننا الفلسطينيين من هم من المسلمين والمسيحيين، والحقيقة لابد من إحترام الإسهام الرائع الذي قام به بعض

الأشقاء المسيحيين في المشرق العربي في الفكر والثقافة العربية وهذا يؤكد تفاعلهم الإيجابي مع الحضارة العربية الإسلامية التي هي من صنع العرب المسلمين والمسيحيين وغير العرب من المسلمين أيضاً، إن هذا يجرني إلى ما أعتبره فرصة ثمينة للإشادة والفخر بالدور النضالي والقومي والإنساني للكنيسة القبطية العربية المصرية، فمواقف الكنيسة القبطية في الدفاع عن الحق العربي هي مواقف مشرفة، وتحديداً موقف البابا شنودة زعيم الأخوة الأقباط في دعوته لعدم زيارة أحد الأديرة الواقعة تحت الاحتلال الصهيوني هو موقف يستثير الإعجاب، هذا هو الموقف القومي الصحيح الذي تقاعس عنه للأسف الكثير من رجال الدين العرب والمسلمين..

فجون جارانج وغيره لايمكن أن يؤثروا في علاقاتنا الأخوية والحميمة مع إخواننا المسيحيين الذين هم شركاؤنا في التاريخ والجغرافيا والدم والمصير والمصالح الواحدة..

وبالنسبة إلى الظاهرات الأخرى، فإن العرب يكونون الأغلبية، ولكن بيننا أيضاً مسلمون غير عرب، ومع أن اللغة هي في طريقها إلى الانتشار بين هؤلاء الأخوة، إلا أنه من الواجب أن نتعامل مع هذه الفئات، المسلمة غير العربية على أساس إسلامي: لافضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، أي لانتبنى العروبة على أنها نزعة عرقية أو عنصرية في تعاملنا معهم، هذا غلط كبير، ولا نعلم - بصراحة - من أين يأتي، ولاسيما إذا علمنا أن المعطيات الديموغرافية تشير إلى أن سكان أفريقيا بعد مئة سنة أو

مئة وعشرين سنة سيكونون ثلث سكان العالم، وأن الإسلام يضرب أطنابه في أفريقيا، إلى حد أن الكل يتنبأ بأنها ستكون قارة إسلامية بالكامل، ولاتنسى كذلك السود الموجودين في أمريكا وعددهم الآن ٣٥ مليون نسمة، وهم في الكاريبي والبرازيل التي تشكل نسبة السود من سكانها ٢٠٪، فيجب ألا تكون لدينا نظرة قاصرة نحو المسلمين من غير العرب.

فالثقافة العربية لم تكن قط ثقافة عرقية أو عنصرية، هذا ما أردت قوله، ويظل لأجدادنا العرب فضل لايمحوه الزمن، وهو أن نبينا صلى الله عليه وسلم عربي، وأن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم عرب، وأن البعثة الإسلامية خرجت من الجزيرة العربية وهو فضل لايجحد أبداً في حياتنا، لكن التعامل مع المسلمين غير العرب يجب ألا يكون من منظور عرقي، فاللغة العربية يتوقع لها مستقبل رائع في حياة هذه الشعوب غير العربية، وقد صانها الإسلام من قبل وظلت محتفظة بكيانها كما كانت عليه زمن عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : إذا ذل العرب ذل الإسلام، هذه حقيقة، ولكن علينا أن نراجع تعاملنا مع العرب غير المسلمين، وكذلك علينا أن نفرق بين اليهود كدين والصهيونية كنزعة عرقية، والا نقصر تعاملنا مع اليهود على أساس مفهوم مسبق بأنهم جميعاً موالون للصهيونية، علينا أن نستشف العلاقات الإنسانية التي ينادي بها الإسلام والتي لا نظير لها في أي عقيدة أخرى، يجب أن تأخذ هذه النظرة الإنسانية أبعادها كاملة، ومن

هنا نحكم على أية ثقافة وعلى أي دين، علينا أن نرتفع بتفكيرنا ونعمقه، ونصبح أكبر مما نحن عليه اليوم بكل صراحة، ويبقى الإنسان هو الأساس يا أخي، مهما كان فإن الإنسان هو الأساس، والاسلام يتعاطى مع الإنسان أفضل من أية فلسفة أو فكرة أو دين آخر.

صراع عقيم

■ ■ **نعود إلى مايدعوه الغرب بالظاهرة الإسلامية، هناك بعض المنتمين إلى الحركات الإسلامية ممن يقولون بأن التيار القومي وقوى الوحدة قد أخفقت وانتهت، وتقدم هذه الحركات نفسها باسم الإنقاذ وتطرح برامج غير مكتملة وشعارات غير مؤطرة فكرياً، هل تعتقدون بصحة التشبيه القائل بأن التيارين القومي والإسلامي هما الجناحان اللذان لن تقلع بدونهما معاً طائرة الأمة؟ وكيف يتحقق إنسجامهما؟**

❑ بودي ـ من منظور عقلاني ـ ألا أخوض في معركة التسميات والمصطلحات، أنا عندي أن إخفاق التيار العروبي هو أيضاً إخفاق للتيار الإسلامي، فلا فرق من وجهة نظري بينهما، وحين برز التيار العربي برزت معه أيضاً الظاهرة الإسلامية، لكن الظروف التاريخية قد تبدلت، وهناك سلبيات، والسلبية الأساسية كانت بين التيارين العروبي والإسلامي في المشرق العربي، كالصراع المأساوي الذي قام بين عبد الناصر والإخوان المسلمين، لكن أتمنى ألا نستمر في تكريس أغلاطنا التاريخية، وألا نجر خلافاتنا إلى العالم الإسلامي ككل، وأنا لا أحكم بين أي من الطرفين، وإنما أشير إلى أن الظاهرة العروبية المشخصة في جمال عبد الناصر كانت

هي الأخصب والأكثر عطاء في تاريخنا المعاصر منذ مئة سنة أو أكثر، وأرى أن التيار الإسلامي يملك كل المعطيات ليقدم أشياء رائعة للتغيير، ولإسترداد ما أخذ منا، لكن هو نفسه جر معه بعض جوانب النقص، وأحب أن نتصارح ونعتمد حواراً عقلانياً مابين التيارين للوصول إلى صيغة مرضية نستفيد منها في مواجهة الوضع الذي نحن فيه، لابد من السير في مرحلة عقلانية واستيعاب مختلف وجهات النظر وألا نبقى سجناء صراع عقيم..

فالخلاف الذي وقع في الماضي بين الثورة الناصرية والإخوان المسلمين يعود في الأساس لأسباب مصلحية شخصية لها علاقة بالصراع على السلطة، والأمريكان بالخصوص لعبوا دوراً قوياً في ذلك عندما بدأت المواجهة بين الغرب الإستعماري والصهاينة ضد عبد الناصر، فشعر الغرب أن الثورة في مصر تهدد مصالحه ونفوذه ومن ثم عمل على محاربتها وحصارها، فعبد الناصر دافع وناضل من أجل مصلحة العرب والمسلمين في العالم عندما تحدى الغرب، لقد حارب الظلم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ليعيد بناء المجتمع العربي المصري على أسس العدل والمساواة والانتماء الحقيقي للأمة العربية وما كان ينبغي لأية قوى داخلية أن تصارعه أو تحاربه في الوقت الذي استعرت فيه المواجهة، لكن للأسف كانت القراءات والإستنتاجات لدى بعض الإسلاميين السياسيين خاطئة، لم تدرك أن محاربة الثورة في عز صراعها مع أعداء العروبة والإسلام يعتبر مساهمة غير مباشرة في البرنامج المعادي..

ولكننا لانريد أن نفتح الجراح من جديد، فالمرحلة الراهنة حرجة وخطيرة وتستدعي من المخلصين داخل القوى القومية والإسلامية طَيَّ صفحات خلافاتها الماضية وبدء صفحة جديدة لصالح الأمة على أساس من التلاحم في ساحة المعارك الحقيقية في الداخل والخارج والنضال في مشروع واحد من أجل حرية وكرامة وحقوق الإنسان العربي والوطن العربي وتحرير الأرض العربية المحتلة وتأسيس قاعدة فكرية عربية إسلامية تكون الركيزة للنهضة المرجوة وتحقق مصالح العرب والمسلمين في أنحاء العالم.

والصراع والتناقض بين العروبيين والإسلاميين هو صراع مفتعل من قبل قوى داخلية وخارجية عملت في الماضي وتعمل في الحاضر على مناهضة العروبة بالإسلام ومناهضة الإسلام بالعروبة لكي تخرجهما معاً من ساحة المعارك وتسيطر هي ومن يسير فى فلكها داخلياً على مجريات الأوضاع والأمور، فالذي يعمل على استمرار هذا الصراع، سواء كان في الدائرة القومية أو الإسلامية، يعمل لصالح الأعداء، وبالتالي يضرب العروبة والإسلام معاً..

أما عن الخلاف بين البعثيين والإسلاميين فهو في الحقيقة يعود إلى قراءة خاطئة ومتسرعة من جانب إخواننا البعثيين للدور الإسلامي الفاعل في قضايا الإنسان، ولقد لعبت المؤامرات الغربيةُ والممارسات الظالمة للطورانيين في بلاد الشام دوراً في إهمال البعد الديني في المشروع القومي البعثي في المشرق، ولكن حصل في الفترة الماضية ـ

والحمد لله ـ الكثير من اللقاءات والندوات والمحاورات حول هذا الموضوع.. ولقد بدأ التقارب يحدث بين التيار القومي في المشرق العربي والتيار الإسلامي السياسي..

حزب الله

وأنا أتوجه بالنصيحة إلى الأخوة في الحركات الإسلامية السياسية إلى أن يعتبروا من خطئهم في تحليل المسألة الأفغانية، لقد لعبت المخابرات المركزية الأمريكية دوراً مع بعض الحكام العرب في تجنيد آلاف الشبان العرب للحرب في أفغانستان في إطار الصراع الذي كان قائماً بينها وبين الإتحاد السوفيتي، تم الزج بشبابنا في معركة بين الأمريكان والسوفييت وهذا خطأ كبير يجب أن تستوعب الحركات الإسلامية دروسه، وأن لا تنجر إلى مخططات أمريكية مرة أخرى، كان الأجدر بهؤلاء الشباب وبهذه الحركات أن تذهب إلى ساحة الجهاد الحقيقي لتحرير فلسطين وبيت المقدس والتركيز على محاربة الإستعمار والنفوذ الغربي في الوطن العربي بدلاً من التعاون مع هذا الإستعمار في معركته هو لا معركة الإسلام.. وأنظر يا أخي عندما انتهت الحرب في أفغانستان وانسحبت القوات السوفيتية ماذا حصل للذين كانوا يسمون أنفسهم مجاهدين، تحولوا إلى عصابات نهب وقتل ودمار وصراع على السلطة دمر هذا الجزء العزيز على كل مسلم من العالم الإسلامي، وبمجرد أن انتهى دور أولئك الشبان الذين ساعدوا المخابرات المركزية في تحقيق هدفها في أفغانستان أصبحوا هم أنفسهم مطاردين من قبلها ومطلوبين للمحاكمة

وأصبحوا إرهابيين في الإعلام الغربي..

يجب إذن على الحركات والقيادات السياسية الإسلامية الاستفادة من تجاربها والعمل على وضع استراتيجية بعيدة المدى تمكنها من المساهمة والمشاركة في تحرير الأرض العربية المحتلة، أما التعامل مع أمريكا والغرب تحت أية ذريعة ولأية حجة فإنه يفيد الأعداء وحدهم وعيب وعار على الإسلاميين أن يكونوا جزءاً من المشروع الأمريكي الحاقد على الأمة العربية، ليتخذوا نموذجاً يحتذى من الحركات الجهادية في لبنان وفلسطين.. ليحذوا حذو حزب الله وحركة الجهاد الإسلامي..

هذا ما أحببت أن أقوله، أنا اقترح أن نسير معاً ونعمل معاً جنباً إلى جنب، وهو أمر ضروري علينا أن نسلكه وأعتقد أن لمثقفينا دوراً تاريخياً في بلورة الحقائق، ذلك أن مثقفي الغرب كان لهم ذلك الدور في بناء النظام العالمي الغربي القائم على الثقافة الغربية، النظام العالمي لم يظهر هكذا بصورة عفوية، وإنما ظهر بفضل المثقفين، وبخاصة المفكرين والباحثين في نطاق علم الإجتماع والعلوم الأخرى المتصلة به، فهؤلاء الذين كونوا التربة الثقافية التي كانت حجر الزاوية في إنطلاقة النظام العالمي منذ خمسمائة عام، وقد تم ذلك في فترة وجيزة لاتعدو خمسين أو ستين سنة من تاريخ الغرب، فالمثقفون عندنا مدعوون إلى بلورة وعينا ولحم القوى والطاقات التي يزخر بها التياران العروبي والإسلامي من أجل إحداث نهضة حضارية شاملة.

■ ■ بشخصكم، وبجهودكم الطيبة والخيرة لإيجاد مخرج من الدوامة

التي تعيشها بعض أقطار الأمة العربية متمثلة في الصراع المدمر والمميت بين التيارات الإسلامية والأنظمة الحاكمة والقوى السياسية الأخرى، كنتم صاحب نداء يدعو إلى الحوار مع الظاهرة الإسلامية والتقائها، ولقد تحاورت بدون شك مع بعض رموز تلك الظاهرة الإسلامية في عدة أقطار عربية، فما هي الإنطباعات التي خرجت بها؟ وهل لمست جاهزية لدى التيارات الإسلامية للدخول في حوار بناء من أجل إعادة ترتيب البيت العربي وتوحيد الجهود لمواجهة النظام العالمي الذي يقف وراء الصهيونية؟ هل لك أن تقدم لنا نبذة عن تجربتك في هذا الحوار؟

❑ في الواقع إن العملية ليست سهلة، فالمسألة معقدة وصعبة، لكن لدي أمل بأن نصل إلى كسر هذا الطوق على حسب ما نملك من رصيد من التجارب، وأنا أرى أننا الآن أقرب من أي وقت مضى لتحقيق التقارب والتفاهم والوصول إلى صيغة تجمعنا، وللمداولة في هذه الأمور والتعاون واللقاء، لدي أمل قوي في الوصول إلى مثل هذه الصيغة، وقد بدت العملية صعبة ثم تم تذليل الصعوبات تدريجياً، وكان لابد من خوض هذه التجربة وما يترتب عليها من معاناة، تمت محاولات، إلى أن عقد إجتماع في بيروت ضم أخيراً الأخوة الناصريين والقيادات العربية للتيار الإسلامي، والتيارات الأخرى، بما فيها القيادة الإسلامية في فلسطين ممثلة بالدكتور فتحي الشقاقي، وحضرها السيد فضل الله والشيخ شمس الدين من زعماء الأخوة الشيعة وكذلك بعض رجال الدين المسيحي في

لبنان، أذكر منهم الأب د.إنطوان ضو، وكان الانطباع عن نتائج هذا اللقاء حسناً، فهناك تطور ملحوظ في بعض المواقف المتصلبة نحو التفاهم، وأنا أدعو إلى ضرورة متابعة هذه اللقاءات والاستمرار فيها على أن يتم التحضير لها بعناية، وأنا في حوار مستمر مع العديد من الأخوة قادة ومفكري التيار الإسلامي السياسي في العديد من الأقطار العربية، والحمد لله جهودنا جميعاً أعطت نتائج ايجابية وحصل تفاهم حول العديد من القضايا الهامة كالتعددية، والديموقراطية، وحقوق الانسان واحترام مختلف الحريات . وانطباعاتى عن هذه الاتصالات ممتازة، وأرى أننا نقترب من مشروعنا وليس بيننا مسافات بعد.

■ **أيضاً في إطار المساعي لانهاء الصراع بين التيارين القومي والديني، كانت ثمة جهود طيبة ومخلصة قام بها عدد من الأفراد وعدة جهات منها ملتقي الحوار العربي الثوري الديمقراطي في طرابلس والمؤتمر القومي الاسلامي في بيروت والمؤتمر الشعبي العربى الاسلامي في الخرطوم، هل تعتقدون بإمكانية تأسيس علاقة مستقبلية تقوم على التآزر والتواصل بناءاً على تلك الجهود الخيرة؟**

❑ أرغب أولا في توجيه التحية لكل من يبذل جهداً مخلصاً فى اتجاه رأب الصدع.. إن هذه اللقاءات هي مؤشر إيجابي في نظري يدل على استيعاب أبناء الأمة العربية الاسلامية لحقائق التاريخ ولخطورة المرحلة الراهنة، ومن ناحية أخرى فإن نجاح هذه اللقاءات مرهون بخروجها من الإطار الشكلى، ومن انتقالها من خانة الشعارات إلى إطار

بناء أرضية فكرية وثقافية واحدة تستلهم تراث وتاريخ الأمة والبعدين العربي والاسلامى، إلى خانة ايجاد مناخ يؤثر فيه الجانب الفكري والثقافي والاستراتيجي على السياسى والتكتيكي.. فأنا مع استمرار أعمال هذه اللقاءات شرط الإعداد الجيد لها كي تخرج باتفاقات محددة تشمل الالتزام بثوابت سياسية وفكرية للجميع، ومن وجهة نظري فإنه من الأفضل عدم استبعاد أي فصيل من كلا التيارين شرط إلتزامه بأهداف وغايات اللقاء وشرط إحتكامه للحوار الديمقراطي العقلاني الهادئ وشرط أن يكون مؤمناً بحق الجميع في المشاركة والإسهام في عملية إنقاذ الأمة والنهوض بها.. ومن المفيد أن تغطي هذه اللقاءات والحوارات كل جغرافية الوطن العربي وأن تتسع كذلك لعرب المهجر، والحقيقة أشعر بإرتياح بالغ لما تم إنجازه حتى الآن، وإن كنت أعتقد أنه مازال الكثير أمامنا لنفعل.. على أية حال هذا تقدم على الطريق الصحيح.

المحور الثالث

المتغير العالمي والعلاقة مع الغرب

قراءة أخرى

« ليقف المسلم ضد المستكبر حتى لو كان مسلماً، ويقف المسيحي ضده حتى لو كان مسيحياً، فذلك هو الذي يمثل اختصار المسافة الطويلة للوصول إلى عقل المستضعف، لأن الكثيرين من الناس يفهمون الإيمان من خلال المشكلة التي يتخبطون فيها أكثر مما يفهمونه من خلال المفردات اللاهوتية التي يفكرون فيها، لأن أقرب طريق إلى عقل الإنسان قلبه، كما أن أقرب الطرق إلى القلب قضاياه وحاجاته الطبيعية الملحة في الحياة».

من كتاب «في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي»
للعلامة السيد محمد حسين فضل الله

■ **ثمة مفاهيم ومصطلحات في ذهن مواطننا العربي وقع فيها بعض التشويش والغموض، مثل ما نسميه نحن الغرب أو العالم الغربي، فالغرب بالتأكيد ليس شيئاً واحداً، إنه عالم مفتوح، هناك غرب يمكن أن نطلق عليه الغرب الحضاري وهناك الغرب الاستعماري أو الإستكباري، هناك الغرب العلماني والغرب المسيحي والغرب المنحل خلقياً والمتفسخ إجتماعياً، وهناك الغرب صاحب القيم العظيمة أيضاً، فماذا يعني الغرب بالنسبة إليكم؟**

❑ الغرب بالنسبة إلي خليط من هذا كله، ولكنه يعني لي بالدرجة الأولى نظاماً، نظاماً رديئاً يرمي إلى التسلط ولا يخلو من مفكرين مستقلين ومثقفين متيقظين، وبخاصة في الجامعات، وفي الصحافة، ثمة عناصر رائعة حقاً، إلى حد أنهم يطرحون مشكلات جريئة منها مسألة الثقافة العالمية، والفقر الإنساني لا المادي، فالغرب اليوم تعاني مجتمعاته من نزعته العقلية الباردة، لا يوجد حنان أو دفء إنساني، أصوات مخلصة لكنها لاتلقى آذاناً صاغية، والصحف ووسائل الإعلام تنشر أو تبث مقالات ومقابلات يمكن أن يكون لها تأثيرها المحدود، لكن النظام سائر على وضعه، ولانحسب أن هذه الأصوات المستنيرة متواطئة رسم لها دورها مسبقاً، والمرجح أنها لاتعار إهتماماً من المسؤولين في هذا النظام، وهناك منظمات غير حكومية وتجمعات فكرية في بعض الجامعات بدأت تدعو في السنين الأخيرة إلى الرشاد، ويبدو أن النظام نفسه أعطاهم حرية القول، ومن واجبنا نحن أن نتعاون مع هؤلاء وأن ننخرط في تجمعاتهم ولانفوت هذه الفرصة الثمينة، وعلينا أن نمد رقعة الحوار معهم ونجعل

منهم حلفاء أقوياء لنا، في مرحلة التغيير العالمي هذه، وقد تكون مهمتهم أسهل إذا آزرناهم، فالعالم اليوم تتحرك فيه قوى تطالب بالتغيير بإخلاص، أنا اليوم أعيش في الغرب، وقد قرأت مثلاً كتاب «جاكار» وهو من أعظم علماء البيولوجيا في الغرب، والكتاب صدر منذ شهر بعنوان «محنة الصراع من أجل الحياة» وهو يستعرض مستقبل البيولوجيا في العالم بما يملك من معرفة غزيرة، ويتكلم عن الروابط التي تربط الشمال بالجنوب، والكوارث التي لحقت بالعالم الثالث من جراء النظام العالمي، وهو يعزز دراسته بالأرقام ويفضح مأساة العالم الثالث وكتابه مهم جداً، وثمة دراسة أخرى لصحفي وفيلسوف يتناول حركة الفكر التي سادت قبل عصر الأنوار ويستعرض خيانة مفكري عصر الأنوار لهذا الفكر وتسفيههم لآرائه النيرة التي حجبت وحوربت، ومؤلف هذه الدراسة هو جانفييه بول، والكتاب هام جداً أيضاً، هو فرنسي يتكلم عن الإسلام ويدافع عن مواقفه، ويرى فيه جوانب رائعة، هو من أكبر مفكري فرنسا، كذلك نذكر «بورديو»، من أبرز علماء الاجتماع اليوم في العالم، وتتجاوز شهرته شهرة آلان موربن، وقد وقع أخيراً على بعض اللوائح التي تناصر المثقفين عندنا وتستنكر تصفيتهم، وقد صرح برفضه لاستخدام العنف والكراهية، ولكن ذلك لا يعني - كما قال هو حرفياً - أنه ضد الإسلام، وقال إنه: «ضد التسليم بعالمية واحدة هي عالمية الغرب، فالإسلام عالمية أيضاً وله منطقة الخاص به الذي يجب أن نقبله نحن كما يريده هو لا كما نريده نحن».. هذا كلام «بورديو»، وهناك مستشرق آخر رائع يدعى «لوكان»، ومستشرق يدعى «إتيان برونو»، وقد قرأت للأخير مؤلفاً هو من أروع ما كتب عن الإسلام، وهناك ثالث إسمه «بورجا» له كتابات رائعة منصفة

عن الإسلام، وأقول بصراحة أنهم يمتازون عنا نحن بالموضوعية والمتابعة والإهتمام بالفكر، ومن الأسف أننا لا نتابع هذه الحوارات ولا نهتم بالفكر الغربي مع أن ذلك ضروري.. لنتقي شره على الأقل.. علينا أن ندرسه بموضوعية ولا نعمد إلى رفضه هكذا بلون من التعالي، لأننا حينئذٍ نكون مثله، نتهمه ظلماً مثلما اتهمنا بعض مفكريه من دون علم ومعرفة، وهو سلوك لا فائدة منه، علينا أن نعرف فكرهم لندافع عن أنفسنا ونتقي هجومهم وشرورهم، ولنتسلح بالحذر مما يحاك لنا، وعلينا أيضاً أن نتعمق في دراسة هذا الفكر لنقتبس منه ما ينفعنا مثلما إقتبس الغرب قديماً من ثقافتنا، وتلك هي سنة الكون، فالثقافات هي قنوات مشتركة للتواصل، نقتبس منها كلها أشياء فيتجمع لدينا في النهاية مخزون إنساني، فليس هناك ثقافات معزولة، طلعت هكذا وحدها، والثقافة الأخصب هي الثقافة التي قدمت وتقدم للإنسانية الأفضل، ولقد قدمت الثقافة العربية الإسلامية الكثير، كما يقول «بيير موسى» وهو مصري مسيحي ورجل مشهور على الصعيد العالمي يعمل مديراً لأحد البنوك العالمية الكبرى ويعيش في أوروبا ومعروف بكفاءته، صدر له كتاب رائع منذ شهور، هو يقول للغرب: «عليكم أن تعرفوا الإسلام جيداً وتكونوا عنه فكرة غير التي كونتموها، ولايجوز لكم أن تفرضوا على المسلمين نمطكم الثقافي أو الإقتصادي أو الحضاري، فهؤلاء الناس لهم ثقافة عريقة وعظيمة وأفكار مجلية ومنطق يختلف عن منطقكم، ونحن في عصر قد انتهى فيه فرض القيم على الآخرين، ويجب أن نبحث عن أسلوب آخر للتنمية غير الأسلوب الغربي» وقد دار نقاش حول هذا الكتاب في الأوساط الغربية الثقافية حين صدوره..

النموذج

■ ■ **يسألنا الغرب: أين نموذجكم؟ المجتمع الغربي الليبرالي قدم نموذجاً على صعيد الواقع وهذا النموذج يطرح حلولاً ويعطي تصورات كونية ويقدم حداً أدنى من الديمقراطية وحقوق الإنسان، وسواء كان هذا النموذج مقبولاً أو مرفوضا المهم أنه موجود، كيف عجزنا نحن العرب المسلمين حتى الآن عن تقديم نموذج للمشروع الإسلامي الذي يمكن أن ينقذ العالم، ثمة محاولات ولكن حكم عليها بالإخفاق، من ذلك الثورة الإسلامية في إيران التي بهرت العالم وأدهشت الغرب الذي لاحظ كيف يمكن للإسلام المتهم عندهم بالتخلف والرجعية والسلبية أن يقوم بتحريك الجماهير وتعبئة شعب بأكمله للقيام بثورة شعبية تاريخية، ثم بعد ذلك لم يقدم الأخوة في إيران النموذج الواقعي لما نحمله في عقولنا من أفكار ومضامين، بماذا تفسر عجزنا عن الإتيان بنموذج؟**

□ أولاً أحب أن أقول: الكمال لله وحده ياأخي، والدين لله، وأؤكد أننا قدمنا برنامجنا وكان هو السائد قبل ٥٠٠ عام، ومن قراءتنا للتاريخ ولآراء ابن خلدون في تحول الأمم يتبين لنا أن النموذج الإسلامي والحضارة الإسلامية كانتا مصدر تحريك العالم، وأن الإسلام هو الذي غير وجه العالم ومهد لقيام عصر النهضة الأوروبية، عبر تسرب الفكر والثقافة والحضارة الإسلامية إلى صقلية وجنوبي إيطاليا، فلا يمكن أن يتهم الإسلام بالتقصير والعجز عن إقامة نهضة، في حين أن النهضة الأوروبية أو النظام العالمي الغربي الذي بني عليها لم يقدم تنمية لشعوب

العالم كلها، بل خص بها شعوباً وأفراداً بالذات داخل هذه الشعوب من الذين إستغلوا منجزاتها، وقدم بالمقابل الفقر والبؤس والدم والموت لأغلبية سكان العالم، إن عدد الموسرين الذين استفادوا من استغلال هذا النظام لا يتجاوز ١٥٪ من سكان العالم، أما بقية الفئات في شعوبهم فتعاني من البؤس، ثم لا تنس بأن هذا النظام مسيطر ومتحكم وقادر على منعنا من التحرك والانطلاق، فمن مكوناته السيطرة وتهميش الآخرين، دون أن ننفي قصورنا نحن المسلمين، فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم كما جاء بسورة الرعد، وكما تكونوا يولى عليكم، لكن ذلك التغيير لا يتم بين ليلة وضحاها، إنه يتطلب عقوداً من الزمن، يتم خلالها تقويم داخلي ونقد ذاتي تشارك الأجيال جميعها فيه، مثلما يلزمنا معرفة علمية واسعة فى شتى جوانب البحث، أنا واثق من أن النظام العالمي يحول بيننا وبين الإنطلاق، فهو لا يكتفي بفرض مبادئه وثقافته علينا، بل يفرض علينا أيضاً وضعاً معيناً ليس لنا أن نتجاوزه، ويفرض علينا بصفة خاصة حكاماً وأولياء أمور متعاونين معه، هذا هو منطقه، وفى ضوء هذا المنطق لا يجوز وقوع أى استثناء، والاستثناء الذى يقع يجب أن يضرب، وهو ما وقع لعبد الناصر، حكامنا المتعاونون مع الغرب يفرضون علينانظامه، وهم يسيرون فى فلكه وليس لهم من إستقلالية الحكم الا صورته الخارجية، وعدا ذلك فإن النظام العالمي يحكمنا بجيوشه وثقافته وبمالنا، مال أمتنا الذى يذهب إليه ليستغل فى مصالحه لا فى تنمية بلداننا، أموالنا تحول الى بنوك سويسرا وباريس ولندن، ولدينا بلدان غنية لكنها لا تملك ثرواتها، فأموالها فى بنوك غربية ربما يرتبط أكثرها بالصهيونية، إنه نظام خبيث وماكر وليس من السهل مواجهته، نظام

يعرف جيداً من أين تؤكل الكتف، ويخطط بذكاء لذلك، علينا أن نعترف بسيطرته، دون أن يعني ذلك الإستسلام لها، ولا يمكن لأية ثقافة أن تواجهه ما لم تملك القوة، فالثقافة الكبيرة تجنح الى رفض أى شيء يعارضها، والنظام العالمي فى لعبته يتعاون مع عناصر من داخلنا، سياسيين لا يشكلون أى خطر عليه، بل هم يتعاملون معه بصورة مباشرة أو غير مباشرة لتنفيذ مخططاته، سواء أكان إستعماراً تقليدياً أم إستعماراً إمبريالياً أم إستعماراً ثقافياً، فإن من يخدمه هم أناس من أبناء جلدتنا، ويسيرون في ركابه، وبالطبع هناك إستثناءات لكن الأغلبية تسير في ركابه، وهم يعلمون أن مايؤمرون بتنفيذه أو ينفذونه ليس لصالح شعوبهم، لكن همهم هو صالحهم الشخصي الذي يحقق لهم الجاه والمال والإمتيازات، نقمة النفط، أما أنماط الدول الإسلامية سواء فى إيران أو أفغانستان أو باكستان، فقد سبق أن بينت أنه لايوجد في الإسلام نمط واحد، هذه مرونته وفيها تكمن عظمته، فهو لم يترك لنا تحديداً لنمط الدولة، لأن الدولة تتغير مع الظروف الزمانية والمكانية، وقد ترك لنا تصميم النموذج وفقاً لقدراتنا وظروفنا في كل حقبة تاريخية، وترك لنا حرية الابتكار والتكيّف مع الواقع، وقد ابتكرنا نظامنا الذي استمر ١٢٠٠ سنة، في المجال الثقافي والسياسي. الأخوة في إيران وباكستان إجتهدوا، ولكن إجتهادهم ليس قدوة جيدة بكل صراحة، فسلبيات النظام تفوق كثيراً إيجابياته، ولا يمكن أن نقدم ماتوصلوا إليه كنموذج نضاهي به ماقدمه الغرب، وأقول لك أنهم لم يكونوا نظاماً إسلامياً بالمعنى الحقيقي، إنهم منصهرون داخل النظام العالمي، فالثروات النفطية والغازية تصدر كلها للغرب وتباع بأسعار تتحكم بها أمريكا، وصناعة المحروقات يختص بها الغرب وهو الذي يبيعنا الآلات

ويخطط لنا، وعائدات النفط تذهب إلى بنوكهم ولا تستغل في تنميتنا، بل تنمية البنوك الغربية، نحن في الجزائر مثلاً وقعنا في فخ كبير، فنحن نملك النفط والغاز ولكن الغرب يحتال لأخذهما، فيقدم لنا الآلات مقابل استيراد البترول وتصفيته وتكريره، وتتراكم علينا ديون تقدر اليوم بتسعة وعشرين مليارًا، وهم يأخذون نفطنا ونسدد لهم فوق ذلك، فالبترول أصبح ملكهم وليس ملكنا، نحن ندفع لهم المال مقابل خردة نصفها رديء أو قديم، فأكثر المصانع التى كانت تستخدم منذ عشرين عاماً في بلادهم تصدر إلينا، وهذا هو منطق النظام العالمي، فهو لايتعامل معك إلا إذا كان لديك ثروة يطمع بإحتيازها، فإذا لم يكن لديك ماتقدمه، فإنهم لايعيرونك أى اهتمام، وإذا كنت تملك مايطمعون به كالبترول أو الغاز فالويل لك، وأنت تلاحظ أن نفطنا وغازنا لم يكن نعمة لنا بل أصبح نقمة علينا، فكل مصائبنا التي حصلت ومنها أزمة الخليج كانت بسبب النفط، فعلينا أن نعي جوهر هذا النظام لكي لايخالجنا الإحساس بالضعف أو الدونية ونشك حتى في أنفسنا وقدراتنا وثقافتنا، علينا أن نفكر بضرب من ضروب التنمية غير مايهيأ لنا، التنمية الغربية مصطلح مصطنع تمت «فبركته» فى الغرب،وهو مرتبط بفلسفة النظام العالمي التي تقوم على الإستغلال، فهم حين يتكلمون عن التنمية يهدفون من ورائها إلى إستغلال نتائجها، ولكننا مع الأسف نسلم بمعطياتهم ونتبناها ونردد أقوالهم التي وراءها مطبات وشراك، يجب أن نحذر المصطلحات المستوردة قبل كل شيء، والغرب بحكم سيطرته يسعى إلى ضرب كل التجارب التي كانت تحاول تقديم نموذج تنموي مستقل أو شبه مستقل، لقد تم ضرب المشروع الناصري لأنه كان يعمل متفرداً خارج المنظومة العالمية، والآن، يحاصر

المشروع التنموي في العراق ويسعى لحصار المشروع التنموي في ليبيا، لأن المشروع في العراق وليبيا قد وصل إلى حد أنه أصبح يشكل خطراً على مصالح الغرب وبرنامجه والإستراتيجية العامة له.. ثمة جوانب يحاربها بالذات، أنظر مسألة النفط مرة أخرى لتتأكد، كان يعتقد سابقاً أنها مشاركة رسمية بين الغرب والأنظمة الحاكمة في الإنتاج، كنا نقول نفط خليجي وسعودي بينما هو في الأساس نفط أمريكي وغربي، فالغرب هو الذي يستخرجه وينفقه أو يستهلكه ويقبض عائداته، بل أذهب إلى ماهو أبعد من ذلك، فهو لايقدم لنا ثمنه نقداً، بل أوراقاً على صورةصكوك تذهب إلى بنوك غربية، فنحن لانستوفي ثمن نفطنا نقداً بل ورقاً يصرح به بأن لنا في البنك الفلاني كذا مليون دولار، وحين حاول الأخوة في ليبيا الخروج من هذا الطوق وفكروا في تسخير عائدات نفطهم لتحقيق تنمية شبه مستقلة كان عملهم قفزة تبشر ببوادر طيبة ومشجعة لكن الغرب سعى لضرب هذه البوادر، ومن الواضح أن العراق كان قد أصبح خطراً على مصالح الغرب في المنطقة ويهدد إسرائيل فكان لابد من ضربه...

الحوار

■ **على الصعيد النظرى، لدى الغرب ولدينا نحن أيضاً من يطرح فكرة صراع الحضارات ولديه ولدينا من يطرح النقيض: الحوار بين الحضارات، إلى أي اتجاه تنتمون؟**

□ نحن اليوم فى عصر التحديات.. لكن هناك حتمية للإنسانية وهي الوعى الإنساني، لاشك أن نمو الوعى ليس أمراً يسيراً، والإنسانية

سائرة في طريق الوعي، فقد انطلقت من مستوى وهي تتجه اليوم إلى مستوى آخر، خذ المسيحية مثلاً،لديها عالم كبير وفكره مؤطر جداً، هو «توما الإكويني» ومفكر مسيحي آخر توفى منذ حوالى ٢٠ ـ ٣٠ سنة يدعى «تيرار دى شاردان»، وقد بدأ عمله في مجال الأنثروبولوجيا لكنه توسع في إتجاه الفلسفة، «دي شاردان» لديه نظرية تذهب إلى أن الإنسانية تتجه نحو التصاعد والرقي، نحو نقطة إرتقاء محددة يسميها هو نقطة أوميغا، وهي النقطة التى نطلق عليها نحن إسم التوحيد، ولا يخفى عليك أن ديدن العلماء وخصوصاً الكبار منهم، هو السعي لتوحيد المفهوم، مثلاً في وقت ما، كان يظن أن الكهرباء والمغناطيسية شيئان مستقلان، أما اليوم فنحن نسلم بأنهما شيء واحد ومن طبيعة واحدة، ومن قبل كنا مثلاً، أو كانت البشرية تعتقد أن مفهوم المجال ومفهوم الزمن هما مفهومان مستقلان، ولكن في ضوء نظرية أينشتاين تم البرهان على أن الوقت أو الزمن هو المجال، خذ مثلا أيضاً الجاذبية والطاقات الذرية القوية والضعيفة، إن عالماً باكستانياً هو عبد السلام ومعه آخرون، توصلوا إلى المفهوم التوحيدى الذي نادى به دي شاردان، أي ربط الطاقات الكبيرة بالطاقات الصغيرة، ورأوا أن الجاذبية هي الطاقة الكبيرة، والعلماء اليوم متيقنون أنه سيأتي يوم يتم فيه التوصل إلى ربط هذه الطاقة كلها بمفهوم موحد يجمع بينها، أي أن العناصر الخمسة أو الستة التي تحدد أنواع الطاقة في المنظور العلمي القائم حالياً ستصبح كلها موحدة في مفهوم واحد، وهذا يساير فكرة التوحيد التي يدعو إليها الإسلام، وقد نجح عبد السلام، وهو مسلم من الطائفة الأحمدية، من المؤمنين بالله، وقد قابلته شخصياً وناقشته فوجدت أنه انطلق في أبحاثه من تأثير دافع

إيماني ليثبت مفهوم الوحدانية، ومع أن العادة قدجرت أن يختار النظام العالمي من العلماء الغربيين، لكنهم إختاروه لكفاءته، وهو عالم وباحث في معهد تريستا للأمم المتحدة، معهد علمي للبحوث الفيزيائية، وهو مؤسسة تقوم بالبحث العلمي المنزه عن الدوافع الإقتصادية، إن عبد السلام يقوم بأبحاثه لغرض العلم، ولقد إحتككت به فترة من الوقت وحاولنا أن ننسق لأمور يطول الكلام عنها... المهم أن العالم يسير نحو التوحد والتقارب ولاأقول أنه يسير نحو فكرة واحدة، لكنه يسير نحو التفاهم وتقريب الفوارق النوعية قدر الإمكان والتأليف بين الديانات الكبرى والأفكار التي بهرت العقول، على الصعيد الديني لدينا البوذية التي مازال يعتنقها إلى اليوم مئات الملايين، والمسيحية التي يبلغ عدد معتنقيها اليوم المليار وتسعمائة مليون نسمة، ولدينا الكونفوشية واليهودية، ولدينا الإسلام، فهذه الديانات هي التي صبغت حياتنا الإنسانية منذ آلاف السنين، وتعايشت عبر قرون، ثم جاء النظام العالمي ليفرض على المعمورة كلها فلسفته المتسلطة... لكن البشرية تدرك اليوم أنها أحوج إلى التقارب والتفاهم، ولايعني ذلك سيادة فكرة واحدة أو دين واحد، بل السعي إلى لون من التجانس ثم التفاهم ثم التعانق، لم يبق اليوم في رأيي مكان لمفهوم التحدي، وإنما سيحل محله القدرة على إستيعاب الآخرين، القدرة على الوصول إلى حقيقة تستوعب أكثر الحقائق؛ حقيقة تكون هي الأخصب وهي الأكثر قبولاً، وأنا أرى أن الظاهرة الإسلامية، العروبية الإسلامية، هي في طريقها اليوم إلى أن تأخذ حقها الكامل من التقدير، وربما يفاجئنا القرن القادم ببعض ما لا نتوقع، لنأخذ مثلاً المسألة السكانية، وأنا أكرر ما قلته سابقاً، فإن المسلمين بعد مئة سنة سيشكلون

عملياً، مابين ٣٤-٦٥٪ من سكان العالم، والإسلام في طريقه إلى الإنتشار حتماً، وهذه الآراء هي آراء الغربيين، ومقتبسة من مؤلفاتهم ومراجعهم، هذا رأي علماء الديموغرافيا، العلم الذي ترسخ اليوم وأصبح علماً موثوقاً به بعد أن كان من قبل يعتمد على التكهنات، وقد أصبحت تنبؤاته اليوم أقرب إلى الصواب، وأشير هنا إلى كتاب ألفة أبرز علماء فرنسا بل العالم، عنوانه: «العلماء يتكلمون»، وقد صدر منذ ثلاث سنوات، والكلام الذي قلته الآن مقتبس منه، وهو يتحدث عن الإسلام وعن الدور الذي سيكون له، هذا من حيث الكم، أما من حيث الكيف، فإن «آلان تورين» وهو باحث سوسيولوجي فرنسي معروف عالمياً، مع أنه ليس مع الإسلام، لكنه يعترف بأنه في أواخر عام ٢٠٠٠ ميلادية إنتهت الأيدلوجيات كلها ولم يبق سوى الإسلام فقط لأنه وحده القادر على أن يملأ الضمير الإنساني، وفي كتاب له يشير إلى تلك الحقيقة، ما قصدته من هذا التعليق المسهب هو زوال فكرة التحدي التي بني عليها النظام العالمي وفكرة البقاء للأقوى، وسقوط فكرة «تحدي الحضارات» التى نادى بها صامويل هانتجتون صاحب كتاب «صدام الحضارات»، وكان من الأفضل أن يسمى ـ كما أرى ـ «حرب الحضارات»، علينا اليوم أن نسير نحو حوار الحضارات، وعلينا أن نلم بالثقافات الأخرى ونسعى إلى الحوار البناء والإنسانية التي تسعى إلى الرقي أو التصاعد كما يسميه «تيرار دي شاردان» أو نقطة «أوميغا» أى ذروة التصاعد، والذي ندعوه نحن «التوحيد»، علينا أن نحاور الآخرين كما كان الإسلام الذي بدا أنه أفضل من حاور الثقافات الأخرى زمن إبن سينا وابن رشد، كان إبن رشد استاذا لجيلبر الذي يعد من أئمة المسيحية، أنا لا أقر التحدي مع أننا اليوم لنا

الحق أن نتحدى، لأننا وضعنا في حالة صدام مفروضة علينا، وعلينا أن نواجهها، لكن بودي لو نلطف كلمة التحدي هذه ونقول يجب أن نتجه إلى الحوار، وننظم أنفسنا ونملك زمام أمرنا على كل حال، وندافع عن أنفسنا، هذا ما أحببت أن أقوله..

المادة الرمادية

■ مع كل التقدير للمفكرين وبعض أصحاب النزعات الإنسانية في الغرب الذين يناصرون فكرة الحوار معنا وينتقدون ما آلت إليه الحضارة الغربية، لكن كيف يمكن أن يقوم حوار طبيعي وإيجابي بين طرفين غير متكافئين وليس بينهما توازن في القوة، إن نتيجة هذا الحوار تفترض أن يملي الطرف القوي شروطه على الضعيف وحتى على صعيد الحضارة، الحضارة الضعيفة أو لنقل غير السائدة، ليس بمقدورها أن تحاور الحضارة القوية السائدة، والساسة في الغرب لايكترثون للمفكرين أصحاب النوايا الحسنة، وهناك تجربة حوار الشمال والجنوب الذي لعبت فيه بعض الزعامات الأوروبية العاقلة دوراً مثل براندت وكرايسكي وبالمه، ولكن السيادة الأمريكية المطلقة على النظام العالمي أجهضت الفكرة ولم يكن لحوار الشمال والجنوب أي فائدة تذكر على الصعيدين الفكري والإنساني، ما هي وجهة نظركم في هذا الشأن؟

□ لقد تطرقت فعلاً إلى مسألة جوهرية: كيف نحاور الغرب وبماذا نبدأ حوارنا؟ وأنا أشاطرك الرأى في أن النظام العالمي اليوم مسكون بفكرته التي تقوم على الهيمنة، فهو يحاورك من موقع القوة، بل هنالك ما هو

أكثر من هذا: عليه أن يحد من قدراتنا الحضارية والثقافية، فلا ثقافة كبيرة تسعي إلى السيادة إلا وتتسلح أيضاً بالقوة والإقتدار، ونحن مضطرون أن نقتبس من الغرب بعض الأنماط الفنية، ونسير أشواطاً في هذا الإتجاه قبل أن ندعي تقديم مشروعنا أو فرضه، فما من ثقافة قوية إلا إذا كانت قادرة على أن تفرض نفسها، وما من مرة حصل أن تكون الثقافة متمكنة من نفسها وقادرة من غير قوة تدعمها، ولذلك نحن مضطرون أن نمر في فترة نكون فيها عناصر قوتنا، وهذا يعني أننا مضطرون أن نتبنى هذا النمط الثقافي الغربي مع إيماننا وتنبهنا بأنه ليس النمط الذي نتوخاه، لأنه يقوم على السيطرة والإستغلال، لكن علينا أن نتمكن من بعض عناصره، مثل ماليزيا، اليوم ماليزيا تملك قدرة هائلة داخل النمط الغربي، ثم يأتي تعديل مسارنا فيما بعد، إذ يتعذر الآن أن نفرض ثقافتنا دون أن نتسلح بالقوة ولابد من المرور بهذا المعبر ريثما نستكمل قوتنا وقدرتنا ذلك أنه من المستحيل أن يفكر المرء بثقافة متحررة داخل نظام متسلط، فالقطيعة الكاملة مع الغرب هي ضرب من الخيال، وإنما التواصل معه مع رفض الأنماط التي تتطلع إلى أن تفرض علينا البقاء في وضع التبعية والخضوع، ثمة التقاء في بعض العلاقات وتوجه لتنمية ماتراعي المحيط والبيئة، علينا أن نتوجه لتطوير الزراعة أولاً، أن تكون لدينا أرضية زراعية، وبدلاً ممن أن نفكر بزراعات توفر لنا ربحاً عن طريق بيعها للسوق العالمية التي تتحكم بأسعارها، علينا أن نفكر أولاً بتغطية الحاجيات النسبية لنا عن طريق الزراعة، لأن ذلك الأمر له ثقله من الناحية السياسية، فلقمة العيش إذا كنت مضطراً لإستيرادها من الخارج تعرض الحكم إلى التبعية والإستغلال والإزدراء، علينا أن نحرص على توجيه زراعتنا وتطويرها، ولايجب أن يثبط

عزيمتنا إننا نعيش في منطقة تفتقر إلى الماء والشروط الزراعية الملائمة، ولو إعتمدنا على مواردنا النفطية في تطوير الزراعة في وطننا العربي وتحلية المياه لذللنا مثل هذه العقبات، وأنا أتساءل لماذا لم نتجه إلى تحلية المياه مثلاً، مياه المحيطات.. الغرب لم يهتم بدراسات من هذا القبيل، لأنه يملك الماء، والدراسات كلها تشير إلى إمكانية تطوير الزراعة عن طريق إجراء بحوث حول تحلية المياه المالحة، ولو حلت هذه المشكلة، مشكلة نقص الماء لأضحت بلادنا فردوساً، ليس لدينا سياسة مائية في الواقع، نحن في الجزائر مثلاً لدينا مياه، لكننا لانستثمرها وإنما تذهب سنوياً لتصب في المحيط، وهي في جريانها إلى البحر تجرف معها ٤٠ الف هكتار من التربة الزراعية، وكذلك الأمر في مجال الطاقات الأخرى، كان من الممكن عمل الشيء الكثير لنعوض شيئاً ونضمن لنا مستقبلاً، لكننا لم نعمل، وفي الصناعة مثلاً لدينا صناعات خفيفة، لكن ليس لدينا صناعة ضخمة أو معقدة كصناعة الغاز والنفط، ولم ننجح إلى اليوم في تكوين سوق داخلية.. ليس لدينا صناعات تحويلية، ثم نقفز بعد ذلك إلى الثورة العلمية في مجال المعلوماتية التي تكون اليوم أكبر ثروة بشرية، أي القدرة الذهنية أو الذكاء، وإستغلال العقول البشرية التي يطلق عليها اليوم إسم المادة الرمادية أو العقل، نسير بخطى ثابتة نحو المعلوماتية ونختزل المرحلة الصناعية التي مر بها الغرب، وهي التي أهلكت الحرث والنسل في الغرب، ونسير بخطة إقتصادية تقوم على الحد من الإستهلاك المفرط الذي تجر فيه عملية طلب الحاجة الواحدة إلى طلب عدة حاجات حتى تغدو الحياة سباقاً زائفاً في طلب حاجات زائفة، يجب العودة إلى نمط حياتنا الإجتماعي المفضل لدينا، فهو مجتمع متماسك قائم على نسق

متناغم تسوده العلاقات الانسانية بين الكائنات والمخلوقات كلها، ويقوم على التعاون، في حين أن المجتمع الإستهلاكي يقوم بالمقابل على الغواية والتقاطع والإنفاق، مجتمع تنعدم فيه العلاقات الإنسانية هو مجتمع بارد، ومجتمع الغرب الإستهلاكي تسوده اليوم مشكلات كبيرة ومأساوية منها تحلل الأسرة وإهمال الشيوخ والعجزة من المسنين وإرسالهم إلى دور العجزة، التي يسمونها أماكن الموت، ولو أردنا تحليل هذا المجتمع لإستغرق منا ذلك الكثير من الوقت، فالزراعة إذا لها أولويه في تلبية حاجاتنا الأساسية وحاجات شعبنا حتى لانستجدي لقمة العيش ولكي لانعيش تحت رحمة المصدرين لها، هم يقدمون لنا الخبز لكن ندفع ثمنه من حريتنا وكرامتنا، وهذه وضعية يستحيل معها قيام حوار حقيقي، علينا إذن أن نركز على الصناعات التحويلية وأن نعنى بالمعلوماتية وأن نتجنب الإستهلاك المفرط، لأن الطبيعة غير قادرة على مجاراة إسرافنا ولاسيما أننا الأغلبية الساحقة في العالم، فنحن نشكل اليوم أربعة أخماس العالم وبعد ثلاثين سنة ستكون خمسة أسداسه، فلا يمكن أن نحمل الطبيعة ما لاطاقة لها به، كما يفعل الأمريكي اليوم الذي يستهلك من الطاقة ما يبلغ ٨٠ ضعفاً لما يستهلكه الفرد الجزائري، ومن الماء ما يبلغ ٣٥٠ ضعفاً لما يستهلكه الفرد عندنا، فالإستهلاك الجائر اليوم وقف على الدول الغنية، ولايمكن أن تظل الطبيعة قادرة على مجاراة وتيرة الإستهلاك الجنونية دون إعتبار لها وللمحيط أو البيئة، ثم علينا أن نسعى قدر الإمكان لتكثيف الروابط فيما بيننا، لأن العالم اليوم أصبح عالم تكتلات، فأوروبا تقيم وحدتها، والولايات المتحدة تقيم وحدتها مع المكسيك وكندا أو ما يشبه الإتحاد، وهناك ١٧ دولة آسيوية أقامت فيما

بينها كتلة أو شبه إتحاد ويحاول كلينتون جرها، أما نحن فمازلنا مبعثرين نجري وراء مشكلاتنا التي سببتها حرب الخليج الثانية أو نتنافس على الإرتماء في أحضان إسرائيل، ونسعى معها لإقامة نظام إقتصادي شرق أوسطي تسيطر هي عليه، مسخرة مابعدها مسخرة وإهانة مابعدها إهانة! هذه الظواهر وغيرها يجب أن تتوقف إذا كنا نبغي حلاً يحترم ماضينا ويؤسس لمستقبلنا، وهذا كله يجب أن يتم قبل أن نشرع في حوار جاد وحقيقي مع الغرب وإلا فلا معنى للحوار أصلاً، إذا كنا من جانبنا نفتقد مقومات الكيان ذي الإستراتيجية الشاملة، علينا أولاً أن نفكر بحاجاتنا وأن نجد لتحصيلها، علينا أن نعرف كيف نحاور الغربي، ولكي نعرف ذلك يجب أن نعرف كنه ما عندنا وما عنده لنظهر خطأ مايدعو إليه العلم الغربي، كيف يمكن أن نحاوره ونحن لا نعرف ماعندنا وما يمكن أن يكون بديلاً لعمله، لقد قلت هذا من قبل في أثينا إبان إنعقاد أحد المؤتمرات، قلت: إن الغرب هو الذي يتكلم، ليس بيننا وبينه مايمكن أن ندعوه بـ «ديالوج»، وإنما بيننا لون من الـ «مونولوج»، فالكلام من طرفه وحده، وهو الذي يفرض مبادئه وقوانينه ومنطقه، وهذا ليس حواراً، فمنطق الغرب هو المسيطر ونحن مازلنا نفتقر إلى سلاح العلم الكامل الذي يؤهلنا لمحاورته، قد ننتقد مشروعهم، لكن علينا أن نقدم مشروعنا، هذا الذي أشرت اليه، إننا ننتظر قدوم مفكرين من أجيالنا ينهضون به، هذا لايعني أنه ليس لدينا أي شيء على الإطلاق بهذا الخصوص، فقد بدأنا، ولكن أغلبنا يتبنون المشروع الغربي ويدافعون من خلاله عن مشكلاتنا وقضايانا.. فهم مصدرون لعلم وأساليب الغرب..

مؤتمر قرطبة

■ ■ **حسناً، إذا شئنا أن نركز أكثر على نقد التجارب التي تمت فعلاً للحوار بيننا كعرب مسلمين وبين الغرب وتحليلها، كيف نفعل؟**

□ أود أن أستشهد بمثال هو الندوة التي عقدت في قرطبة لعدد من العلماء وقد سئلوا آنذاك عن سبب إختيارهم قرطبة منتدى لهم فأجابوا «لأننا نحب أن نعود إلى التوجه العلمي السلمي الذي كان سائداً قبل ١٢٠٠ سنة، فقرطبة في رأينا تمثل بروز ظاهرتين لفلسفتين منسجمتين، هما ظاهرة إبن رشد وإبن عربي، ومع أن ابن عربي لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، فقد كان فيلسوفاً كبيراً حين بدأ، وقد اتفق هؤلاء العلماء في آخر الأمر على أن قراءة ابن رشد التجريدية وقراءة ابن عربي الصوفية يجب أن تتضافرا وتتعانقا لنصل بهما إلى الحقيقة في لون من المقاربة، وقد قرر المؤتمرون ضرورة العودة إلى الفكر الذي كان سائداً في قرطبة منذ ألف سنة، هذا ما أوصوا به لتصويب مسار الإنسانية اليوم، وهذا ما بثته إذاعة فرنسية، وما قدم به للكتاب الذي صدر عن هذه الندوة، والكتاب يقع في ٨٠٠ صفحة، وهذا ماطلع به أحدهم وهو عالم عملاق يدعى «كريستوفر» الحائز على جائزة نوبل في العلوم، وبعد هذه الندوة أقيمت ندوة أخرى في فاس، شارك فيها فيزيائيون، وتوصلوا إلى توصيات مماثلة، واليوم نلحظ ظاهرة رائعة تتعلق بالإهتمام بعلم الأبستمولوجيا، فيما يخص البحث عن الحقيقة وكنه الأمور، البحث عن الإنسان وأهدافه في هذا الكون، ثمة غليان في الأفكار يلحظ الآن حول هذه الأمور، وهذا الغليان هو لصالحنا فهم يتراجعون اليوم إلى القديم،

الغرب لم يكن يشعر بأن ثقافتنا لم تزل حية، وكان يعتقد أنها تمثل ثقافة ماتت وإنتهت، اليوم الإتجاه هو نحو التنبه لضخامة ثقافتنا وأنها لم تزل حية لها مفعولها ولابد أن تنفجر وهي في بداية تفجرها للبحث عن سوسيولوجيا جديدة، بالإستناد إلى تحليل دقيق لعناصرها ثم الوصول إلى أطروحة لايتم تداولها إلا بعد أن نستوثق من أنها ترجمة سوسيولوجية تستند إلى حقائق إسلامية، فالظاهرة الإسلامية اليوم تعود إلى الظهور في عالم إسلامي يمتاز بالحيوية والغليان، البشرية اليوم جادة في البحث عن بديل حضاري إنساني وطبيعي يتوافق ويتلاءم ويحترم النواميس والقوانين في الطبيعة، لأن الحضارة المادية الغربية سلبت كل القيم الأخلاقية والمثل السماوية والأفكار الخيرة وشوهت البيئة واستنزفت الموارد الطبيعية بشكل مدمر للتوازن في الطبيعة، لقد كان التوجه الأساسي لهذه الحضارة الغربية بما أفرزته من ليبرالية وماركسية هو السيطرة، والبديل هو حضارتنا العربية الإسلامية، وفي رأيي أن الحوار الذي تشير إليه قد بدأ، وقدمت مثالاً على ماجرى في قرطبة، فنحن لم نكلف علماء الغرب أو ندعوهم للإجتماع في قرطبة، ولم يكن بينهم سوى عالم مسلم واحد هو إيراني يدعي «شاياغان» يعمل أستاذاً جامعياً في مجال المقارنة بين الأديان، المهم أن الحوار بيننا وبين الغرب مستمر، وأقدم مثالاً آخر له، فقد حضرت في نابولي ندوة حضرها علماء ومفكرون غربيون تحت عنوان الأسبوع السنوى للعلم في البحر الأبيض المتوسط، وقد أقيمت هذه الندوة في عدد من العواصم والحواضر العالمية قبل ذلك، ودعيت لحضورها فشاركت، وكان معي إخوة مسلمون منهم الأخ «بوقرة» وهو تونسي يعيش في أوروبا، وكان من قبل يعمل مدرساً في تونس، وهو عالم

عظيم في مجال الكيمياء ومؤلف عدد من الكتب القيمة تتناول مسائل علمية منها – مثلاً – بحث يتناول البحث العلمي ضد العالم الثالث، وآخر بعنوان «السموم والعالم الثالث»، فهو كمختص في الكيمياء يبحث في الأمور التي يصدرها النظام العالمي للعالم الثالث كالأدوية الفاسدة التي يبيعنا إياها كي لايخسر ثمنها، وهذا العالم معني بمسيرة البحث العلمي الغربي التي تتجه إلى منحى يتعارض ومصالح العالم الثالث، ومن ذلك أمثلة للبحوث العلمية غير النزيهة في الغرب والتي تدخل في نطاق علم يطلق عليه اليوم إسم «بيولوجيا الطبيعة»، أي بيولوجيا الطبيعة كلها لا الإنسان وحده»، ألفت النظر إلى أن «بوش» قد حضر إجتماعاً للعلماء في «ريودي جانيرو» وكان همه أن يدافع عن هذا العلم الذي يخفي وراءه مصالح ضخمة تتعلق بصناعة الأدوية والمستحضرات الطبية، والتي تسيطر عليها شركات متعددة الجنسية تجوب العالم كله وتجمع النباتات بالمجان وتصنع منها أدوية مفيدة جداً وتجني الولايات المتحدة من هذه الصناعة بين ١٧ ـ ٢٠ مليار دولار، كان بوش حريصاً ألا تسد هذه الدول المشتركة في قمة الأرض في ريودي جانيرو أبوابها في وجه مستثمري الأدوية، وذلك يعني سرقة مواردها الطبيعية بلا مقابل ثم تصنيعها وبيعها لهذه البلدان نفسها بأبهظ الأثمان بحسب قانون العرض والطلب، هذا مثال، لقد أخذوا من المكسيك مثلاً نبات الذرة وإشتقوا من الذرة المكسيكية أربعين نوعاً، هذا ما عرضه «بوقرة» وهو يهتم بمسائل هامة أخرى من هذا القبيل، طرح مثلاً أن غابات الأمازون تعد مخزوناً غنياً رائعاً للنباتات الطبية التي تصنع منها صنوف عديدة من الأدوية، ولم يستغل منها اليوم أكثر من ١٪، لكن أمريكا تحتكر هذه

الصناعة وتتسلط على مخزون غابات الأمازون وسواها، وهو مخزون يمكن أن يستغل بصورة أفضل لمعالجة المرض في العالم بدلاً أن يكون تحت الإستغلال المادي، وبالإضافة إلى العالم «بوقرة» كان هناك عالم تونسي آخر كان يعمل في دار الحكمة، وهي أشبه بمدينة خاصة بالعلماء، تجري فيها إجتماعات وتقام بحوث ودراسات، وكان رأي العلماء المسلمين الذين شاركوا في هذا الأسبوع العلمي بنابولي يتعارض مع آراء علماء الغرب كلياً، فقد إنتقدوا التوجه العلمي الغربي وإخضاع نتائجه للإحتكارات الرأسمالية لخدمة أغراض غير إنسانية منها صناعة الأسلحة التي يعمل فيها الآن بين ٨٠ – ٨٥ من علماء الغرب، أو يعملون في مجالات صناعية تؤدي إلى تلوث الطبيعة، وقد أكد العلماء المسلمون المشاركون خطر ذلك كله، وعززوا وجهة نظرهم بالإحصاءات العلمية، وكان ذلك إحراجاً للغربيين في الندوة، وحضر تلك الندوة شبان وطلاب غربيون ومن مختلف أنحاء العالم إهتموا بما قاله العلماء المسلمون وأيدوهم، لكن أعتقد أن دورنا يجب ألا يتوقف عند حدود النقد أو الإحراج في الحوار، علينا أن نفكر بالبديل، أن نتوصل إلى شيء، النظام العالمي مازال يعزز المبدأ القائم على التسلط، أقدم مثالاً آخر من مؤتمر ريودي جانيرو، فقد وقع حوار كبير فيما يخص حماية البيئة وما يجري من ممارسات خطيرة تتمثل في القضاء على الغابات الإستوائية، فالنظام العالمي خرج علماء من جامعاته مثل جامعةً «هيدلبرج» أشهر جامعة في المانيا ـ تخرج منها هيجل ـ هؤلاء العلماء يندون بجماعات الخضر التي تدافع عن البيئة، ويزعمون أن هذه الجماعات تنادي بما يشبه الدين الجديد الذي يجب أن يرفض لأن العلم لاتحده قيود ويجب أن تستمر

مسيرته وأن تتوافر له حرية مطلقة.. الخ فعلماء الغرب يتشبث معظمهم بنظامه العالمي ولايتخلون عن منطلقاته، مع أنهم مسخرون، فالعاملون في البحث العلمي في الغرب يعملون لخدمة الشركات الإستغلالية مثل مصانع فورد أو جنرال موتورز وتقدم لهم أدوات البحث ووسائله لإستغلال أبحاثهم دون أن يكون وراء العلم أي هدف إنساني، غير الربح، فبنية النظام العلمي الغربي فاسدة لأنها مبنية على الربح لا على معنى الحياة وخصب الإنسانية، الحوار إذن قد بدأ، غير أن النظام العالمي متنبه لأبعاده وهو يقف بالمرصاد للدفاع عن مصالحه، والحوار قائم الآن بين المثقفين بالدرجة الأولى، رغم أنه ليس لهؤلاء المثقفين أي تأثير على صانعي القرار، لأن النظام العالمي أكبر منهم، وهو يملك المال الذي يسيره ويسخر حتى العلماء والمثقفين، لكن هذا الفساد بدأ يتراجع ويخف مداه، بدأ العلماء اليوم يتداركون الأمر، لقد إجتمع على سبيل المثال حوالي ٣٠٠٠ عالم في «أولانترا» وبينوا مخاطر تسخير العلم للمال، ومفاسد النظام ونتائجه كإرتفاع درجة حرارة الأرض والأوزون والتلوث، إن إرتفاع درجة حرارة الأرض سببه الإستهلاك المفرط للطاقة، مما يسبب إنتشار ثاني أكسيد الفحم الذي يؤدي إلى رفع درجة حرارة الأرض، إلى حد أن الثلوج القطبية بدأت بالذوبان وزاد منسوب إرتفاع مياه المحيطات كلها بحدود متر إلى متر ونصف المتر، وهذه الزيادة كافية لإغراق بلد مثل هولندا أو إغراق دلتا النيل، وبنغالاديش كلها، وهو متوقع على مدار ستين إلى مئة سنة قادمة، وهذا الكلام أقره هؤلاء العلماء، فهذه صورة عن النتائج الفاسدة للنظام العالمي، فهل هناك ما هو أخطر من هذه النتائج؟ أما عن مثقفينا ـ ولا أحب التجريح في أحد ـ فإن ٨٠٪ منهم

تقريباً مدجنون، أي أن ثقافتهم غربية ولو كانت معرّبة، فنحن نستورد من الغرب علومنا كلها، إن علم الإقتصاد الذي ندرسه عندنا ونطبقه في حياتنا هو علم غربي، وقد بينت أن علم الاقتصاد الغربي ليس علماً بالمعنى الدقيق لأنه علم لايراعي بيئتنا ومحيطنا، مع أن الغربيين يؤكدون على ضرورة قيام تنمية تنسجم مع البيئة الطبيعية لكل بلد، ولم يستطع أي عالم إلى اليوم، بدءاً من شوو بيتر ثم فلوماندر، أن يدخل البيئة إلى علم الإقتصاد، لأن علم الإقتصاد الغربي يدير ظهره للحياة ولايلتفت إلا إلى المادة، أما أنا فأرى أن الشجرة كائن حي، والغرب لايدخل الكائنات الحية في حساباته، والدخل القومي لديهم هو مقياس التنمية، وهذا خطأ، ولايعد علماً، وهناك بعض علماء إقتصاد تقدموا باستقالاتهم من العمل في أمريكا إحتجاجاً، وبإمكاني الإستشهاد ببعض المراجع في هذا الشأن وتقديمها كدليل، هذه العلوم من اثنولوجيا وسوسيولوجيا وبسيكولوجيا ليست علوماً بالمعنى الصحيح، وإنما هي دراسات تم تطويرها ليستفاد منها في التحكم بنا والسيطرة علينا، وقد تحدث إدوارد سعيد عن جوانب من هذه المسألة، إنها علوم خادعة، ومازلنا نحن نجاريهم في تدريس التكنولوجيا، وندرس هذه العلوم في جامعاتنا مع أنها ليست من إبتكارنا، فعلمنا اليوم كله مستورد، وهناك ما هو أخطر، إنه ماوقع لعلمائنا في الجزائر في مجال الإقتصاد وغيره، العالم عندنا يذهب إلى جامعاتهم وينقل علومهم ثم يأتي إلى الجامعة عندنا ليدرس ما لقنوه إياه بنصه، وقد يستمر على هذه الوتيرة طوال حياته دون أن يجهد نفسه في نقده وبيان مدى صحته، وهو معذور لأنه منصرف إلى تربية أولاده وبناء أسرته، وليس هناك مايشجعه على البحث، فالعالم في نظري هو الذي يتحرى الحقائق مهما

كان الثمن، وليس ذلك الذي يكتفي بأن يكون ناقلاً للمعرفة فحسب، فإذا كان العلم المستورد مغلوطاً فعلينا أن نبين جوانب الغلط فيه..

ضد الاستهلاك

■ الحضارة الغربية المادية لم تنقذ العالم، وإذا كان الحوار لم يزل ـ كما أشرتم قبل قليل ـ هو من إتجاه وطرف واحد هو الطرف الغربي، هل يعني ذلك أن الإنسانية وهي في طريقها إلى القرن الواحد والعشرين قد تنتظر حلولاً تقدمها لها الحضارة الغربية، أم أن العجز لدى تلك الأخيرة سيزداد حتى تصل إلى الفشل والإنهيار كما يتوقع البعض من مفكري الغرب نفسه؟

❑ أنا على يقين بأن ثقافتنا العربية الإسلامية غنية وخصبة بالعناصر والمقومات التي لاتقدم أسباب الرقي والتقدم للمسلمين وحدهم وإنما لغير المسلمين أيضاً، المشكل الجوهري في النظام العالمي اليوم هو أن الغرب منذ ٥٠٠ سنة تقريباً حرص على تصدير ونشر المفاهيم العالمية التي يحكمها نظامه، وبإيجاز أقول، أنه نشر وصدر لنا المفاهيم التي نادت بها الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، وصدر لنا أيضاً الإصلاحات الدينية متمثلة بالحركة البروتستانتية، وأخرج لنا في نهاية المطاف النظامين الليبرالي والماركسي، وقد ثبت أنهما ظاهرتان غير متناقضتين بل نبتا من ثقافة واحدة وجوهر واحد، بدا لنا اليوم أنهما ليستا متناقضتين في الجوهر، بل ربما تسيران بخطين متوازيين نحو محطة واحدة هي المجتمع الإستهلاكي الليبرالي، وهذا ما يجري في روسيا الآن، وفي أمريكا بالذات، وكلتاهما لم تكونا صالحتين لحل وعلاج المسألة الاجتماعية، والعالم

اليوم يلتمس البديل، بعضهم يراه في الإستقلال القومي، وبعضهم يراه في الرجوع إلى الإشتراكية، في بولندا مثلاً، ولاسيما في بعض الدول التي كانت تابعة للإتحاد السوفيتي مثل ليتوانيا وأستونيا، فالناس لم يزل لديهم أمل في حل المشكلة الإجتماعية عن طريق الاشتراكية، وإنما التطبيق الإشتراكي الرسمي لم يؤد إلى حل ما، بل على عكس ذلك، فقد أهمل أهم جانب من الموضوع وهو الجانب الإنساني الذي تكلمنا عنه، أهمل الإنسان، ذلك أن الإنسان لم يقهر عبر تاريخه كما قهرته «الإشتراكية الرسمية» مع ستالين وسواه، إشتراكية الحزب الواحد، وبالمقابل فإن النظام الرأسمالي الذي ترسخت جذوره منذ خمسة قرون، أي منذ إكتشاف أمريكا وسقوط غرناطة بيد الأسبان، هذا النظام الذي مهد له مفكرو عصر الأنوار قبل وبعد إكتشاف أمريكا، المفكرون الإنسانيون مثل مونتسكيو وديدرو، قد ظهر الآن أيضاً أنه قد أفلس بعد أن كان يسيطر على المعمورة كلها، أفلس بسبب تسلطه وإهماله الجانب الإنساني وحقوق الإنسان والعدالة الإجتماعية، وقد أقام بسبب تسلطه وإهماله الجانب الإنساني عالمين: عالم الشمال الغني وعالم الجنوب الفقير، إن عالم الشمال لم يزل في حيرة من أمره بعد مرحلة إستقلال الشعوب وتحررها من الاستعمار فقد حاول ترميم نظامه باثقال كاهل هذه الشعوب بالديون، على أن هذه الديون قد تفاقمت حتى تجاوزت الـ ١٩٠٠ بليون دولار وعجز الجنوب عن وفائها، بل عجز حتى عن تسديد فوائد هذه القروض للمصرف الدولي، ولو حاول بلد مثل الجزائر مثلاً أن يسدد ما عليه من فوائد فقط لما كفاه كل ماينتجه من نفط وغاز، حيث تبلغ هذه الفوائد فقط مليار دولار سنوياً، ولنأخذ بلداً آخر كالمكسيك،

فهو يعاني من أزمة مالية إثر تدهور عملته النقدية، إن المشكلة قد تفاقمت حتى طالت دول الشمال نفسها، حتى فرنسا هبط فيها الفرنك بالقياس إلى المارك، والدولار الأمريكي نفسه في هبوط مستمر وإن كان وراء ذلك لعبة، وكذلك الإسترليني، ولم يحافظ على سعره سوى المارك، أزمة خانقة لم يمر بمثلها العالم وذلك يعني أن الغرب نفسه أصبح عاجزاً عن التحكم بنظامه العالمي، ويظهر لي أن التنمية التي ينادي بها هذا النظام لاتعني تنمية الإنسان وإنما تنمية الجوانب المادية، كما أن هذه التنمية على مايبدو تسير في خط مواز مع البطالة، والعالم الثالث يعاني اليوم من المرض والفاقة، كيف نتكلم مثلاً عن تنمية الجنوب، وفيه حوالي مليار ونصف المليار من الأفراد الذين يعانون من الأمراض الإستوائية، فالتنمية التي يعني بها هذا النظام هي تنمية ما يحيط بالإنسان في أشياء مادية جامدة، لاتنمية الإنسان، ذلك الكائن الحي، بطاقاته ومواهبه، ولانجد اليوم بحوثاً علمية موجهة لمكافحة الأمراض التي تفتك بسكان الجنوب، كالبلهارسيا أو الملاريا، لأنه قانون العرض والطلب أي منطق السوق والربح والتجارة السائد في النظام العالمي يمنع دول الجنوب من القيام بمثل هذه البحوث، فالبحوث العلمية تتركز على مواجهة أمراض منتشرة في عالم الشمال كالسرطان وأمراض القلب والأمراض المتعلقة بالمجتمع الإستهلاكي وما يجره الإستهلاك من أعراض مرضية كالإدمان على الكحول، أما عالم الجنوب فلا أحد يعني بمشكلاته، ففي كل عام يموت في العالم الثالث ٣٥ مليون فرد من الجوع، وهذه هي إحصاءات الأمم المتحدة بالذات، منهم ١٧ مليون طفل يعيشون على الساحل الأفريقي أو في الغابات الإستوائية، وقد حكم بالقضاء على زراعة

الجنوب وفرضت عليه زراعات لاتناسب حاجاته وإنما تلبي حاجات السوق العالمية الجزائر مثلاً هو بلد مسلم ومع ذلك فإنه يصدر الخمور، ومصر تنتج الأرز للتصدير والسنغال تصدر الكاكاو وتستورد الحبوب، أي أن السياسة الزراعية في العالم الثالث تهدف إلى سد حاجة السوق الغربية لا حاجات الشعوب المحلية، ومع ذلك تجد منظري هذا النظام العالمي يتباكون على تخلف الزراعة والتصحر في العالم الثالث! فعلاً الجزائر مثلاً تعاني من هجوم الصحراء بمعدل ٢٠ كم سنوياً تقتطعها من الأرض الزراعية في بعض المناطق، والتصحر يتقدم بإضطراد بسبب عدم الحد منه، وقطع الأشجار من الغابات وإستخدامها في الوقود، وهو أمر خطير، وقد خلص مؤتمر ريودي جانيرو إلى توصية لحماية البيئة التي أصبحت مهددة، وصارت مشكلتها هماً عالمياً، فالتنمية كما هو معلوم ترتبط بالبيئة والوسط الطبيعي، وتقام اليوم دراسات تهدف إلى تطوير المحيط بنشر التوعية والنهوض بالريف، وفي كوبنهاجن تم بحث المجاعة ونتائجها وآثارها، وفي القاهرة تمت دراسة التكاثر السكاني وفي مؤتمرات أخرى عولجت مسائل أخرى، ربما كانت تلك مقدمة طويلة ولابد منها في الوقت نفسه، كي نصل إلى الحكم المنطقي المستخلص، إن النظام العالمي قد أخفق، أخفق لأنه لم يستطع أن يحل مشكلات العالم، نظام منهار ومضطرب وتنعكس آثاره حتى على الغرب نفسه، فهو يعاني من مسألة الهجرة الجماعية إليه من بلدان الجنوب بسبب الفقر والإفلاس نتيجة سوء الأنظمة لدينا، المصريون مثلاً، كانوا لايخرجون من مصر، أما اليوم فهم ـ ماشاء الله ـ موزعون في مختلف بلدان العالم، الجزائريون أيضاً وسكان الشمال الأفريقي، الموجة مستمرة ولا حل لها لأنها ثمرة

وضع طبيعي، فالناس يجهدون في أوطانهم لكنهم يجدون أنفسهم بلا مستقبل، ولاعمل ولا أهداف إنسانية، فمن البديهي أن يهاجروا، والهجرة نحو الشمال ستأخذ مداها، إلا إذا وقع تغيير في المنظور الذي رسمه العالم الغربي وهو التسلط والإستغلال، هذا النظام في حيرة من أمره، رغم أنهم يقولون بأنه أفضل ما توصل إليه الإنسان، ويقولون أنه لو لم يكن الأفضل لما إستمر رغم عيوبه، إنهم يقولون ذلك بهدف تسويقه، فالليبرالية في نظرهم هي آخر ماتوصلت إليه الانسانية وتاريخها، ما أردت أن أقوله بوضوح هو أن النظام هذا غير أخلاقي بالمقارنة مع الإسلام وقيمه وثقافته، والثقافة كما أوضحت هي الأساس، هذا النظام مبني في أساسه على فكرة خبيثة كنت شرحتها في كلامي، الفكرة التي تنادي بالصراع من أجل الحياة والبقاء للأقوى، وفكرة الصراع الحياتي هذه برزت بعد عصر الأنوار، بدأ بها هوبز الذي يرى أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان وأن الحياة صراع، الواحد ضد الكل، والكل ضد الواحد، والذئاب الصغيرة يلتهمها ذلك الحيوان الميثولوجي الذي هو الدولة، وهو يخيف الناس جميعاً، ثم تعززت فكرة البقاء للأقوى، وأن هذا الأقوى هو القادر على أن يجلب الخير لنفسه وللآخرين، ظهرت مع مالتوس الذي صور التاريخ على أنه أنهار من الدم، فالناس يتصارعون للبقاء، والأمراض الفتاكة مع الحروب تحافظ على التوازن الطبيعي على الصعيد الديموغرافي، ولاتزال هذه الفكرة ماثلة في كثير من مداولات الكونجرس الأمريكي، فليس هناك إعانات حقيقية للدول النامية على الصعيد الإجتماعي، ولا للفقراء حتى داخل أمريكا، حتى في المجال الطبي هذا منطق الكونجرس ورئيسه، وهناك صراع عقائدي لاحصر له داخل

الولايات المتحدة نفسها، هناك من يقول يجب ألا تمد أمريكا يد المساعدة للمحتاجين ولندع الطبيعة تعمل عملها، والأقوى والقادر هو الذي يستمر، فمازالت فكرة الصراع من أجل الحياة هي التي تصبغ الفكر الغربي، تجد بدايتها عند هوبز ثم تبرز واضحة عند مالتوس، ثم تلاميذ مالتوس مثل آدم سميث والفريدو، اللذان قدما لنا مبادىء الإقتصاد العالمي السائد اليوم، آدم سميث يصر على وجود يد خفية تسير الأمور، لندع السوق يسير نفسه بنفسه فإنه يسير نحو الأفضل، فالصراع يحسم الأمور، ثم جاء داروين فألف كتابه (أصل الأنواع) وبسط فيه نظرية الإصطفاء الطبيعي وإستمدها من مالتوس، ولايظهر أثر مالتوس في المؤلف السابق ولكن في كتاباته الأخرى ومن خلال رسائله، فقد قرأ مالتوس وإستوحى منه نظريته وطبقها في الأنثروبولوجيا، وجاء بعد ذلك ماركس فتبنى نظريته في رأس المال مستفيداً من أفكار داروين، إن هذا النسق المترابط هو في جوهره قائم على فكرة خبيثة تم تطبيقها في المجال الإقتصادي وفي الأنثروبولوجيا وفي الفلسفة، والنظام العالمي اليوم مسكون بفكرة الصراع الطبقي، أنا أعد هذه الفكرة هي الفكرة الأساسية والجوهرية في النظام العالمى، وفي الفكر الفلسفي الغربي، وعليها بني، وهي الفكرة التي يجدر بنا أن نتجنبها ونرفضها، لأن مكنون الإسلام يتعارض معها تماماً، الإسلام ينادي بالتضامن الإنساني (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا) ونحن لانضع مصير أمة تحت رحمة إجتهاد فرد واحد، العمل يجب أن يكون لصالح الكل، والمصير هو مصير الكل، ولانعير إهتماماً للمبالغة في قدرات الإنسان حتى يغدو في نظرنا إلهاً، معنى ذلك أننا نحتاج إلى التوصل إلى رؤية أفضل مما

جاء به الغرب، يجب تعميق أفكارنا، والسعي لإقامة مشروع إنساني عالمي، وبعد ذلك يمكن التفكير في الأحزاب، أنا موقن أن أفكار الغرب الليبرالية منها أو الاشتراكية لاتتماشى معنا، ولاتقدم لنا مانريد، ثقافتنا بالذات هي التي تقدم لنا، الإسلام والعروبة، وأنا لا أفرق بينهما، فالعروبة كثقافة لافرق بينها وبين الإسلام، هما اللذان يمكن أن نلتمس فيهما المنظور الإنساني الجديد، ففي ثقافتنا وديننا ما هو أخصب من هذا المنظور الغربي الذي يقوم على صراع الحياة، المنظور الغربي لم يتورع عن تصفية جنس بكامله وهم الهنود الحمر تحت شعار صراع الحياة والبقاء للأقوى، وأجاز لنفسه إبادة السود في الرق الجماعي الذي مارسه عليهم وقتل مئات المئات في مده الاستعماري الذي ساد المعمورة كلها حتى القطبين الشمالي والجنوبي، ونحن لم نخرج من ظاهرة الإستعمار هذه إلا منذ ثلاثين عاماً، إن تاريخ الفكر الغربي الذي إمتد خمسمائة عام توصل فعلاً إلى إرسال الإنسان إلى القمر، وحقق معجزات علمية في مجال الطب وسواه، لكنه أيضاً ذو جانب أسود ومآسٍ وحمامات دم، وفيه ما يمكن أن يقود إلى مخاطر أعظم، فعلينا أن نتحرر من هذا المنظور، وعلى الغرب نفسه أن يتحرر منه، وكلنا نتكلم هنا عن أنفسنا، علينا أن نوحد قوانا للوصول إلى برنامج عالمي آخر، وهو موجود فعلاً في ثقافتنا، وليس لنا إلا غربلة هذه الثقافة وإصطفاء عناصرها الحية التي تمكننا من أن نضع تصوراً عالمياً، لنا وللآخرين إن أحبوا أن يتبنوه، فنحن لانكرههم على ذلك، ولانفرض برنامجنا بأسطول، إن العنف والإكراه اليوم قد تمت تصفيتهما، حتى مسألة الحروب هي في طريقها إلى الزوال على طريق تفاهم عالمي، ولم تعد القنبلة الذرية اليوم هي عامل حسم، لأن

إستخدامها قد يطال مستخدميها ويسبب دمار المعمورة، إن مسألة الحروب النووية وأسلحة الدمار الشامل قد إنتهت، ونرجو أن يتم القضاء تدريجياً على مظاهر التسلح والقوى العسكرية بعد مسيرة ليست بالقصيرة.. لكن يجب أن نسير إلى هذا...

أمريكا الآفلة

■ ■ في الفترة الأخيرة بدأ كثير من المفكرين والمثقفين في الولايات المتحدة يطرحون تنبؤات وتوقعات لهم حول إنهيارها وسقوطها، وهم يصورون الولايات المتحدة على أنها قد أصبحت عملاقاً عسكرياً لكن بدون قوة إقتصادية من نفس الحجم، وبالتالي فإن تفوقها العسكري لن يدوم طويلاً، عدا وجود الكثير من الأزمات والمشكلات التي يعيشها المجتمع الأمريكي ومنها ما هو إقتصادي ومنها ما هو إجتماعي ومنها الثقافي ومنها الأخلاقي أو الروحي، وكل التنبؤات تشير إلى وقوع تغيير على المستوى العالمي سيبدأ من داخل أمريكا نفسها، محاربة نظام القطب الواحد .. الخ، هل تلتقي توقعاتك وتوقعات أولئك المفكرين؟

❑ نعم، توقعاتي تصب في تقديراتهم، وأقدم لك حتى بعض آراء المفكرين الذين يتوقعون ما سيحل بالولايات المتحدة، هناك «بول كينيدى» وكتابه المشهور عن صعود وأفول الإمبراطوريات وهو يتحدث عن إنهيار الولايات المتحدة لكنه لايتوقع سقوطها كلياً وإنما إنحدار مكانتها، وستكون إحدى ست أو سبع قوى أساسية في العالم وليست على رأسها، ولمة دراسة شاملة تستعرض صعود القوى التي ظهرت عبر

التاريخ وتعلل أسباب ذلك الصعود بدءاً من أسبانيا شارلكان حتى فيليب الثاني الذي كان له شأن مع المسلمين ومروراً بانجلترا وفرنسا وأمريكا، وهو يعلل أسباب صعود هذه القوى وأفولها ويتوصل إلى أن توافر شروط معينة قد أدت إلى صعودها وعدم توفر هذه الشروط نفسها أو زوالها أدى إلى سقوطها أيضاً، وهي واحدة في كل البلدان، فهو يرى مثلاً أن تكاليف جيوش السيطرة العالمية ومايترتب عليها من ثقل مفرط على الإقتصاد بسبب التسليح والتعبئة، يؤدي في النهاية إلى حدوث إنهيارات إقتصادية تؤدي بدورها إلى إنكماش قوة وقدرات البلد ذي الجيوش المسيطرة، وتجد الكلام نفسه يتردد في شهادات الناس الذي كانوا مسؤولين في فترة سقوط أسبانيا، وكذلك الكلام نفسه يقال اليوم في الأسباب التي ستؤدي إلى إنهيار الولايات المتحدة، فالولايات المتحدة اليوم أصبحت عملاقاً، وهي مضطرة إلى تحمل نفقات باهظة بسبب كونها قوة عالمية ضاربة وهذه الأعباء تهدد إقتصادها، إن بول كينيدي يتنبأ بانهيارها نتيجة ذلك، وبعد حرب الخليج سئل كينيدي هذا: هل تحليلك لمستقبل أمريكا وما توقعته عن إنهيارها مازال قائماً؟ فأجاب: بل هو الآن أصبح ثابتاً بما لايحتمل الشك، وإنتصارها هذا زائف، فأمريكا الآن ستبرز أكثر كقوة عالمية لكنها ستدفع الثمن فيما بعد، ثمن تهورها وتسلطها على شؤون الآخرين، فالنفقات المالية التي أعلنتها وزارة الدفاع حول تكاليف هذه الحرب وإرتفاع تكلفة السلاح التقني كالطائرات المتطورة التي يعادل صنع الواحدة منها تكلفة تصنيع عشر بواخر، هذا كله سيشكل عبئاً على الإقتصاد الأمريكي بالضرورة، ونحن نرى مثلاً صناعة السلاح في كاليفورنيا، فهي تعاني اليوم من أزمة إلى حد أن

عمال مصانع السلاح لايتقاضون أجورهم إلا بعد ٣ أشهر، هذه كاليفورنيا التي تعد سادس بلد في العالم من حيث الغنى، فقد وصلت إلى هذا المستوى من التردي، واقتصادها إنتزع منها وإحتلت مكانتها دول آسيوية تقريباً، وصناعة السيليكون إنتزعتها اليابان، وكوريا الجنوبية، حتى التركيبة السكانية فيها قد تبدلت، فهناك هجمة نزوح من أمريكا اللاتينية إليها، وقد شكل الأسبان قسماً كبيراً من سكانها، وهم لايتكلمون الإنجليزية، بل إضطر الأميركيون اليوم إلى تعلم الأسبانية والكورية، وأصبح أكثر طلاب الجامعات في كاليفورنيا مثل بيركلي أو سان فرانسيسكو أو ستانفورد هم من غير الأمريكيين، لقد تبدلت البنية البشرية لرواد الجامعة، وكأن إنتقاماً إلهياً يجري، فهذه الولايات المتحدة التي كانت ثلث أرضها في الأصل مكسيكية ناطقة بالأسبانية، ثم إنتزعت من أصحابها في القرن التاسع عشر، تعود اليوم إلى سكانها الأصليين، وبعد أن كانت كاليفورنيا تمثل نموذجاً للحياة الأمريكية أصبحت اليوم غير أمريكية تقريباً، وهي تسير في هذا المنحى بإضطراد، أمريكا أخفقت، واسمح لي أن أقول أنها هي التي تجنت وظلمت، فالأرض ليست لها أصلاً بل هي للهنود الحمر بغض النظر عن عددهم، مع أن عددهم لم يكن قليلاً يوم طردوا من مناطقهم في المكسيك على يد الأسبان في عام ١٤٩٢، فقد كان يسكنها منهم حوالي ٢٥ مليون نسمة في حين لم يكن عدد سكان أسبانيا التي إستعمرت العالم آنذاك يتجاوز ٨ ملايين نسمة، وكانت العاصمة مكسيكو آنذاك من أكبر مدن العالم، وكان لسكان المكسيك مدنية لاتضاهي، لكن تم سحق الهنود الحمر بعد ذلك، وهم يعيشون إلى يومنا في الضواحي وأطراف البلاد وفي

مناطق محصورة تماماً، والنازحون إلى أمريكا من إنجلترا لم يكونوا سوى عناصر اضطهدها البروتستانتيون من الأقليات الأخرى، ومنهم أيرلنديون كان عددهم يبلغ عشرة ملايين نسمة، وهم اليوم في الولايات المتحدة أكثر من سبعين مليون نسمة، وكان من بين المهاجرين مجرمون ومدانون تم نفيهم، والإستعمار كما تعلم له عقلية خاصة، فقد إختار هؤلاء لأغراض مقصودة ومبيتة، والمجتمع الأمريكي الذي تكون من هؤلاء لم يكن متجانساً، بل بدا متفككاً منقسماً على نفسه ومليئاً بالمتناقضات، يضاف إلى ذلك المشكلة العنصرية للسود وإنتشار المخدرات والتحلل الإجتماعي، السود مثلاً، لم ينالوا حقوقهم في الحياة وحريتهم إلا منذ عام ١٩٦٠ ، وكان ينظر للأسود على أنه إنسان آخر، وهو محتقر حتى في الإنجيل، إن عدم تجانس هذ المجتمع ظاهرة قد نجدها في مجتمعات أخرى، لكن تبقى في هذه المجتمعات بعض الروابط على الأقل، فهناك خيط ما يربط المواطنين بعضهم ببعض على الأقل، في حين أن مثل هذه الروابط غير متوافرة في المجتمع الأمريكي، ولذلك لم تنجح الولايات المتحدة في توحيد مجتمعها وتخليصه من تناقضاته والعنصرية فيه، لم تنجح في دمج السود منذ عام ١٩٦٠ ، ونحن نتذكر ماجرى في لوس أنجلوس من مظاهرات وحوادث دموية، فالولايات المتحدة يستحيل أن تقدم للعالم نموذجاً يحتذى، لأن الأمريكان أقاموا كيانهم على مآسي الآخرين، وهذا ما تم فعلاً في نيوزيلاندة أو استراليا التي أحتلها الغربيون، إذ إحتقروا سكانها الأصليين وبنوا كيانهم على تصفيتهم، ومازالوا إلى اليوم عاجزين عن إقامة وحدة وطنية أو بنية متماسكة، ومنذ خمسين سنة وأمريكا تحاول ذلك دون نتيجة، لأن القضية كبيرة ومستعصية ولم تنته،

وفي رأيي أن هذه الشعوب الغربية التي هاجرت تحت راية الإستعمار أو تحت تأثير معطيات أخرى تاريخية، تواجه اليوم مشكلات هامة، فأهل البلاد الأصليون يطالبون بحقهم في الحياة، في نيوزيلاندة، والكيان الصهيوني الذي بني في منطقتنا إنما بني على هذا المنطق بالرغم من الروابط التاريخية التي تربطنا باليهود، لهذا كله يتنبأ بول كينيدى بأفول أمريكا، ولو استمرت كدولة قوية إلى وقت ما، لأنها أخفقت في حل مشكلاتها، وستكون في المستقبل قوة واحدة من سبع أو ثمان قوى، وستكون الصين أقوى منها خلال خمسين سنة، كل الفرضيات تشير إلى سقوط أمريكا، حتى لدى المفكرين الأمريكان أنفسهم، ويثبت ذلك ظواهر نلحظها اليوم، فالتعليم في كوريا مثلاً وفي اليابان أيضاً، هو أفضل منه في أمريكا نفسها، ومع أن لدى الولايات المتحدة عدداً من الجامعات العريقة، لكن مدارسها في التعليم عامة تنذر بكارثة، وبعض الدارسين الإجتماعيين ينتقدون أيضاً هيكلية النظام السياسي فيها، فهناك فئتان أو ثلاث فئات تتحكم في مصير الأمة، أبرزهم المحامون، وهم مصيبة في أمريكا، في حين أن العلماء يأتون في أسفل السلم الإجتماعي بالمجتمع الأمريكي والصحيح أن يحتلوا المرتبة الأولى، وفي أمريكا اليوم مغامرون يعبثون بالقانون، وأطباء مشعوذون يمارسون دجلاً طبياً تحت شعار الطب النفسي وسواه، وهم يقودون مرضاهم إلى تفاقم المرض وليس إلى الشفاء، حتى أصبحت هذه الظاهرة السائدة مثار شكوى ونقد، وكلها وغيرها مظاهر إنهيار تشير إلى عيوب النظام الليبرالي التي تضخمت حتى بلغت أقصى حدودها، قد يرى بعض الناس، ومنهم فوكوياما، في سقوط الإتحاد السوفيتي دليلاً على نجاح النظام الليبرالي في الغرب، وأنا أرى عكس

ذلك، فسقوط الماركسية وهي صنو الليبرالية في الأساس تنبىء بسقوط الليبرالية أيضاً، ولاتشير إلى إنتصارها، وقد أخطأ فوكوياما في أمرين، أحدهما أنه لايعرف الإسلام معرفة دقيقة، فهو يزعم أن الإسلام لايمكن أن يقدم للعالم نموذجاً وهذا خطأ، وهو يدعي أن الدليل على ذلك قصور الإسلام عن تلبية حاجات الشبيبة في نيويورك أو باريس، مثلما يحتج أيضاً بأن الإسلام لم ينطلق عبر تاريخه إلا في بدايته خلال مئة عام تقريباً، ثم توقف، وهذا جهل فاضح وكبير بالإسلام، فالإسلام لم تتوقف إنطلاقته أبداً حتى زمن الإستعمار، فأفريقيا كلها إنتشر فيها الإسلام يوم كانت في ظل الإستعمار، إنتشر في السنغال ومالي وسواهما واستطاع أن يسود هذه البلدان بالرغم من هيمنة الإستعمار عليها، إحتلها دينياً وهو مازال ينتشر بإضطراد بالرغم من وجود السيطرة الإستعمارية في أفريقيا إلى يومنا هذا، وذلك يعني أن إنطلاقة الإسلام لم تتم زمن خالد بن الوليد والخلفاء الراشدين فحسب، وأن إنتشاره في أفريقيا لم يتم في بداية الإسلام فحسب، بل تم في عصرنا هذا أيضاً، ثم إن الباحث يتذرع بمعطيات النظام الغربي العالمي التي أصبحت ملبية لحاجات الشبيبة ـ كما يدعي ـ في واشنطن وباريس – أي أنه يرى في هذا النمط الليبرالي صورة لنموذج عالمي، ولكن من يتنبأ مثلاً ماذا سيكون علية النموذج المحتذى للعالم ولشبابه بعد خمسين سنة، حين تصبح آسيا هي القوة العالمية الأكثر بروزاً؟ لاشك أنه سيكون لها دور في خلق نموذج حضاري آخر مغاير، فليس من المستبعد أن يكون الإسلام الذي ينتشر سريعاً له دور أساسي في الإسهام بنهضة عالمية تستند إلى مبادئه في إبراز صورة النموذج الجديد، وهذه حقيقة يؤكدها مفكرو الغرب أنفسهم،

ومنهم آلان تورين، الذي يرى أن الإسلام بعد مئة سنة سيصبح الدين الأكثر إنتشاراً، ومعتنقوه سيشكلون مابين ٤٣ إلى ٦٥٪ من سكان العالم، وهو يستمد هذه الفرضية من مسيرة الإسلام وإنتشاره الكاسح في افريقيا، بل في الغرب نفسه، كفرنسا، وقد يعترض معترض فيقول إن قوة الإسلام لاتقاس بعدد معتنقيه بل بقدرته على إقامة تنمية عالمية، فإننا على يقين بأن الإسلام قادر على أن يجيب بصورة أفضل وأنجح عن الأسئلة المطروحة أمام النظام العالمي الليبرالي الذي يستند إلى مبدأ الصراع من أجل الحياة والبقاء للأقوى، والإنسان ذئب للإنسان وليس أخاً له، فوكوياما أخطأ إذاً، والأمر الثاني الذي أخطأ فيه، هو إستناده إلى جدلية هيجل الذي يتنبأ بإنتهاء التاريخ، زاعماً أن جدلية هيجل تقوم على الأطروحة ونقيضها ثم التركيب الجديد بينهما في وضع جديد، فالجدلية لانهاية لها، فالشيوعية نفسها ليست نهاية الليبرالية كما يزعم ماركس، لأن حركة التاريخ تفرض وجود النقيض باستمرار لاينتهي، وفي لون من الحتمية التاريخية، وحركة التاريخ لاتتوقف في رأي هيجل، وماركس نفسه بنى نظريته على نقض أطروحة الفلاسفة الذين سبقوه، وأتى بعد ماركس من نادى بنقض نظريته، فالجدلية لاتتوقف، والفكر الإنساني في حركة مثمرة، إن فوكوياما قد أخطأ خطأ تاريخياً عندما إعتمد على جدلية هيجل، لكنه نسفها في النهاية، كان هيجل يرى في شخصية نابليون تجسيداً للفكر الإنساني، لكن هيجل نفسه في آخر عمره تراجع عن ذلك، وإعترف بأن العالم لانهاية له، وهو في تغير مستمر، «فالعالم الذي رأيته آخر عمري ليس هو العالم الذي كنت أراه زمن نابليون» كما قال هيجل، ولهذا فإن فوكوياما قرأ التاريخ قراءة سطحية، قراءة موظف، وقد

جمع بين الفلسفة وعلم الإجتماع في نظريته، ولكنه ظل في تفكيره يصدر عن عقلية موظف في وزارة الخارجية الأمريكية حيث يعمل، وقد تعرض كتابه لإنتقادات كثيرة حين صدوره من مفكري الغرب، فالليبرالية كارثة بشرية من الناحية الأنثروبولوجية، ومن حيث تسببها في تصفية شعوب كاملة كالهنود الحمر والسود، ومن حيث تسببها في قيام حروب عالمية أسفرت أولاها عن مقتل ٢٠ مليون إنسان وثانيتها عن مقتل ٦٠ مليون إنسان، وهي كارثة ايكولوجية أيضاً من حيث تسببها في القضاء على الطبيعة وإلحاق الأضرار بها، فالتلوث يسيطر على البيئة في العالم، والتصحر وإرتفاع درجة حرارة الأرض وثقب طبقة الأوزون كلها نتائج طبيعية للنظام العالمي الحياتي والإقتصادي، هذا عن فوكوياما، أما صامويل هاتنجتون الذي طلع بنظرية تنادي بفكرة إتجاه العالم نحو حرب عالمية جديدة بسبب صدام الحضارات، فهو مخطىء أيضاً، لأن العالم اليوم طرح جانباً مفهوم الصراع وأن الإنسان ذئب للإنسان، وهو يتجه عكس ذلك تماماً، هو يتجه إلى التفاهم والإعتراف بالثقافات.

■ الماركسية سقطت بسقوط الإتحاد السوفيتي، ووفقاً لتحليلك فالليبرالية آيلة إلى السقوط، فماذا بعد الشيوعية والرأسمالية، الأشتراكية والليبرالية؟ إلى أين يتجه العالم؟

□ أنا أرى أن الوضع الراهن يمكن أن يستمر زمناً، قرناً أو ما يقارب القرن، لكن على الغرب أن يبادر إلى البحث عن نظام عالمي آخر، عليه أن يتخلى عما يزعم أنه منظوره العقلاني الذي جر الكوارث للبشرية، أما بعد ذلك فالأمر يحتاج إلى نقاش لأهميته، وهو أمر يعني الغرب أيضاً

ويهمه، فالنظام الذي إبتكروه وجهدوا في تأسيسه ٥٠٠ سنة لم يعد صالحاً للإنسانية، أما أنا فأرى أن الإسلام يمكن أن يفيد الإنسانية ويقدم لها شيئاً لأنه موجه لتنمية الإنسان قبل كل شيء، مثلما هو مفيد للطبيعة أيضاً، وللكرة الأرضية التي تبدو لنا اليوم صغيرة أشبه بقرية واحدة نعيش فيها معاً بفضل تطور وسائل الإتصال والإعلام، والتطور التقني بعد إختراع الحاسوب الذي عزز إرتباط العالم بعضه ببعض، اليوم يمكن أن تحصل بضغطة زر على المعلومة التي تريدها، تطلب معارف تتضمنها محتويات مكتبة الكونجرس مثلاً، أو أي جامعة، ويمكنك أن تتصل بأية شخصية أو هيئة متجاوزاً الحدود والدول والمسافات، وهم اليوم يتكلمون عن عقل جماعي جديد، فالمعطيات تغيرت، ولكن الأفكار الثابتة والخصبة هي التي تبقى وتؤثر، وفي رأيي أن الثقافة الإسلامية قادرة على تأدية دورها في هذا المجال، وهي قادرة على الإجابة عن كل الأسئلة المطروحة اليوم، وسيكون لنا ذلك، وما نشهده اليوم من تطور إقتصادي في ماليزيا يعد مقدمات، لكن الظاهرة الإسلامية أكبر من ذلك، إنها حبلى بشيء، ولم نستطع أن نبلور إجاباتنا عن كل المشكلات، لكننا في الطريق إلى ذلك، وما مر بنا من أوضاع وتجارب سيخصب حياتنا، ويعيدنا للأهم، فنقدم شيئاً كبيراً للإنسانية في ضوء تجربة الإسلام المديدة التي استمرت أربعة عشر قرناً من الزمن، أنا شخصياً لا أملك مثل هذه الرؤية التي تكون أجوبة لأسئلة العصر الكبيرة، لأنها أكبر مني ومن أي فرد، وإنما هي مهمتنا جميعاً مسلمين ومثقفين للإسهام في وضع علامات على طريقنا، ولي أمل بالله أن يسترد مجتمعنا عافيته ويبرز من صفوفنا عمالقة منهم من يكون إبن سينا جديدا أو إبن رشد جديداً أو فارابي

جديداً أو ابن خلدون جديداً، ويقدمون لنا مثل هذه الرؤية، وهو ليس كلامي، وإنما هو ما يطرحه علماء بارزون في الغرب نفسه مثل برونويل.

ليست لوكربي

■ **الغرب بقيادة أمريكا يلجأ إلى أسلوب الحصار في مواجهته للقوى القومية المعادية لسياساته، ما هو الرد العربي الناجح لإفشال الحصار؟**

□ أسلوب الحصار أو الحظر أو المقاطعة هو سلاح أمريكا الذى تشهره ضد كل من يعاكس سياساتها، هي تستخدمه منذ أكثر من ٣٠ سنة ضد كوبا، واستخدمته ضد العديد من الدول في أوروبا زمن الحرب الباردة، وتلعب به في حوارها مع الصين تجارياً وحديثاً تستخدمه ضد اليابان، وداخل الغرب نفسه هددت باستخدامه ضد أوروبا الغربية قبل نحو السنة حينما ثارت مشاكل حول تجارة وتبادل بعض السلع الزراعية. وهذا السلاح ليس جديداً إستخدامه ضدنا فقد إستخدمته أمريكا ضد عبد الناصر عندما حظرت تصدير القمح إلى مصر، والكثيرون يظنون أن ليبيا والعراق وحدهما المحاصران أو اللذان يتعرضان للحظر اليوم، بدرجة أو بأخرى كل الأقطار العربية بما فيها تلك التي تحتفظ بعلاقات حسنة مع واشنطن خاضعة لحظر من نوع ما، إن مصر لاتستطيع زيادة المساحة المزروعة لديها قمحاً لأن هناك فيتو أمريكي على ذلك، ويجب عليها أن تستورد ثلاثة من كل أربعة أرغفة تأكلها.. وهذا هو السبب في عدم تحقيق فكرة المثلث الذهبي بين مصر وليبيا والسودان لأنه كان من المقرر أن يزرع الفلاحون المصريون قمحاً في أراضي السودان بمعدات

وإمكانيات ليبية مما كان سيؤدي في حال حدوثه إلى تحرير إقتصاد نصف الأمة العربية تقريباً من التبعية، أليس ذلك حصاراً لمصر؟ إن السعودية مجبرة على إرساء عدد من صفقات السلاح التي لاتحتاجها أصلاً كل سنة على شركات أمريكية بعينها، كي لايزداد عدد الرافض في طابور البطالة في أمريكا أساساً، وأكثر من ذلك فالسلاح الذي تستورده السعودية بالإكراه محظور تزويده بتقنية عالية هو نفسه يرود بها إذا ماذهب من أمريكا إلى الإسرائيليين الذين لايدفعون ثمنه، أليس ذلك حظراً على السعودية؟ فالمسألة ليست ليبيا أو العراق.. إنها الأمة العربية كلها في حالة حصار.. تتفاوت حدته أو درجته حسب المقاومة، فهو أشد ضد ليبيا لأنه البلد العربي الذي قام ويقوم بدور خطير لصالح تحرير ووحدة وتقدم الأمة العربية، وهذا يعني أتوماتيكياً العداء للمصالح والسياسات الأمريكية، ليبيا بالثورة تحولت إلى أرض كل العرب وأمريكا أحرص ما تكون على تكريس الفواصل بين العرب ولاتريدهم أن يلتقوا على أي صعيد.. لا على صعيد الشارع ولا على صعيد القمة.. أذكرك بما حدث عندما إتخذت إسرائيل قرارها بمصادرة ٥٠ هكتاراً من الأراضي في القدس وكادت تجتمع قمة عربية مصغرة.. فوراً تدخلت أمريكا وضغطت كي لا يحدث ذلك، ليبيا تناضل من أجل الوحدة العربية مشارقياً ومغاربياً.. وأمريكا لاتريد للحكومات العربية أن تتوحد إلا معها هي.. لأن وحدة عربية من أى نوع ومن أى مستوى هي إستغناء عن أمريكا وضرب لمصالحها.. المهم أن ليبيا بالثورة هي شوكة في حلق الأمريكان لأنها لاتقدم لهم تنازلات ولأنها تتقدم إلى غايات قومية

وإسلامية وعالمية تنغص حلمهم بالسيادة على الكون.. أضف إلى ذلك إرث الماضي، فالذاكرة الأمريكية تختزن بمرارة الضربة التي وجهتها إليها الثورة بطردها من خمس قواعد عسكرية كانت إحداها أكبر قواعدها خارج أراضيها.. الذاكرة الأمريكية قوية.. خذ مثلاً إهتمامهم قبل مدة بالذكرى الخمسين للضربة العسكرية التي تلقوها في بيرل هاربر على يد اليابانيين.. هم لاينسون ونحن للأسف ننسى.. ثم إن ليبيا تؤذي السياسة الأمريكية في العمق عندما تطرح نموذجاً تنموياً معاكساً للدولة النفطية المستأنسة التي تعطي النفط للشركات الأمريكية وتعطى ثمنه للبنوك الأمريكية.. وهو المثال السائد عربياً.. هذا النموذج المضاد تكره واشنطن مجرد التفكير به لأن النفط العربي خط أحمر. وهو أحد الأسباب التي حدد وليام بيري وزير الدفاع الأمريكي علناً في تقرير له إلى الكونجرس، أنها قد تدفع بالقوات الأمريكية إلى خارج الولايات المتحدة عند الضرورة..

درس الثورة

ليبيا إذن تحاصر أمريكيا وغربياً لتلك الأسباب وليس بسبب لوكربي، وعلى الشعب الليبي أن يعرف أن ثروته مستهدفة، وأن أمريكا تطمع في العودة إلى القواعد الخمس التي أجلتها عنها الثورة، وأمريكا تريد للحصار أن يطول ظناً منها بأن الليبيين سيسقطون وأن الوشائج ستتقطع بينهم وبين إخوانهم العرب، لقد عشت في ليبيا قبل الثورة فترة كافية لأكتشف المعدن الأصيل لذلك الشعب العربي وروحه الثورية

القومية والإسلامية.. لقد بذل الليبيون ـ وهم فقراء ـ الكثير لأجل تحرير الجزائر وتحملوا الكثير لمساعدة ثوارها، وهذه الروح هي التي يريد الحصار الأمريكي أن يستأصلها.. ولكني من خبرتي بالليبيين أعرف أن أمريكا تهذي.. وأن ليبيا ستظل كما كانت وكما هي اليوم ملاذاً وأملاً للعروبة والإسلام وللثورة العربية..

•

العراق إستدرجوه وضربوه ثم حاصروه لأنه كاد أن يتحول إلى قاعدة علمية وتقنية وصناعية ودفاعية قومية راسخة.. العراق يملك النفط ولكنه يملك ما هو أهم من النفط، العلماء.. العنصر البشري الكفؤ القادر على إطلاق الأمة العربية من عقال التخلف وعلى إيجاد فرصة لتعادل حقيقي في ميزان القوى مع العدو الصهيوني لأول مرة.. والحصار الأمريكي للعراق هو بهدف خنق هذه الإمكانية.. إمكانية أن ينهض العراق مرة أخرى ليشكل تهديداً للمصالح الأمريكية وللوجود الصهيوني.. ومن العار حقاً أن يكون الهدف وراء تلك العملية واضحاً لجميع العرب وأن يستمر معظمهم منزوين إلى الصمت وكأن الأمر لا يعنيهم..

ولست أجد أي مبرر مقبول للموقف العربي الداعم لإستمرار الحصار على شعب العراق وتجويع أطفال ونساء وشيوخ العراق.. ولا حجة واحدة تقنعني بأن يفتك المرض بالأطفال ونتيجة حصار عربي وغربي أياً كانت الذرائع والأسباب.. وكما قلت لك الأمة كلها محاصرة وإنما تتفاوت درجة الحصار وحدته من جزء لآخر، وبدلاً من الفرجة على بعضنا البعض فإن المطلوب هو إحداث سياسة عربية للخروج من الحصار

المفروض على الأمة وخطة قومية للخلاص من الفيتو الموضوع على تقدمها وإمتلاكها لناصية العلم والمعرفة والتقنية اللازمة لمستقبل أفضل.. وأنا أدعو الشعب العربي في مصر وفي تونس والجزائر ألا يسمح باستمرار الحصار المفروض على ليبيا إنها مسؤوليته بالدرجة الأولى، وأدعو الشعب العربي في سوريا والأردن والخليج ألا يسمح باستمرار الحصار المفروض على الأشقاء في العراق، فتلك أيضاً مسؤوليتهم أولاً وحلقات الحصار تنكسر كلها إذا إنكسرت إحداها، ويجب أن ينكسر الحصار بدءا من الحلقات المحيطة بكل من ليبيا والعراق.. وعلى الجماهير ألا تنتظر الحكومات لتفعل ذلك.. عليها أن تبادر وتقتحم أياً كانت التضحيات ومهما كان الثمن.. ذلك درس الثورة الجزائرية.. ومن ناحية أخرى فإن مما يفشل سياسة الحصار ضد الأمة العربية أن تلتقي القوى القومية والإسلامية والتقدمية جميعاً عند نقطة التقاء تجسد طموح الأمة وقدرتها على المقاومة... وأعتقد أن الأخ القذافي قائد تتوفر له الصفات المطلوبة والمؤهلات اللازمة التي تحتاجها الأمة اليوم فهو لم يلن ولم يرضخ ولم ينكسر ومستمر في التصدي بشجاعة لكل أطروحات المعسكر الغربي التي تريد فرض الاستسلام على العرب والمسلمين.. هذه قيادة ثورية عربية أعتقد أنه من الواجب أن يلتف كل الأحرار من حولها.. هذا يمنح الأمة العربية الإسلامية قوة عظيمة على الصمود وفرصة كبيرة في كسر الحصار.. فهذا ليس وقت الاختلاف.. من الطبيعي أن توجد خلافات واختلافات.. ولكن من البديهي أن الخلافات تجمد عندما يصبح المصير ذاته مهدداً.. فكل القوى مدعوة لتجميد اختلافاتها وخلافاتها والإجماع

على نهج مقاوم والإلتفاف حول قيادة مقاومة.

■ هل الصدام مع الغرب حتمي؟ إذا لم يكن كذلك فما هو الشكل النموذجي الذي يتبناه الفكر القومي لعلاقة مع الغرب؟

□ لقد سبقت أن أوضحت ذلك بأن المسألة في العمق هي النظام العالمي الذي أوجده الغرب، وهو نظام فاسد ومجحف وقام ويقوم فوق جماجم الشعوب والفقراء حتى داخل الغرب نفسه، فالصدام حتميته لن يكون السبب فيها نحن العرب والمسلمين وإنما التشبث الغربي بذلك النظام الإستكباري الفاسد والظالم..

ونقيض الصدام، أي اللقاء أو الإلتقاء عند خطوط مشتركة مرهونة بتقبل الغرب لفكرة الحوار مع النقيض، أي مع النظام العالمي الجديد الذي يسعى المشروع النهضوي العربي الإسلامي إليه وتتضمنه أطروحات وأسس ذلك المشروع..

وفي يقيني أن الحوار هو لمصلحة الطرفين مادام الطرف الأقوى مادياً أي الغرب لايسعى إلى فرض منظومته الفكرية والعقائدية والثقافية ومن ثم فرض تقاليده السياسية ونظمه الإقتصادية والإجتماعية على الطرف الآخر.. لا أقول الأضعف وإنما أقول الذي تتوفر فيه قوة روحية هائلة كامنة تبحث الآن عن مسارب للإنطلاق والتفجر لفرض النموذج البديل والنظام العالمي الجديد..

فالحوار هو لمصلحة الطرفين، وشرطه عدم وجود شروط مسبقة

بينهما، ويمهد له ويدفع باتجاهه وجود تبلور المنظور، للعلاقة السوية بينهما..

فالأمة العربية الإسلامية رغم عدم توحدها سياسياً بالشكل المطلوب إلا أنها إزاء الغرب في النهاية كتلة واحدة مقابل كتلة واحدة.. وعندما يسعى طرف ما في الغرب إلى إيجاد خروقات في الكتلة العربية الإسلامية فإن ذلك صراحة أن ذلك الطرف راغب في الإستحواذ.. ليس فقط على مقدرات الأمة العربية الإسلامية وإنما على المصالح العربية في الإجمال.. وفي هذا الصدد يمكن التدليل بالموقف الأمريكي.. فقد أصبح معروفاً أن الموقف الغربي ليس واحداً وأن ثمة تمايزاً بين الموقف الأمريكي والموقف الأوروبي.. بل إن أمريكا تسعى لإستبعاد أي دور فاعل ومؤثر لأوروبا في الوطن العربي وفي أفريقيا.. وهي تستخدم بريطانيا في شق الصف الأوروبي نفسه وفي تعويق حركته بإتجاه التوحد والإستقلال.. والتصور القومي العربي الذي تسألني عنه يفترض وجود علاقات تعاون وحسن جوار بين الشاطئين الشمالي والجنوبي للمتوسط.. لأن ذلك هو وحده يضمن الإستقرار الأمني والإزدهار الإقتصادي جنوباً وشمالاً معاً.. ولكن نجد أن الولايات المتحدة تدق الأسافين بين شمال المتوسط وجنوبه وتسعى لدى كل طرف لطرح سياسات معادية تجاه الطرف الآخر وموالية للمصالح الأمريكية بالذات..

إذن على أوروبا، في الغرب، أن تحسم أمرها، عليها أن تضع حداً للإستبعاد الأمريكي لها بأن تتبنى سياسة عربية مستقلة لأوروبا عن

أمريكا.. والتاريخ الذي بيننا وبين أوروبا حافل بالمآسي، ولكن توجد به بعض النقاط المشتركة المضيئة.. والإحتكاك الطويل بين العرب والأوروبيين ولد خبرة لدى كل منهما بالآخر وبالتالي قدرة أكبر على التعايش والتفاهم.. والجوار يلعب دوراً مهماً.. فأتصور أن مصلحة العرب والأوروبيين إستعادة الحوار العربي الأوروبي على أسس جديدة من التكافؤ والندية والإلتقاء حول المصالح المشتركة وهي كبيرة..

إن ذلك هو لصالح أوروبا نفسها سياسياً وأمنياً وإقتصادياً أيضاً، وهو بشكل عام يخدم السلام العالمي.

المحور الرابع

الثقافة على المحك

السلطة الثقافية

« وما يعقلها إلا العالمون»

صدق الله العظيم

من الآية ٤٣ من سورة العنكبوت

اللغة العربية

■ **البعض ، متذرعاً بدواعي العلم أو مستشهداً بوضعية التخلف الراهنة، يصم لغتنا العربية بأنها دون المستوى المطلوب لإحداث نقلة نوعية على الصعيدين الثقافي أو الفكري اوالعلمي، مارأيكم في هذه المقولة؟**

□ لغتنا العربية لم تكن عاجزة يوماً عن التعبير عن صيغ الحكم أو عن حقائق العلم، إنها الآن مظلومة، فهي في الواقع من أخصب اللغات، وهي قادرة على التعبير عن أي مفهوم، وهي تحوى ملايين المفردات في حين أن الانجليزية مثلاً لاتجاوز مفرداتها ٨٠٠ الف مفردة، لكن العيب فينا، لأننا لم نبتكر ولم نكن كباراً، واللغة كائن حي يتطور كما يتطور الإنسان وتزدهر بفضل متكلميها، كانت لغتنا تكبر وتزدهر معنا، لكنها اليوم توقفت لأننا توقفنا، إن الثقافة هي أساس كل شيء، فلا تنمية بلا ثقافة، هذا مايؤكده فلاسفة الغرب أنفسهم، وعلينا أن نعنى باللغة العربية ونسعى إلى توحيد مصطلحاتها، وأن نوحد مجامعنا اللغوية، فنحن إلى اليوم ليس لدينا مجمع لغوي موحد، كذلك فإن مفهوم الوحدة يجب تعليمه لصغارنا منذ المرحلة الأولى من التعليم، على أنها - أي الوحدة- عقيدة تجمعنا، وعلينا أن نتبادل برامج التربية والتعليم، وقد أشرت سابقا في هذا الحوار إلى ضرورة القيام بطفرة في التوعية، فتلك هي الطفرة التي أطمح إليها بالذات، من المفروض أن نؤسس لدى صغارنا تلك المفاهيم ليتشربها كل عربي مسلم منذ صغره، وعلينا أن نركز على المسألة الثقافية قبل التفكير في المفهوم السياسي للوحدة، واللغة العربية هي أهم رابط

يوحدنا، وهي اليوم علم العلوم، لأنها تعبر عن الإنسان وعبقريته فاللغة عموماً لها بعد هام، واللغة العربية أصبحت محط إهتمام كل دولة إسلامية مستقلة وهي تحرص على تعليمها لأبنائها فكيف يمكن أن تكون مسلمة إذا كان أبناؤها يجهلون اللغة العربية؟ قد نتوصل إلى تعرف الإسلام عن طريق ترجمة نصوصه الأساسيةلكن يظل المسلم الذي لا يعرف العربية مفتقراً إلى تعرف المجهود الفقهي الكبير في نصوصه المتشعبة التي لم تترجم، وذلك يعني أن المسلم ليعرف الإسلام في العمق يجب عليه أن يتعلم العربية، وهذا يفسر مايجري في السنغال، فقد أدخلوا في مناهجهم تعليم اللغة العربية، وكذلك في مالي والباكستان، وتعلمها إلزامي في إيران، إن تعليم اللغة العربية في الدول العربية والإسلامية التي تحررت من الاستعمار قد أصبح أمراً مفروغاً منه وله صفة الإلزام، وفرضها لايتم بقرار وإنما يتم عن دوافع ورغبة وينتشر في المدارس في مختلف مراحل التعليم، والتعريب اليوم يتم بخطى حثيثة بعد خروج المستعمر، فنحن إذاً في حاجة إلى هذا المجهود الثقافي، ولن تتحقق لنا طفرة الوعي إلا من خلال الثقافة لنعي هويتنا جيداً، ونعبر عن قضيتنا، وأنا أرى أن اللغة العربية لها دور أساسي في هذا كله، والوحدة يبقى لها جانبها الثقافي، كما لايمكن لأى مسلم أن يطلع على كنه الإسلام إلا إذا عرف اللغة العربية، لأن الترجمة قاصرة ولا تفي بالغرض، إن لدينا كنوزاً في الفكر الإسلامي في الأمور الفقهية، ولو أخذنا القرآن الكريم - وهذا كلام إبن القيم الجوزية - لما وجدنا فيه أكثر من ٢٠٠ آية تتكلم عن الفقة، لكن فيه- أي القرآن - أكثر من ستة آلاف وجه آية، وهذه حكمة الإسلام، وبرهان على أنه يساير تطور الحياة، فقد فتح

باب الإجتهاد للمسلمين ليبتكروا ويطوروا، ولذلك نجد الإجتهاد الفقهي عزيزاً وواسعاً على مدي تاريخ الإسلام، فهذا الإجتهاد في بطون الكتب لم يترجم إلى يومنا هذا، وذلك يعني أن المسلم لكي يعرف الإسلام يجب أن يتعلم اللغة العربية لأن اللغة كما يقول علماء اللغة يتعذر ترجمتها بدقة، فاللغة لاتفهم بألفاظها بل بايقاعها وريتمها، وأذكر أنني في طريق عودتي من لقاء روما، إلتقيت أحد الصحفيين البارزين وكنت أعرفه منذ إستقلال الجزائر، فقال لي إنه ليس مسلماً وهو لايعرف اللغة العربية، لكنه حين يسمع القرآن يصغي إليه بجوارحه كلها مع أنه لايفهم مايسمع منه، كيف يمكن أن نترجم سورة يس مثلاً والسور الأخرى الحافلة بالإيقاع، فالترجمة ستفقدها رونقها، هذا مايقوله علماء اللسانيات اليوم، ولذا من الواجب الديني على المسلم تعلم اللغة العربية، لأنها اللغة التى يمكن أن توصله إلى حقيقة الله، ويقف بها على كلام الله.

تفجر المعرفة

■ ■ ماهو دور المثقفين العرب فى هذه المرحلة تحديداً؟ وهل يمكن لهم أن يجعلوا من جمهورية الأحلام حقيقة واقعة مجسدة؟ هل هم في مستوى الهدف والمرحلة؟ وكيف يصبحون كذلك؟

❑ إن لمثقفينا دوراً تاريخياً فى بلورة الحقائق، لقد كان لمثقفي الغرب ذلك الدور في بناء الثقافة الغربية والنظام العالمي الغربي ولايمكن أن نتكلم عن النظام العالمي الذي لم يظهر هكذا بصورة عفوية، وإنما ظهر بفضل المثقفين، وبخاصة المفكرين والباحثين في نطاق علم الإجتماع والعلوم الأخرى الغربية المتصلة به، فهؤلاء هم الذين كونوا

التربة الثقافية التي كانت حجر الزاوية في إنطلاقة النظام العالمي منذ خمسمائة عام، وقد تم ذلك في فترة وجيزة لاتعدو خمسين سنة أو ستين سنة من تاريخ الغرب، فالمثقفون عندنا مدعوون إلى بلورة وعينا ونحن أحوج مانكون إلى مثقفين ثقافة شاملة لامتخصصة في علم واحد. ثقافة تشتمل مختلف العلوم التي تتضافر اليوم وتشكل نسقاً أو تركيباً بين هذه العلوم، وعلينا أن نتفق على نسق ما في إطار هذه العلوم، نسق يمكن به أن نبني بيتنا، مفكرو الغرب ياأخي كانوا عمالقة حقاً، والذين عملوا على تأسيس هذا النظام العالمي لايتجاوز عددهم عدد أصابع اليدين، ولم يسهم في تأسيسه الآلاف منهم، ربما أسس له مئة مثقف مثل روسو وديدرو ومونتسكيو من أصحاب الأفكار التنويرية، وربما كان لهوبز فيما يخص فلسفته في تصور نظام الدولة، ومالتوس وآدم سميث الإنجليزي في مجال الإقتصاد، والفريدو، وكلاهما من تلاميذ مالتوس، كما تبين أعمالهما في مجال الديموغرافيا، حتى داروين نفسه إستمد نظريته في الإصطفاء الطبيعي للأنواع من مالتوس، وماركس إقتبس فكرة الصراع الطبقي والجدلية المادية من داروين، وقد أهداه كتابه رأس المال، وطلب من داروين أن يقدم له لكنه رفض ذلك، هؤلاء جميعاً عاشوا في فترة وجيزة لاتتعدى خمسين أو ستين سنة، وهم الذين كونوا التربة الثقافية الغربية التي نتعايش معها اليوم، فعلوم الإقتصاد والأنتروبولوجي والديموغرافيا والفلسفة نبعث كلها من جذور أفكارهم وهم لايتعدون الخمسة عشر مفكراً،وأنا أتمنى على الأمة أن تظهر لنا اليوم مثل هؤلاء ليبنوا صرحنا الثقافي، أي نسقاً متكاملاً لعالمية أخرى تستند إلى الإسلام ، وهي موجودة فيه، ولاحاجة للبحث كثيراً عنها، وإنما المهم أن نصل إليها،

فنحن إلى اليوم لم نبلور هذا النسق، وتلك هي مشكلتنا، وأعتقد أننا لامحالة سائرون للوصول إلى بلورة مثل هذا النسق الذي سيكون في رأيي بديلاً للنظام العالمي القائم، لاموازياً له، فإن وجود نظامين عالميين مدعاة للصراع كما شهدنا من صراع بين الغرب ومنظومة الدول الشيوعية،العالم اليوم يسير نحو الإستقطاب حول خمسة أو ستة مفاهيم عالمية، والإسلام يملك القدرة على تقديم منظور عالمي مستمد من تعاليمه وقيمه، وإن كان قد مرت به مرحلة من التأخر وعانى من المشكلات ، لكنني أرى اليوم بأن مقومات النهضة قائمة،وثمة معالم تبدو وتغيب على الساحة كأنها الأضواء التي ترسلها الطائرات الليلية قبل إقلاعها، نحن لدينا بوارق فكرية موزعة هنا وهناك لكن نحتاج إلى نظمها في نسق متكامل يؤلف بينها في برنامج أو تصور ثقافي حضاري جديد يمكن أن ينهض بنا، وهو أمر قادم إن شاء الله، ولامفر من ذلك، وأنا أرى والحمد لله ظهور اعلام ومفكرين عرب وإسلاميين في شتى العلوم، ونرجو من الله أن يتضاعف عددهم ويبرز من بينهم عباقرة قادرون على توحيد ثقافاتهم المتنوعة وصبها في نسق واحد متكامل من النواحي الاقتصادية والإجتماعية والعلمية والثقافية والإبستمولوجية، والبدايات تشعر أننا في الطريق إلى هذا، وعلى مدى مئة أو مئة وعشرين سنة سيكون عدد المسلمين والعرب - كما أشرت سابقاً- بين ٤٣و٦٥٪ من سكان العالم، والعرب سيصبح عددهم على مدى ٢٥ سنة حوالى ٥٦٠ مليون نسمة، وعلى صعيد المثقفين يمكن أن نذكر أنني لم أعثر في الجزائر كلها في فترة الثورة على أكثر من مهندسين معماريين في تسعة آلاف قرية مدمرة، في حين أنناالیوم لدينا في الجزائر أكثر من ٦٠٠ فيزيائي من حملة الدكتوراه

يعيشون في كنداوغيرها، وحتى قادة التيار الإسلامى تجد بينهم كثيراً من حملة الدكتوراه، ففي الفيزياء لديهم أنور هدام، فيزيائي شهير شارك معنا في روما، وهو متخرج من أكبر معهد فيزيائي في سويسرا، وشاب صغير لا يتعدى عمره ثلاثين سنة يعمل في السار، في أكبر المستويات الفيزيائية في العالم، هذا يشجع كثيراً ويشد من عزائمنا، لكن حكامنا هؤلاء، مع تحفظي على مهاجمتهم أكثر من اللازم، هم مقصرون، وأنا واثق من أن الحتمية التاريخية تفرض وقوع تفجر علمي ومعرفي في العالمين العربي والإسلامي، وظهور طاقات نجني ثمارها، لو ترك لهم المجال للعمل في بلداننا العربية الإسلامية، ذلك أن العلم يتطلب الوقت، العلم ليس بحثاً علمياً فحسب، إنه يحتاج إلى إمكانيات، اليوم الغرب يعتمد على ٨٥٪ من الباحثين العلماء، ويستخدمهم في الصناعة وفى صناعة الأسلحة حصراً، وهذا يعلل سبب فساده، لأنه يسخر ٨٥٪ من طاقاته المفكرة في مجال التدمير بدل أن تكون موجهة للبحث العلمي في نوعية الحياة مثلاً، والهندسة، والأمور التي تطور نوع الحياة بدلاً من أن تستخدم في مجال صناعة القتل كالأسلحة وأسلحة الدمار الشامل، وهناك دور غربية اليوم تعد صناعة الأسلحة لديها هي الصناعة الأولى، وفي مستوي معايير البحث العلمى، تجد أن اليابان تخصص له نسبة ٤٪ من دخلها القومي، والولايات المتحدة ٢,٣٪ تقريباً، والمانيا حوالي ٣٪ وفرنسا حوالي ٢٪، أما نحن فلا نخصص له شيئاً، ولايصل بأى حال إلى ١٪،كذلك فإن الدخل القومي للعرب كلهم لايصل إلى مستوى الدخل القومي لإيطاليا، وهو البلد الخامس في الترتيب العالمي، هذه معطيات يلزمها قدرة تجنيد جديدة، وقدرة على الانطلاق لأثرها فى مسار حياتنا، ولتنمية كل مانملك

من طاقات، وعلى صعيد البحث العلمي كان يمكن للعرب إستغلال أموال البترول فيه، نسخر هذا المال مثلاً في تحلية مياه البحر، ولو قمنا بذلك لأصبحت بلادنا جنة، صحارينا كلها تصبح جنة، الغرب لايحتاج إلى المياه، بل لديه منها مايتجاوز حاجاته، وإن كانت قد بدأت اليوم تتناقص، نحن لم نستخدم طاقاتنا لنحل مشكلاتنا الضاربة في القدم وبناء مستقبلنا، علينا أن نراجع مسألة العلم هذه، وهي مسألة هامة لايمكن التحدث عنها بكلمات، إنها مشكلة المشكلات، لكن يمكن القول إن الطاقات العربية المهاجرة هي مخزون هام لنا، وأنا أرى أن الهجرة في سبيل العلم مسألة ضرورية لنا، فشبابنا اليوم لابد من إرتحالهم إلى جامعات برلين أو نيويورك لطلب العلم، والإستزاده منه في منابعه، لكي لاينزوي علماؤنا وتتجمد معارفهم العلمية فيما العلم يتجدد يومياً،ونحن لانحارب هذا اللون من الهجرة بحجة أننا نخسر هذه الطاقات، وأنا لا أرى هذا، فإن العالم اليوم قد أصبح محتاجاً لشروط ضرورية له لينتج، ولا أقصد الشروط المادية ومايتقاضاه من أجر فحسب، وإنما ضرورةتوفير أدوات البحث من مخابر ومراجع وتواصل علمي وإطلاع وحرية، فالحرية ضرورية للعلم، إذ لا علم بلا حرية، فهل الحرية، حرية البحث متوافرة لدينا، لندع شبابنا اليوم يطلبون العلم في مظانه، وعلينا أن ندرك أن الصين اليوم التي تسير بخطى حثيثة في بناء نهضتها، قد إعتمدت في هذه النهضة على أبنائها العلماء الذين كانوا يعيشون في الولايات المتحدة، والصين اليوم تشجع الهجرة، فلهم جاليات في أندونيسيا وتايلاند وفي أميركا، بحدود ٧٥-٨٠ مليون مهاجر، وهؤلاء يشكلون ثروة حقيقية، فهم يعودون إلى الصين برساميلهم وعلومهم وخبراتهم ويفيدون بلدهم، كذلك الأمر

بالنسبة إلى كوريا، ونحن كذلك لدينا خبرات في أعلى المستويات العلمية في الخارج، ولاضير في ذلك، لدينا جيش من العلماء في الخارج من بينهم من هو الآن في معهد ماساتشوستس للعلوم التكنولوجية وقد حاولت الولايات المتحدة تقليص عدد الطلاب العرب والمكسيكيين، غير أن تقرير مدير معهد ماساتشوستس أشار إلى البيت الأبيض بأن ٤٠٪ من الإختراعات تنجز بفضل هؤلاء العلماء العرب والمكسيكيين، والحد من دخولهم يعني خسارة نسبة ٤٠٪ من الإختراع العلمي في الولايات المتحدة، ويمكن أن أشير أيضا إلى سكانر وهو مخترع التصوير الطبقي المحوري في علم الطب، ويعد إختراعه هاماً في مجال التشخيص، وقد تفرع عن إختراعه عدة علوم، إن ثلاثة جزائريين من أكبر العلماء في هذا المجال يعملون اليوم في بالتيمور في أميركا منهم زرهوني، سيكون للعرب والمسلمين ضلع كبير في العلم إن شاء الله، ولدي كلام طويل في هذا المجال لو أردت التفاصيل..

وفي رأيي أن على بعض المثقفين لدينا عبء إبراز مكنون الثقافة وكنهها داخلنا، وهو مانفتقر إليه على الساحة فعلاً، فنحن نلحظ في المنطقة اليوم مظاهر من العنف والدم وبلبلة مقصودة بالأفكار، ولابد من مجهود خاص من أناس مختصين قادرين على أن يستوعبوا كل هذه الدروس وأن يخرجوا ببرنامج ثقافي، أرى أن علينا أن نتعانق ونتآزر ونتحاور في الصحافة ووسائل الإعلام ونجتهد في مصر وسواها، وفي الباكستان وفي العالم الإسلامي كله، نحن أحوج مانكون إلى مشروع ثقافي نحققه وننطلق منه ونلتزمه، وأنا لا أسميه مشروعاً سياسياً بل ثقافياً، ويجب أن

نحرص على تطبيقه، فإن تعذر تطبيقه بحذافيره فلنقارب ذلك على الأقل، بالاعتماد على العقل الذي يجب أن يكون البوصلة التي تهدينا، مشروع له اهدافه المحددة والتي نعرفها جميعاً، فقد تختلف صور تطبيقه من بلد إلى آخر وفقاً للظروف ، لكن يبقى الهدف واحداً، والعلم في إطاره متقارباً، لابد من مجهود ثقافي لا سياسي.

عالمية الثقافة

■ ■ حديثكم عن العلماء والعلم في سياق الإجابة عن سؤال حول دور المثقفين العرب، لابد أنه يعكس مفهوماً ما لديكم للعلاقة بين العلم والثقافة.. أليس الأمر كذلك؟

□ بلى.. وأنا في هذا الصدد ألتقي مع مايذهب إليه بعض المفكرين ومنهم الدكتور المهدي المنجرة من التأكيد على التزاوج بين العلم والثقافة، فالعالم يتجه إلى صيغة ثقافية إجتماعية تسود في عصرنا ولاتتعايش فيه مطلقاً مع فكرة حيادية العلم والثقافة، أي أن التقنية تتحول تدريجياً لتصبح عالمية، لا أوروبية فقط ولا أمريكية فقط ولا يابانية فقط، وإنتهى زمن العلم من أجل العلم كما إنتهى قبل ذلك زمن الفن من أجل الفن، وعندما تدرك أن أكثر من نصف الوافدين إلى سوق العمل في أميركا سنويا منذ العام ١٩٨٨ ممن هم يحملون شهادة الدكتوراه فما فوق ليسوا من أصل أميركي، تدرك أن العلم يكتسب أكثر فأكثر جنسية عالمية، والثقافة العربية لن تصبح فاعلة ومؤثرة في بناء النهضة العربية ومن ثم في المشروع الحضاري العربي الإسلامي إلا بقدر إشتمالها لعنصر العلم لأنه العنصر الذي يمكن لها به إحداث التنمية المطلوبة لتحقيق

النهضة.. من هنا صحت المقولة الشهيرة بأن التنمية هي العلم عندما يصبح ثقافة..

ولدينا عدد من المثقفين العرب البارزين أشبعوا هذه النقطة بحثاً يمكن أن أحيلك في هذا الصدد إلى كتاب هشام شرابي مقدمات لدراسة المجتمع العربي الذي قسم فيه المثقفين العرب إلى أربعة أنواع: الملتزمون الذين يتطابق لديهم الفكر الممارسة، وأهل القلم الذين ينشرون الوعي بين الرأي العام، والعاملون في حقل التعليم، ثم المهنيون وأبرزهم العلماء المتخصصون.

السوسيولوجيا والبرهان

■ ■ **مافهمته من كلامكم عن المشروع الثقافي للأمة، هو إنتاج وتأسيس ثقافة علمية معرفية تؤسس لوعي جماهيري يمكن الشعب العربي المسلم من صنع مستقبله وفقاً لمشيئته.. هل أنا مصيب في هذا الفهم؟**

❑ نعم، أنا أرى أننا نسير نحو التعايش مع أرضيات ثقافية كبرى كونت الفكر الإنساني، وهي لاتتجاوز خمس ثقافات أو ستّاً، منها المسيحية والصينية واليهودية والهندية والغربية بالإضافة إلى الإسلامية، نحن لسنا محتاجين إلى البرهنة على وجود ثقافة لدينا، فهي قائمة منذ إثني عشر قرناً، وقد إستمرت قروناً وهي مزدهرة وخلاقة، نحن في صدد إسترجاع هذه الثقافة، وقد أوضحت أن أفضل محك للثقافة هو تطبيقها الإجتماعي، فالنظريات الإجتماعية تغدو سنناً، ومنها نستمد مشروعاً

مكتملاً لنسق الحياة، أي لبرنامج عالمي ثقافي حياتي، وفي رأيي أن مخزون ثقافتنا قادر على إنجاز هذا المشروع والتعبير عنه، برنامج عالمي جديد يقدم للانسانية، لا للعرب والمسلمين وحدهم، شيئا جديداً، وأنا على يقين من هذا، وأزيد أنني أوضحت في العرض الذي قدمته أن السوسيولوجية هي البرهان على صحة أى تصور، ونحن لدينا تصور لهذا المشروع، لكنه لم يكتمل بعد، لكن سيتضح..

■ ■ **الحديث عن السوسيولوجية كبرهان لصحة أي تصور للمشروع الثقافي يقودنا مباشرة إلى غرامشي، ألا ترى أن معايير غرامشي تسقط الكثير من مثقفينا من الحساب؟**

❑ أنت تشير إلى من كان يصفهم غرامشي بالخونة،وفقاً للمثال التاريخي لديه وهو مشكلة الفلاحين في جنوب إيطاليا الذين أرسلوا أبناءهم إلى العاصمة ليتعلموا ويشتغلوا فذهب هؤلاء واستوطنوها ولم يعودوا إلى الجنوب إلا كسياح فقط، سماهم غرامشي خونة لأنهم عملوا على التحكم بالفلاحين من العاصمة، وسرى وصفه أو نعته على كل مثقف وضع ثقافته وذاته في خدمة غير مجتمعه، لأن وظيفة المثقف لدى غرامشي هي خدمة مجتمعه، وأعتقد أن التفاف الكثير من المثقفين العرب حول السلطة يعطلهم عن وظيفتهم الأساسية ويدخلهم في ذلك التصنيف الذي وضعه غرامشي، فالوظيفة الأساسية للمثقف كما أفهمها هي قيامه بخدمة مجتمعه، والثقافة باعتبارها موقفا فكريا من العالم هي فعل إجتماعي وسياسي وعقلي قيمي يكون العقل الإجتماعي العام وهي الآن أكثر أهمية من أي وقت مضى بعد أن أصبح ديدن الإستعمار

إحتلال العقول بدلاً من إحتلال الأرض وإرسال الأفكار بدلاً من إرسال الجيوش، وتزداد أهمية المثقف أو أهمية دوره الآن في عصر يتكلم فيه الغرب عن حقوق الإنسان بينما هو يغتال ذلك الإنسان، فالمثقف القائم بدوره هو من يخلق المضامين الإجتماعية للحياة ويحدد لتلك الحياة مغزاها، إنه هو الذي يحلل الحاضر بوعي تاريخي، وهو الذي يبلور وعي الناس بمشكلات مجتمعهم وأهدافه وهو الذي يسهم بثقافته في تنوير الرأي العام وترشيده وتحريضه ولابأس هنا من الإشارة - مع بعض التحفظ في رأيي- إلى منظور ريمون ارون الذي يحدد دور المثقف في نقد ماحوله، بدءاً من نقد أيديولوجي وتاريخي للواقع على طريق نشد المستقبل الأفضل والنقد الأخلاقي لفضح ماهو كائن بتحديد مايجب أن يكون والنقد المنهجي الذي يعمل على الملاءمة بين المناهج الفكرية والتغيير الإجتماعي، هذا المثقف النقدي يحتاجه مشروعنا النهضوي العربي بشدة وتلك الثقافة النقدية المنهجية مطلوبة بإلحاح لمجتمعنا العربي الذي لن يتقدم بدونها وهي أكثر إلحاحا وأخطر تأثيراً في رأيي من الناحية السوسيولوجية من الثقافة الأيدلوجية التي حصرت المثقف في خانة النخبة أياً كان إنتماؤه الأيديولوجي سواء كان مثقفاً دينياً أو قومياً أو علمانياً، الثقافة النقدية هي إحدى ضمانات النجاح في تأسيس المشروع الحضاري العربي الإسلامي لأنها هي القادرة على تحديد المكونات البنيوية لطبيعة النظام العربي الراهن وثم تحديد إمكانيات التجديد من داخله وأتفق في هذه النقطة تحديداً مع عبد الله العروي الذي ينادي بثقافة تؤكد إستيعاب العلوم الإجتماعية وضرورة تطبيقها على واقعنا دون تردد، كما أنني مع عابد الجابري فيما ذهب إليه من ضرورة نقد العقل العربي

كشرط لإحداث النهضة لأن غياب هذا النقد أو تقاعسه حتى الآن هو أحد أهم عوامل التعثر الراهن.

التراث والميراث

■ ■ الثقافة العربية اليوم في حالة حصار، وهي تتمزق بين المستورد والموروث، وكلا الاتجاهين يتصارعان داخلنا فنحن منقسمون بين الأصالة والمعاصرة، كيف يمكن لنا الخروج من هذه الإشكالية حتى نتمكن من تأسيس منظور نهضوي تنموي شامل يستند إلى هويتنا العربية الإسلامية وفي الوقت نفسه يتفاعل مع التراث الإنساني ومعطيات الحضارة العالمية؟

❑ صراع القديم والجديد شاع الحديث عنه اليوم، ودارت حوله إجتهادات كثيرة، وهو أكثر مايطرح اليوم في مراكش من قبل عابد الجابري الذي يجتهد حوله كثيراً، يلزم أن نقوم بغربلة للموروث، فمن تراثنا مايصلح لزمن ما أو لفترات أخرى، وهناك موروث قائم بذاته يصلح لكل زمان، ونحن أمام خيارات لابد منها، كذلك العصرنة يجب تشخيصها وأنا حين أسمع كلاماً عن العصرنة أو الحداثة التي تعني غالباً العناصر التي يقوم عليها النظام العالمي الحالي، أبادر إلى رفضها، ليس كلياً وإنما جزئياً، فالتسليم بالحداثة بمفهومها الكلي المتكامل مرفوض لدي، وكثير من النقاش الذي يدور من قبل بعض الأخوة حول مفهوم الحداثة غير واضح لديهم وقد أوضحت سابقاً أن ثمة مصطلحات لسانية سيمانتيكية يجب ألا نأخذها هكذا على علاتها، بل لابد من التدقيق في مفاهيمها، فهي مصطلحات غير نزيهة ولاهي محايدة، لابد من أن ننقيها

أولاً، خذ مثلاً مصطلح التنمية، فمفهومها لدي هو غير مفهومها كما يطرحها النظام العالمي الغربي، التنمية عنده، ترتبط بمفهوم فلسفي هي في نظره مستوى الدخل القومي وتنمية الأمور المادية الجامدة والميتة، لا الحاجات الإنسانية المتجددة والحية، أي الحاجات التي لاتخضع للترميم الحسابي، من ذلك مثلاً العلاقات الانسانية، والتضامن، وهي أمور مغفلة في النظام العالمي إلى يومنا، وهم حين يتكلمون عن العصرنة، لا نعرف أي عصرنة يريدون؟ وأي تقدم ينشدون؟ ففي العصرنة أمور يمكن التسليم بها وأمور قابلة للرفض.

■ عذراً ساكون أكثر تحديداً.. كيف نقرأ التراث؟ هل نقرأه قراءة سلفية أم ليبرالية أم يسارية؟

□ هذه أيضاً ياأخي قضية عالجها الجابري ومحمد أركون وغيرهما في كتاباتهم النقدية، وسماها الجابري تحديداً قياس الغائب على الشاهد كإشارة إلى طريقة في التفكير تحدد بنية العقل العربي منذ عصر تدوينه، وهي تعبير عن أزمة مستحكمة لدى ذلك العقل الذي راح يلجأ إلى الانتقائية وهو ينقح التاريخ بدلاً من أن يصنع الحاضر ويمهد للمستقبل، أنا مع إنتقاء مفاصل الإبداع في ذلك التاريخ فقط التي تزيد من مقدرة ذهننا الثقافي على التفتح على الثقافات الإنسانية ولكنني ضد ذلك الميراث الذي يقدم الآن على أنه تراث على حد تعبير جاك دريدا.. فذلك أمر خطير..

■ سبق وأن حدد سارتر هدفاً لكل مثقف بأنه مواجهة كل سلطة، وأشرتم قبل قليل إلى الثقافة النقدية التي تقود المثقف في النهاية إلى

الصدام بالسلطة، هل تعتقدون بحتمية الصدام بين المثقف العربي والسلطة؟

❑ كلامك يذكرني أيضاً بمقولة أخرى لسارتر جاء فيها أن الطابع العام للمثقف المعاصر هو المثقف المزيف والمثقف المزيف هو قبل كل شيء المثقف المباع..

في زمن عبد الناصر الذي يدعون الآن أنه كان كابتاً للحريات إستطاع نجيب محفوظ أن يكتب ميرامار وثرثرة فوق النيل وأولاد حارتنا وإستطاع توفيق الحيكم أن يكتب بنك القلق وغيرها.. هذه الكتابات الصارخة في نقدها للسلطة، رغم أن السلطة كانت صاحبة مشروع قومي إسلامي نهضوي تشير إلى أن الإجابة عن سؤالك في رأيي هي بنعم ، فما بالنا إذا كانت السلطة القائمة هي سلطة قاهرة للإنسان العربي متدرجة في المشروع المعادي للمشروع الحضاري العربي الإسلامي، بل إن المثقف العربي مطالب من موقع إنتمائه للمشروع الحضاري العربي الإسلامي الذي هو مشروع النهضة الشاملة أن ينتقد وأن يفعل وبدون ذلك لايعود صالحاً لأداء وظيفته، ويجب أن تنتهي حالة الإستقطاب الراهنة الواسعة النطاق بين أن يكون رجل بلاط أو يصبح هامشياً، وشخصياً أعتقد أنه بامكان المثقفين العرب إقامة سلطتهم الثقافية الموازية لسلطة الحكام السياسية وبإمكانهم تعبئة الجماهير العربية أيضاً حول الثقافة كسلطة، بل إن تلك هي معركتهم التي قد تعيد صياغة وتشكيل المجتمع العربي، لقد قرأت ذات مرة ماكتبه سعد الدين إبراهيم عن ما أسماه بتجسير الهوة بين المثقف والأمير، في الحقيقة هذا كلام يخدم

الأمير لا الجماهير. ينقذ الأمير ويطيل عمر الأزمة الإجتماعية والسياسية والفكرية التي تعاني منها الجماهير، وكل الجسور الذهبية والفضية والخشبية لم تحل دون أن يستمر الأمير أو السلطة في ممارسة القهر والتآمرمع أعداء المشروع النهضوي العربي في الداخل والخارج، وهذه الجسور لم يتقدم عليها إنسان عربي واحد فضلاً عن الجماهير للحصول على مشاركة حقيقية في السلطة، كيف تكون السلطة ضرورة أو تظل محترمة ويظل المثقفون مطالبون بالحوار معها، بينما هي تقهر تعربد وتصادر، وكيف يمتنع المثقفون عن إثارة الجماهير ضد السلطة التي تستمر في تغييبهم وتداوم على العمل لغير صالحهم.إن ذلك يشبه التواطؤ، وهذا ليس بجديد فالكثير من المثقفين مارسوه مما أسفر عن تفريغ الشعارات العظيمة التي رفعت من الكثير من مضمونها، ومما أوصل الجماهير العربية والإسلامية إلى حالة من اللامبالاة هي حاليا إحدى العقبات الرئيسية أمام النهوض، أنا هنا مع ماكان يقوله غرامشي من أنه لاجدوى من ممارسة المثقف دوره خارج التنظيم القادر على مواجهة السلطة، فالمعارضة الجماعية المنظمة وحدها هي المعارضة المؤثرة والناجحة، ولو أن التقدميين العرب كانوا قد اهتموا بفكرة السلطة الثقافية وانتبهوا إلى دورها في المجتمع، كما أشار إلى ذلك الطاهر لبيب، لكانوا قد توصلوا إلى نتائج أهم بكثير من تلك التي حصلوا عليها بحصر إهتمامهم بالمؤسسة السياسية، أما أن يمسك بعض المثقفين العصا من الوسط بدعوى إستنقاذ مايمكن وبدعوى الواقعيةفهذا لن يقدم أو يؤخر شيئا، إنه يذكرني بالمثال الذي كان سارتر قد ضربه عن بعض المثقفين الفرنسيين الذين أدانوا كلاً من القمع الاستعماري الفرنسي وما

أسموه بالهمجية الجزائرية، وكأن هذه المساواة وعدم التفرقة بين المعتدي والمقاوم هي الوسيلة للوصول إلى الحقيقة!

الحدس

■ ■ **أشرتم قبل قليل إلى أن النظام العالمي الراهن هو نتاج لثقافة أسس لها عدد محدود من مفكري الغرب خلال فترة زمنية محددة، فإلى أين تتجه الثقافة الغربية بهذا النظام العالمي، هل الوضع يدعو لليأس أم أن ثمة بصيص أمل في قوة مستنيرة داخل الغرب نفسه؟**

□ الجانب الثقافي للنظام العالمي أخذت تبرز فيه ظاهرة كفيلة بأن تقضي على نزعات هذا النظام المادية الليبرالية الجشعة، وليس أمامنا إلا أن نستعين بفلسفة العلم أو مايسمى بعلم الأبستمولوجيا، وهو علم موجه لنقد فلسفة العلم المعاصر، الذي يبدو أنه بني على منطلقات مادية تنقصها الدراسات الحديثة، فمنذ زمن أنشتاين بدأ نقد هذه المادية فيما يخص النسبية، ثم جاء نيل بورس من بعده فأوجد مايسمى بـ «الميكانيك الكوانتي» الذي كان مثار جدل، ثم كان لعلماء الفيزياء إسهام في هذا النقد في مجال دراسة الذرة، فالفيزيائيون الجدد بدلوا النظرة السائدة عن الكون، والمفاهيم المتبناة، وانشتاين من بينهم، أصدر كتاباً عنوانه « الله لايلعب الشطرنج» أي أنه عز وجل يوازن بين عناصر الكون كلها، وعني نيل بورس فى بحوثه بموضوع تكوين الذرة وعناصرها، فمن المعلوم أن الذرة تتركب من عنصرين ثابتين هما الالكترون والنيترون، وقد أثبت أن الالكترون له طبيعة خاصة فهو ليس مادة أو ضوءاً، وهو ماثل في الطاقة، ولكن العلماء لم يستطيعوا تحديد طبيعته

بالرغم مما سخروا لذلك من أجهزة وآلات، ثم تبين لهؤلاء العلماء أن حصره مستحيل ، لأن الانسان نفسه والآلات التي تستخدمها هي من الطاقة أيضاً، فتدخله يفسد التجربة، ثم توصل العلماء إلى تحديد ما أطلقوه عليه إسم الكوارث وهو أصغر جزء من الذرة، تم إكتشاف نواته منذ شهور، وهو آخر ماتوصلوا إليه، وظهر لهم وجود ستة أنواع من الكوارث، لكنهم عجزوا عن تحديد طبيعته، وهؤلاء العلماء كلهم من المؤمنين بالله، ومنهم عالم مشهور هو إيزامبر، من أكبر علماء الذرة، وكذلك بلانك من أبرز علماء الفيزياء، ومنهم ديفيد بوم، وهو مازال حياً يعيش اليوم في بركلي، ومن أبرز علماء الفيزياء أيضاً، ويمكن أن نذكر بوليتشوسكا، فرنسي موجود في بيركلي، وفرنسيون آخرون أمثال بورغار وشارون ودسبانيا، وقد عقدوا إجتماعتهم في قرطبة، ودفعتهم بحوثهم إلى الإيمان بالله، والعودة إلى الروحانية، لأنهم توصلوا إلى أن العناصر الأساسية التي يقوم عليها الكون هي عناصر حية وليست مادية، بدليل أن العلم عجز بكل وسائله الضخمة عن حصر الألكترون وتحديد طبيعته، هذا الألكترون الذي يعمل وكأنه يعمل ضد الفناء، فناء الطاقة، والذي يستنتجون منه أن الحياة ستنتهي، هذا الألكترون الذي يعمل بدقة تعجز عنها أية عبقرية، وهو يسعي في حركته إلى صون الطاقة من التبدد والاضمحلال، ما أردت أن أبينه هو أن التفسير المادي للكون والجهر بعدم وجود إله تم ضربهما علمياً، ثم ظهر أيضاً أن العلم والإختراع عبر مسيرتهما لايخضعان لتسلسل ذهني منطقي، فليس في الاختراعات العلمية حتمية،إنها جاءت لأن الانسان يملك مايسمى بالحدس، فقد يجتهد كثيراً للوصول إلى الحقائق دون جدوى، ثم فجأة يكشف له

حدسه عما كان يبحث عنه دون مقدمات فيهبط إليه لون من الوحي أو الحدس، لا صلة له بالتفكير العقلي، وهذا الحدس يرشده إلى طريقة الوصول إلى الحقيقة، نذكر هنا - على سبيل المثال- سقوط التفاحة وما إستنتجه نيوتن من سقوطها، وهناك كتاب يشير إلى أن معظم الإختراعات تمت بالحدس لا بالتفكير والدرس والعلماء اليوم يهتمون بظاهرة عصف الدفاع هذه، أو مايعرف بالحدس، ويرون أنها أهم أحيانا للمخيلة من التفكير الذي يقوم على الروية، وأقدر على القراءة الداخلية للأشياء، وهي أكثر شجاعة من منهج باسكوال وديكارت اللذين حصرا التفكير المجرد بمنطق يقوم على التسلسل الذهنى ومراحله، من هذا نخلص إلى أن فكرة الله أصبح مسلماً بها من قبل العلماء الذين يعملون في دراسة المادة كالفيزيائيين.

■ ■ على ضوء المجابهة التي تتم الآن بين القوى الحية في الامة العربية وبين دعاة التطبيع، كيف تنظرون إلى دور المثقفين؟

❑ يأخي قد أوضحت في عدة مواضع الأهمية القصوى للثقافة وللمثقفين العرب ليس فقط فى مقاومة التطبيع وإنما في التنمية وإيجاد النموذج الحضاري وتأسيس المشروع النهضوي، إن المثقف الحقيقى هو القادر على أن يطابق بين دائرته الخاصة والدائرة العامة التى تحوى جموع الشعب .. يستوحى همومها فى تقديم أطروحات تدفع باتجاه مصالحها.. المثقف الحقيقي هو الانسان الجماهيرى فعلا لا قولاً، والجماهير العربية عندما تقاطع المنتجات الإسرائيلية فإنما تعبر بذلك عن إمتلاكها لثقافة مخزونة ذات بعدين قومي وإسلامى.. وفي رأيي أن دور المثقفين العرب

الأساسي ليس تعبئة الجماهير العربية ضد التطبيع، لأن التطبيع ومجالاته وزواياه كالموت مسألة محسومة النتائج عند الجماهير.. أقصد أن الإنسان ليس بحاجة إلى من يعبئه ضد الموت.. فالطبيعي أن الإنسان محب للحياة وراغب فيها وكاره لنقيضها الذي هو الموت.. التطبيع يعني الموت لأمة.. يعني إندثارهاتحت سنابك خيل غزاة الحملة الصليبية الصهيونية.. ولا أتصور أن الأمة من البله أو الغفلة لدرجة أنها لا تدرك معنى التطبيع ونتائجه.. وإنما الدور الأساسي للمثقفين العرب هو في الإجابة على سؤال كيفية صنع الحياة التي نريد والتي نستحقها كأمة عظيمة.. ويتفرع من ذلك الدور دور آخر هو حشد الجماهير وتعبئتها حول البديل لما هو قائم كله، حول الحياة الجديدة للأمة ولإنسانها، دور المثقفين العرب كما سبق أن أوضحت في أحد ردودي هو أن يخلقوا لنا النموذج ويبشروننا به ويحولونه تدريجيا من الحلم إلى حقائق حياتية يومية لا يمكن لأحد أن ينكرها أو يلغيها..

وأنا أستغرب أن أسمع عن مثقف قد سقط في وادي الموت الذي هو التطبيع.. كيف؟ هذا مثقف مفروض أنه يرى الطريق ويبصر المستقبل ويمتلك أدوات التغيير بالحلم.. توقعنا منه أن يوصلنا إلى الجنة.. فاذا به يهوي هو نفسه في النار وبعد ان هوى يتشبث بنعالنا محاولاً جرنا إلى الهاوية ذاتها.. هذا ليس مثقفا ولا مدع ثقافة.. هذا صاحب صنعة.. ولا سبيل أمامنا سوى أن ندوس أصابعه بنعالنا حتى يسقط في النهاية وحده ولايردينا معه..

وفي الوقت نفسه أشعر بالغبطة عندما أرى المجتمع المدني العربي

يعبر عن نفسه بتجمعات ومؤتمرات شعبية تتنادى وتنعقد فى بيروت والقاهرة وعمان وفى طرابلس لرفض الموت.. لرفض التطبيع.. أشعر بحيوية الأمة وأصالتها وأن جماهيرنا أقوى مما يظنون .. تلك الجماهير كلما أسقطوها من حسابهم فرضت عليهم وجودها هذه ليست أحزابا وتنظيمات تشكيلات سياسية تقاوم التطبيع. هذه جماهير عربية وإسلامية تختار مستقبلها الذي تريد وتحدد منظوره وتطرح رؤاها الخاصة بها.. حركة مقاومة التطبيع هى حركة شعبية عربية حقيقية تتحرك وتعمل وتبني باتجاه المستقبل..

■ ■ في نهاية هذا الحوار .. أسألكم : كيف ترون المستقبل العربي؟

❑ هو مستقبل رشد وعافية وخير بإذن الله، وبركة لنا جميعاً، ولدي أمل قوي بأن هذه الصحراء العربية العظيمة التي ظهرت منها رسالة الإسلام، وهي أفضل عطاء لنا وللأجيال القادمة من بعدنا، هذا الحدث العظيم الذي بدل حياتنا وحياة أجيال متلاحقة، وستبدل أكثر من حياتنا إن شاء الله، أقول أن هذه الصحراء العظيمة ستستمر في منح الإنسانية الجليل والمفيد والمبهر، وستروي هي بالذات ظمأ الإنسانية إلى العدل والسلام والسعادة الحقيقية.

السيد محمد حسين فضل الله، د. عصمت سيف الدولة، د. نديم البيطار، ا. محمد الفقيه البصرى، د. أحمد صدقي الدجاني، د. جمال الأتاسي، د. المهدي المنجرة، د. هشام جعيط، د. طارق البشري، د. محمد عمارة، د. اسماعيل صبري عبد الله، ا. فهمى هويدي، ا. أحمد نبيل الهلالي، د. فتحى الشقاقي، ا. منح الصلح، د.جلال أمين، د. عصام العريان، د. همام سعيد، ا. حسين مجلي، ا. حمدين صباحي، ا. ميشيل كيلو... وآخرون في:

كتاب «حوارات نهاية القرن»

قريبا
فى المكتبات العربية

لقاءات للكاتب سامى لطيّف مع نخبة من أبرز الرموز الفكرية والسياسية للتيارات القومية والدينية والإشتراكية في كل من المشرق والمغرب العربي

هذا الكتاب

أحمد بن بلة ضمير المستقبل في هذه الأمة، والحوار الذي أجراه معه الكاتب العربي الليبي، سامي لطيّــف، هو حوار يضع الماضي في جعبة الحاضر، ويحملهما معاً إلى الآتي.. الذي نتلمس الطريق إليه على هدي العروبة والإسلام..

إن المستقبل هو جل حديث بن بلة ومحور إهتمامه الرئيسي، بل إن حماسه لتسجيل هذا الحوار في كتاب نبع أساساً من رغبته بالتوجه إلى الشباب العربي بإعتباره صانع المستقبل...

الرجل مسكون بالمستقبل، يقلقه مصير الأجيال العربية والمسلمة، حتى ليكاد يبتغي لها نفقاً في الأرض أو سلماً إلى السماء.. إن إستطاع إلى ذلك سبيلاً..

هذا الرجل لم ينته دوره، فالقادة التاريخيون لايرتبط دورهم بوجودهم فى سدة السلطة أو على قيد الحياة.. وهذا أحد أسرار عظمتهم. وبن بلة حالة فكرية متجددة متطورة منفتحة على كل الثقافات والإبداعات الفكرية الإنسانية يغوص فيها دون أن يفقد أساسه المتين باحثاً عن الحقيقة من أجل الإنسان..

" الناشر "

